


KÖPRÜLÜ KÜT.
186

حاشية ع على البيضاوى شيخ زاده

شرع
حاشية شيخ زاده على البيضاوي من سورة النبأ
الى آخر القرآن الكريم

الس





بسم الله الرحمن الرحيم سورة النبأ قوله اصله عن ما على ان
عن الجارة دخلت على ما الاستفهامية قلبت النون ميما وادغمت الميم في الميم
على ان التقاء الحرفين المتجانسين او المتقاربين في الكلام يوجب ثقلا من الثقل
نحو لولا دفعه بطريق من الطرق والادغام احد طرقه لانه يورث قربا من
الخفة واحد المتقاربين لا يدغم في الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة
للادغام قوله لما مر من ان حرف الجر اذا دخلت على الاستفهامية تحذف
الفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والخبرية
وليُنبئ عن شدة اتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه نحو لم وبم
وفيم والام وحتام وعلام فان قلت الميم حرف شفوي يخرج بين منطبق
الشفتين والنون مخرجه ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا
والثنايا جمع الثنية وهو مقدم الاسنان وهو اربعة اسنان اثنان منها
في اعلى الفم واثنان آخران منها في اسفله يطلق على كل واحد منها لفظ الثنية
ومجموع الاربعة ثنايا فاذا تقرر هذا ظهر انه لا تقارب بين الميم والنون
في المخرج فما سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة
قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج قال ابن الحاجب ادغمت النون في الميم
وان لم يتقاربا لغنتهما والغنة مدة تخرج من الخيشوم كما ان حروف
العلة مدة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن



والاغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه قوله كانه لفخامته خرج في السؤال عنه
يريد ان كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم او لطلب الحقيقة الغيبية اداة الطلب
والسؤال يطلب بها شرح مفهوم الاسم او كشف حقيقة الشيء المعلوم الوجود
والمطلوب لا بد وان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا
اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء العظيم الشان الفخم القدر وان لم
يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤول عنه من
حيث انه لفخامته وعظم شانه صار كانه عجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسأل عنه
كالاشياء التي جهلت مفهوماتها وحقايقها فطلبت بما فلا جرم من المشابهة استعمل
فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم يستعمل فيه ومنه
قوله تع وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما سجين وما العقبة ونحوها
فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم قوله او يتساءلون اي يجوز ان يكون صيغة التفاعل
على اصلها من كون احد الفعل بين كثيرين بان يكون كل بعض منهم فاعلا له بالبعض الآخر
وان يكون بمعنى الفعل الثلاثي مثل تداعوهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساؤل
هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل التساؤل ايضا في ان يتحدثوا به
وان لم يكن بعضهم لبعض سؤال قال الله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال
قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا يعني التحدث
فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض



لكونه بمعنى يتساءلون قوله او للناس عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد
بالناس ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون فيتساءلون
او يسألون عنه ليزدادوا يقينا في دينهم واما الكفار فعلى سبيل السخرية و
الاستهزاء او على سبيل ايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد
كلا سيعلمون ردع للمتسائلين ووعيد عليه يقتضي ان المراد من الناس ما يعم اهل
مكة وغيرهم من الكفرة فقط قوله بيان للشان المفخم يعني ان قوله عم يتساءلون
كلام تام اورد على طريق السؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب ببيانه
ان الشان المفخم بالسؤال السابق نبأ عظيم وتقدير الكلام يتساءلون عن
النبأ العظيم الا انه حذف يتساءلون في الآية الثانية لدلالة الاول عليه
فيكون عن في عم متعلقا بيتساءلون المذكور وقوله عن النبأ متعلقا بالمحذوف
فقوله عم يتساءلون سؤال تفخيم وتعظيم للمسؤول عنه وقوله عن النبأ جواب
وبيان له والسائل والمجيب هو الله تعالى والفائدة في ان يذكر السؤال ثم ان يذكر
الجواب منه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قوله او صلة يتساءلون يريد ان قوله تعالى عن
النبأ يجوز ان يتعلق بيتساءلون المذكور فحينئذ يكون عم متعلقا بيتساءلون المضمر
والمذكور يفسر ذلك المضمر فيتم الكلام بقوله عم ويكون قوله يتساءلون عن النبأ
بيانا للشان المفخم ويدل عليه قراءة من قرأ عمه بهاء السكت والظاهر انه

والظاهر انه وقف على عمه ويبتدأ بيتساءلون عن النبأ فيكون متعلق عمه
مضمرا مفسرا بما بعده لانه لما وقف عليه صار منقطعا عما بعده فيكون ما بعده كلاما
مبتدأ وانما وقف بهاء السكت لان الف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم
دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا للحركة المبقية عن السقوط حالة
الوقف والظاهر انه اتى بهاء السكت حال الوقف لئلا يخلو الكلمة عن اخر حرفه
الاصلية وعما يدل عليه ووقف عليه اكثر القراء بالاسكان امتثالا للتنزيل وقيل
يجوز ان يكون قوله عن النبأ استفهاما آخر متصلا بما قبله بتقدير الالف الاستفهامية
والتقدير يتساءلون اعن النبأ العظيم الا انه حذف حرف الاستفهام لدلالة
الاستفهام المذكور عليه ونظيره قوله تعالى افان مت فهم الخالدون اي افهم
الخالدون وقيل يجوز ان يكون عم بمعنى لاي شيء وقوله يتساءلون عن النبأ
العظيم متصل به على تقدير لاي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم ونسب هذا
القول الى الفراء والذي في الآية يحتمل ان يكون مجرورا على انه نعت للنبأ
وان يكون مستأنفا مرفوعا بتقدير هو او منصوبا بتقدير اعني قوله بجزم النفي
والشك فيه على ان يكون ضمير يتساءلون لاهل مكة فقط وهو الظاهر بدليل قوله
كلا سيعلمون فانه تهديد لا يليق الا بالكفار فانهم ليسوا بمتفقين في
انكار الحشر الجسماني لان منهم من ينكره ويجزم بانتفائه ويقول ان هي الا
حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان شاكا فيه قائلا وما اظن

الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى قوله او بالاقرار والانكار
منزل على تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من المؤمنين والكفار فانهم مختلفون
فيه يقر به المؤمنون وينكره الكفار قوله ردع ووعيد الردع مستفاد من كلا
اي ليس امر البعث مما يشك فيه وينكر بحيث يتساءلون عنه والوعيد مستفاد
من سيعلمون اي انهم سيعلمون ان ما يتساءلون عنه حق لا دافع له وواقع لا ريب فيه
متطوع لا شك فيه قوله تكرير اي للردع بتكرير كلا وللوعيد بتكرير سيعلمون
للمبالغة والتشديد فيهما قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد يريد ان
لفظة ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد يستعمل في التراخي الرتبي اي تباعد ما
ما بين المعطوفين في الشرف والفضاحة وذلك لتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي
الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازي هو المراد ههنا
لان المقام مقام التهديد والتشديد وذلك انما يكون اكثر بالحمل عليه قوله وقيل
الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء فيكون
ثم محمولا على معناه الحقيقي وهو التراخي الزماني اذ المعنى سيعلمون حقيقته عند النزع
ثم في القيمة ولا شك ان القيمة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع او المعنى
سيعلمون حقيقة البعث حين ان تبعثوا من قبوركم ثم حقيقته ان يجازى كل واحد
على حسب طاعته وعصيانه حين ان تجازوا على كفركم وانكاركم ولا شك ان وقت
الجزاء متراخ عن وقت البعث وعلى تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من

من الكفار والمؤمنين يحتمل ان يكون ضمير احد الفعلين سيعلمون للمؤمنين وضمير سيعلمون
الآخر للكفار والمعنى سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وسيعلم الكفار عاقبة
تكذيبهم فيكون احدهما وعدا للمؤمنين والآخر وعيدا للكفار وثم للتفاوت
ما بين الوعد والوعيد في الرتبة ويحتمل ان يكون كلاهما وعيدا للكفار بان يكون
المعنى سيعلم الكفار احوالهم ثم يعلمون احوال المؤمنين وكل منهما وعيد للكفار
اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المؤمنين اعداؤهم وعلمهم بكون اعدائهم
في النعيم المقيم واللذة الصافية عذاب روحاني اشد من الجسماني قوله
ليستدلوا بذلك الخ يعني ان الله تعالى لما حكى انكار البعث والحشر واراد اقامة ٣
الحجة على صحته اورد ما يدل على كونه قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات
لانه اذا ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين
بان عدد انواعا من مخلوقاته المحكمة المتقنة فانها من الاشياء من جهة حدوثها
تدل على القدرة ومن جهة اتقانها واحكامها تدل على العلم ومن كان في العلم
والقدرة بهذه المثابة صح منه ان يكون قادرا على تخريب الدنيا بسمائها وارضها وايجاد
عالم الآخرة بخواصها واحكامها لانه قد تقرر ان الاجسام متساوية الاقدام في
قبول الصفات والاعراض ولما فسر النبأ العظيم بالبعث ظهر اتصال هذه
الآية بما قبلها وبما بعدها ايضا وهو قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا الخ ولذلك
اختار المصنف تفسيره به ولو فسر بالقرآن او بالنبوة كما فسره البعض به لفات

انتظام هذه الآية لما قبلها وان انتظمت بما بعدها كما لا يخفى ومن فسر النبأ العظيم
بالقرآن قال انه نبأ عظيم في فصاحته وبلاغته واحتوائه على العلوم الكثيرة وانهم
اختلفوا فيه وتساءلوا عنه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم انه قال اساطير
الاولين وقال تفسير النبأ بالقرآن اولى من تفسيره بالبعث او النبوة لان النبأ
اسم للخبر لا للمخبر عنه والبعث والنبوة ليسا بخبرين بل مما يخبر عنهما فكان في
اسم النبأ ايماء الى تفسيره بالقرآن منه بالبعث والنبوة والجواب ان اسم النبأ وان
كان اليق بالقرآن الا ان اسم العظيم اليق بالبعث والقيامة لانه منتهى فزع
الخلق وخوفهم منه وهو اعظم الاشياء في قلوبهم ولان ما بعده من الآية لما
كانت مسوقة لاثبات صحة البعث واقامة القيامة ظهر بذلك ان المراد بالنبأ
العظيم هو نبأ البعث قوله مصدر سمي به الجوهري المهد مهد الصبي والمهاد
الفراش وقد مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها
واصلاحها انتهى فالمراد في الاصل مصدر بمعنى البسط سمي به مهد الصبي
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وكذا المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت
كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اي الم نجعل الارض بساطا ممهودا
تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ويجوز ان يراد به المعنى المصدري
اما على تقدير المضاف اي ذات مهد واما على ان وصفت الارض بالمصدر
للمبالغة كما يقال رجل عدل حيث انه لكماله في تلك الصفة صار كأنه عين

عين تلك الصفة وفيه مبالغة لانه اذا صار عينها استغنى عما عداها في صدور
آثارها عنه واما اذا كان موصوفا بها فلا اقل من ان يحتاج فيه الى تلك الصفة
ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى
الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها
بالجبال لتسكن ولا تميد باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ
قوله ذكرا وانثى كما قال الله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وفيه
قول آخر وهو تفسير الازواج على معنى آخر اعم من الاول على معنى انا خلقناكم حال كونكم
موصوفا بالاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة
والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر
الى غير ذلك فيكون كل واحد منكم بحسب ما فيه من الاوصاف زوجا بما هو موصوف
بما يقابله وصفه كالحسن بالقبح والطول بالقصر الى غير ذلك من كل زوجين متقابلين
كما قال ومن كل شيء خلقنا زوجين وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية
الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر و
يعرف حقيقة كل شيء بضده فان الانسان انما يعرف قدر الشباب عند
المشيب وانما يعرف قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف
النعم قوله قطعا عن الاحساس والحركة لما طعن بعض الملاحدة في هذه
الآية بان قالوا السبات هو النوم فالمعنى وجعلنا نومكم نوما فالفائدة

في هذا الكلام اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت في اللغة القطع يقال
سبت شعره سبتا اي قطعه وحلقه وسمي النوم قطعا من حيث ان النائم مقطوع
عن الاحساس والحركة وان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة فحسن ذكره
في اثناء تعداد النعم الجليلة والثاني لا نسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت والمسبوت
هو الميت واستدل على صحة اطلاق الموت على النوم بقوله لانه احد التوفيين المشار اليها
بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي ويتوفى التي لم تمت
في منامها ويدل عليه ايضا انه تعالى لما جعل النوم موتا جعل اليقظة التي يكنى عنها
بالنهار معاشا اي حياة حيث قال وجعلنا النهار معاشا قال الامام وهذا الوجه
عندي ضعيف لان الاشياء المذكورة في هذه الآية من جلائل النعم فلا يليق
ذكر الموت بهذا المقام وايضا ليس المراد بكونه موتا انه موت حقيقة اذ لا ينقطع
به الروح عن البدن بل المراد به انقطاع اثر الحواس الظاهرة عن البدن وهذا
هو النوم فكان المعنى انا جعلنا نومكم نوما فعاد الاشكال انتهى كلامه
ويمكن ان يجاب عنه بان التنوين في سباتا للنوعية كما في قوله وجعلنا
على ابصارهم غشاوة فالمعنى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذي
ينقطع ولا يدوم فان النوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة من انفع الاشياء
واما دوامه فمن اضر الاشياء للانسان اذ يكون المعنى وجعلنا نومكم موتا
خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك مرض وذكره

وذكره لا يناسب المقام قوله غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء اي اخفاء
نفسه او غيره من الانفس والاموال عمن لا يحب اطلاعه عليها فوجه التشبيه بين الليل
واللباس كونهما سببا للاستتار ما لابس المرء ظاهر ووجه النعمة في ذلك ان
الانسان قد يريد الاستتار عن العيون اذا اراد هربا من عدو او اراد
ان يفعل فعلا لا يرضى ان يطلع عليه غيره ويامن من ظلمة الليل من بيات العدو
ايضا قوله وقت معاش يحتمل ان يكون المراد ان لفظ معاشا في نظم القرآن ٣
مصدر تعالى عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة فعلى هذا لا بد
من تقدير المضاف وهو لفظ الوقت ليكون الكلام على المعنى الاول وهو النهار والمعنى
وجعلنا النهار وقت معاش ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى ان لفظ
المعاش اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف فقوله
وقت معاش ابراز لمعنى اسم صيغة الزمان وتفصيل لمفهومها وقوله يتقلبون
فيه لتحصيل ما يعيشون به في مقابلة تفسير السبات بالقطع عن الاحساس
والحركة لان التقلب فيه لا يكون الا بالاحساس والحركة واشارة الى ان المعاش
في قوله وقت معاش بمعنى التعيش وهو التقلب والتكلف في تحصيل اسباب
المعيشة والدنيا معاش لانه مكان التعيش والنهار معاش لانه زمان له
العيش الحيوة وقوله او حيوة تنبعثون فيها عن نومكم في مقابلة تفسير
السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم اذ لو فسر

وجعل تيقظكم حيوة الا انه عبر عنها بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا الجوهري
العيش الحيوة ونبال عاش فلان من كذا قوله سبع سموات اقوياء اشارة الى
ان شدادا صفة لمحذوف وهو سبع بسبب شدتها احكام خلقها بحيث لا يوثر
مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله وجعلنا السماء سقفا
محفوظا فان قيل لفظ البناء في اسفل البيت والسقف في اعلاه فكيف قال وبنينا
فوقكم قلنا لان البناء يكون ابعد عن الآفة والانحلال من السقف فذكر قوله
وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء والمراد
بجعل السراج خلقه فلذلك تعدى الى مفعول واحد والجعل فيما سبق بمعنى التصيير
فتعدى الى مفعولين قوله او بالغا في الحرارة لعل كلمة او لمنع الخلو لان منهم من قال
الوهج يجمع النور والحرارة ومنهم من قال الوهج النور ومنهم من قال الوهج
حر النار او الشمس فيكون الوهاج للمبالغة في احد من المعاني على سبيل منع الخلو
قوله السحائب ان فسرت المعصرات بالسحائب يكون اسم فاعل من اعصرت السحابة اذا
حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد ومنه اعصرت الجنونة كما في احصد الزرع
اي حان ان يحصد واعصرت الجارية اي حانت ان تعصر الطبيعة دمها فتحيض والا لكان
ينبغي ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وكون السحاب
مبدأ لانزال الماء ظاهر وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت
الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب فتمطر ومنه اعصرت الجنونة ايضا واما اذا اريد

بها الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ للصيرورة فهو اسم فاعل من اعصرت
الريح اي صارت ذات اعصار كما يقال ابقلت الارض اي صارت ذات بقل والاعاصير
جمع اعصار وهي الريح التي تستدير في الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هي
ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق والسحاب اذا اعصرته ريح ذات اعصار لا بد
ان ينزل منه المطر قوله وانما جعلت مبدأ للانزال الخ جواب عما قيل ما وجه
من فسر المعصرات بالرياح مع ان المطر لا ينزل من الريح بل ينزل من السحاب
وتقرير الجواب ان ما هو مبدأ بالذات لنزول المطر هو السحاب لا الريح لكن السحاب
انما تنشأ وتتكون وتمتلئ اضلاعه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل الرياح
مبدأ الانزال باعتبار كونها آلة وسببا لتكون مبدئه الذي هو السحاب وقيل في
جوابه كلمة من في قوله من المعصرات بمعنى الباء اي وانزلنا بالرياح المثيرة للسحاب
قوله ويؤيده اي ويؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح قراءة من قرأ بالمعصرات
بدلا من المعصرات وذلك لان الباء للسببية والسببية في المبدأ الاول الذي هو
الريح اظهر منها في المبدأ المادي وهو السحاب قوله ثجاجا ذو ثج بنفسه
يريد ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صب كما في الحديث
فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدي واختار المص
كونه ثجاجا في الآية مبالغة اسم فاعل من ثج اللازم ولهذا قال في تفسيرها منصبا بكثرة
واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال معناه الصباب كانه يثج نفسه اي يصبه

ينبح نفسه اى يصبه وبالجملة فالمراد ثجاج القطرة يكثر الماء فيعظم النفع به قوله وقرئ ثجاجا
بالحاء المهملة بعد الجيم ولم اجده في الصحاح ولا في حواشي الكشاف ويقال من قوله ومثاجح الماء
مصابه وانثجح الماء في الوادي اى سال ان ثجح بمعنى صب لا بمعنى انصب فهو مرادف ثجاج زايد
المؤخوذ من المتعدى كما اختاره الزجاج قوله لنخرج به الحب بالضم ما يقوم به
بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة ونحوها
ونباتا ليكون علفا للحيوانات كالتبن والحشيش وجنات الفا فا ليتفكه بها الانسان
واعلم ان كل شيء ينبت في الارض فاما ان يكون له ساق او لا يكون فان لم يكن له ساق فاما
ان يكون له كمام فهو الحب واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد ههنا بقوله ونباتا
والى هذين القسمين وقعت الاشارة بقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم واما الذى له ساق
فهو الشجر فاذا اجتمع من الاشجار شيء كثير سميت جنة فظهر بما ذكرنا انحصار ما ينبت
من الارض في هذه الاقسام الثلاثة وقدم ذكر الحب لانه هو الاصل في الغذاء وثنى بالنبات
لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخر الجنات في الذكر لانعدام الحاجة المذكورة الضرورية
الى الفواكه قوله جمع لف اختلفوا في الفاف وذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع
والاخياف الاوزاع للجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة
المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من اب واحد وامهم واحد وكثير من اهل اللغة
اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا في واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف كجذع
واجذاع وقيل لف بالضم انكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لف

لفاء

لف وجمع لف الفاف فيكون الفاف جمع الجمع وذلك ان الاصل لف في المذكر ولفاء في المؤنث
كاحمر وحمراء ثم جمعا على لف كحمر ثم جمع على الفاف لان لف لما صار على زنة فعل المفرد
جمع جمعه كما تقول قفل واقفال نقل الزمخشري هذا القول عن ابن قتيبة ثم قال وما اظنه
واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار كانه استبعد هذا القول من حيث ان
نظائره لا تجمع على افعال فانه لا يجمع خضر على اخضار ولا حمر على احمار مع انهما جمعان لاحمر وحمراء
واخضر وخضراء وفي هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لا يجب بالقياس على نظائره من الجموع بل يكفي
ان يكون له نظير في المفردات فلفظ لف لما كان نظيرا لقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع
على الفاف ولا يضر عدم استعمال احمار واخضار ولهذا امتنعوا من تكثير مفاعل ومفاعيل
لعدم نظيرهما في المفردات حتى يحملا عليه ثم اشار الزمخشري وقيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف
الزوائد لكان قولا وجيها وليس هذا باوجه مما نقل عن ابن قتيبة لانه بناء الجمع بتقدير حذف
الزوائد لا نظير له ايضا وكان له قياس الجمع على تصغير الترخيم وهو ان يحذف الزوائد كلها وكان قياس الجمع
من الاسم ثم يصغر ما بقي نحو ان يقال حميد في احمد ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس
ثقة بالقرائن ويقال سويد في اسود خريج في مخرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير
الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان يحذف
زوائد الاسم ثم ان يجمع ما بقي منه وهذا الذى ذكرنا توضيح لما اورده صاحب الكشاف
على جعل الفاف جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد بقوله وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم
ثابت واما جمعه فلا انتهى ايراده وقيل الجمع ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف قوله

زهرة زهرة زهر

جنة كف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر يقال عيش مغدق اى ناعم
والغدق الماء الكثير وبناؤا اغدق للصيرورة والندامى جمع ندمان يقال نادمت
فلان على الشراب فهو نديمى وندمانى اى جليسى فى مجلس الشراب
وبيض اى حسان وزهر جمع ازهر اى البيض المشرق اللون والاصل زهر
زهر بسكون الهاء وقبلها فى الوقف يصف الشاعر طيب الزمان و
المكان وكرم الاخوان قوله فى علم الله او فى حكمه لما كان الاصل فى كان الناقصة
الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان الذى يدل عليه الفعل بصيغته
ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان للماضى ويكون للحال
او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية
ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان
ايضا فلذلك قيده بعلم الله تعالى او حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء والتقدير
الازلى وهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية
المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزل قوله حدا انوقت به الدنيا ان
تعين به بقاء عالم الدنيا بان ينتهى بقاؤه عند الانتهاء اليه وتوصيف
الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث قيد بكونه
حدا ينتهى عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهى اليه الخلايق من الانس والجن
كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقييد الاول

نقلت حركة الراء الى الهاء صح

الاول بكونه زمان الوعد والثانى بكونه الولادة وقيل الميقات زمان مقيد
بكونه وقت ظهور ما وعد الله تعالى من الثواب والعقاب او بكونه
وقتا لاجتماع الخلايق فى موقف الحساب قوله او بيان ليوم الفصل
يحتمل ان يكون مراده انه عطف بيان له وانه منصوب باضمار اعنى
وافواجا حال من فاعل تاتون وهذا النفخ هى النفخة الاخرة التى عندها
يكون الحشر والنفخ فى الصور اما بمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات
فيكون الصور جمع صورة نحو بسرة وبسر واما بمعنى نفخ اسرافيل
فى القرن فالصور حينئذ مفرد ومعناه القرن الذى ينفخ فيه للبعث قوله
تحشر عشرة اصناف من امتى ان قيل لم لم يذكر هيئة حشر المتقين
من امته حتى يكون الاصناف المحشورين احد عشر صنفا قلت لعل
الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان الذين رضى الله عنهم من المتقين
يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب
اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل
لا يتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورهم الحسنة وتفصيل ما ادى
الى ان يحشروا عليها من الاعمال والاخلاق الصالحة بل مطمح نظره ونهاية
قصده واهتمامه موقوف ببيان الهيئات القبيحة فى الحشر ومعرفة ما كان سببا
لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصى مع الاسباب

المؤدية اليها ولم يتعرض بهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة
الاجمالية اليها بقوله من امتي بين التعيفية والتنكيس تنكيس هيئة
القيام على الرجل بان تجعل الرجل اعلى والراس اسفل قوله ثم فسرهم
بالقتات جمع قتات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة
القردة والثاني للثاني والثالث للثالث وهكذا الى ترتيب اللف والنشر وبيان
المناسبة بين معاصيهم وبين التي يحشرون عليها يفضي الى تطويل
الكلام فليطلب من علم التعبير قوله وشققت اي تفتحت بعد ان كانت ر
تقا لا فطور فيها فيكون قوله تعالى وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا
السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق و
والتفطير متقاربة المعنى قال الامام هذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب
غير المفهوم من التشقيق والتفطير فربما كانت للسماء ابواب ثم يفتح تلك
الابواب مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل
السمعية دلت على ان عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق
والفناء بالكلية انتهى ويمكن ترجيح ما ذهب اليه المصنف بان الفاء
في قوله فكانت ابوابا يدل على ان الفتح سبب لصيرورة الكل كانه ابواب او ذوات
ابواب فلو كان الفتح بمعنى التشقق لا تضح معنى هذه السببية واما لو كان
مستعملا في معناه الحقيقي لكان الابواب حاصلة قبل الفتح الا انها كانت مغلقة

مغلقة فلا يصح ان يقال فكانت ابوابا الا بتأويل بعيد وهو ان
الابواب قبل الفتح كانها معدومة ثم وجدت بالفتح قوله وقرا الكوفيون وهم
ثلثة مشهورة من القراء السبعة عاصم وحمزة والكسائي فانهم قرؤا
لفظ فتحت بتخفيف التاء والباقون بتثقيلها للتكثير والمعنى كثرت
ابوابها المفتحة لنزول الملائكة ولما ورد ان يقال ان قوله تعالى وفتحت
السماء فكانت ابوابا يفيد ان نفس السماء بكليتها تصير ابوابا
كيف يكون ذلك وان تلك الابواب في اي حائط هي اشار الى توجيه المعنى
بوجهين الاول ان قوله فكانت ابوابا محمول على المبالغة من حيث ان
تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كانها ليست الا ابوابا مفتحة
كقوله وفجرنا الارض عيونا ان كان الارض كلها كانها صارت عيونا تتفجر والثاني انه
مبني على حذف المضاف اي فكانت ذات ابواب وقيل ضمير كانت ليس للسماء
بل هو راجع الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الى مضمرها
الملائكة الى المحشر كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا قوله تعالى وفتحت
السماء اه معطوف على قوله فتأتون فان قيل فينبغي ان يقال وتفتح السماء
ليوافق المعطوف والمعطوف عليه فما فائدة العدول الى الماضي في المعطوف
مع ان المعطوف عليه مضارع قلنا فائدة اكتساب كل واحد من المعطوف
والمعطوف عليه من معنى الاخر فان في كون المعطوف ماضيا دلالة على انها واقعة

البتة وكون المعطوف عليه مضارعا اشعارا بانها حكاية حال آتية تصويرا
للشكل كانتيس في مشاهدة السامع ولو جعل حالا لا على معنى فتأتون افواجا وقد فتحت
السماء لكان وجها قوله مثل سراب حمل على التشبيه البليغ ووجه الشبه ما اشار
اليه من ان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي كان يراه
فيه لم يجده شيئا فكذلك الجبال اذا سيرت اى نسفت وقلعت من اصولها
وقيل اذا سيرت اى ازيلت عن وجه الارض بحيث ترى الارض تحتها
بارزة وذلك بان اختار المص هذا المعنى حيث شبه سير الجبال في
الهواء بتسيير الهباء فيها بترسل الرياح فتطيرها في الهواء كانها غبار فمن
نظر اليها يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهى في الحقيقة مارة بسبب لتكاثفها ٤
مرور الرياح بها فان الجبال في هذه الحال وان كانت شيئا موجودا الا
انها لما لم تبق على حقيقتها صارت مثل السراب الذي هو ليس بشيء والهباء
الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق
التراب كذا في الصحاح وتسيير الجبال من جملة احوالها عند قيام الساعة ولها
احوال اخر غيرها ذكرها الله تعالى في آيات متفرقة قيل اول احوالها الاندكاك والا
نكسار ذكره في قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها
الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك
ان تتقطع وتتبدد بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها



الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة
في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها
وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربي نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح
ترفعها عن وجه الارض فتطير في الهواء كانها غبار وهي المراد بقوله وهي تمر
مر السحاب وبين ان تلك الحركة والمرور حصلت بقهره وتسخيره
اياها فقال ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة والحالة السادسة
ان تصير سرابا يعني لا شيء مثله واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا
هي احوال عامة القيمة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم وهو اليها فقال
ان جهنم كانت مرصادا وفي لفظ كانت اشارة الى ان اهل النار منتظر
ومطلوب لجهنم من قديم الزمان على تقدير ان يفسر المرصاد بالمجادة بالمحل ٤
في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد واما على تقدير تفسيره بموضع رصد
ففيه اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة جهنم
يرصدون الكفار او الى ان اهل الجنة منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة
الجنة يستقبلونهم عند جهنم ويرصدونهم عندها ليحرسوهم من فيحها من فيحها ٤
لان ممر المؤمنين كان على جهنم بقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل معناه
كانت مرصادا في علم الله تعالى وفيه مبالغة لا يخفى قوله كالمضمار استشهاد
لكون المرصاد اسما للمكان الذي يرصد فيه والضمر والضمر الهزال وخفة

اللحم وتقصير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في اربعين
يوما وهذه المدة تسمى المضمار والموضع الذي تضمر فيه الخيل ايضا مضمار
وذكر المص في المرصاد وجهين الاول ان يكون اسما للمكان الترقب فان للطاغين

*الرصد هو الترقب ٤*

حال من مآبا وكان صفة له في الاصل بمعنى مرجعا كائنا للطاغين فلما قدم عليه
انتصب حالا او صفة لقوله مرصادا الرصد هو الترقب والثاني انه من ابنية المبالغة *لغة*
كالمعطار والمطعان والمعمار بمعنى ان جهنم تكثر وتبالغ وتجد في ترصد اعداء الله
وتشتاق عليهم كما قال تكاد تميز من الغيظ فقوله او بجدها يحتمل ان يكون بالحاء
المهملة من احدت النظر اذا اتوجهت بالشدة والاهتمام فيكون المرصاد بمعنى
المبالغ في النظر الى الكفار لئلا يشذ واحد منهم قوله على التعليل لقيام الساعة المدلول
بقوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا والمعنى قامت القيمة لان جهنم كانت
مرصادا لاقامة الجزاء لاهل النار بالتعذيب ولاهل الجنة بنعيمها بعد جوازهم
من فيح جهنم فترصد جهنم بالجد والمبالغة او ترصيد الخزنة فيها علة لقيام الساعة
لان الترقب لا يكون الا لقيامها ثم ان كان المرصاد بناء المبالغة على معنى ان جهنم
كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون للطاغين متعلقا بالمرصاد ويكون قوله
مآبا بدلا من قوله مرصادا وكذا ان كان المرصاد اسما لمكان ترصد خزنة الجنة
لاهل الجنة او كان اسما لمكان الترصد مطلقا سواء كان الراصدون خزنة الجنة
او خزنة النار يكون للطاغين متعلقا بقوله مآبا كانه قيل ان جهنم كانت مرصادا

مرصادا للمؤمنين او مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة فيكون قوله ان جهنم
كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون للطاغين مآبا كلاما مبتدأ
ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال
لابثين فيها احقابا ولابثين حال مقدرة من المنوي في قوله للطاغين اي مقدرين
اللبث فيها واحقابا ظرف لقوله لابثين ومعمول له والحقب الدهر وجمعه
احقاب واصل الحقب من الترادف والتتابع احقب اذا اردف ومنه الحقيبة
واحقبه واستحقبه بمعنى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كانه جمعه و
احتقبه من خلفه والمحقب المردف فلذلك فسر المص احقابا بقوله دهورا
مترادفة يتبع بعضها بعضا قوله وهو ابلغ لان الصفة المشبهة يدل على الثبوت
واسم الفاعل على الحدوث فاللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن
شانه اللبث وان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه قوله وقوله ليس فيه ما يدل
على خروجهم منها جواب عما قيل ان الاحقاب وان طالت الا انها متناهية وعذاب
اهل النار غير متناهية بالنص نعم لو قيل الاحقاب لم يرد هذا السؤال الالف و
اللام على استغراق جميع الاحقاب اجاب المص عنه بوجوه تقرير الاول ان احقاب
المنكر لا يدل على التناهي وانقطاع العذاب اذ لو صح ان الحقب الواحد بضع وثمانون
سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روي
كذلك عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وكذا لو صح ان الحقب الواحد سبعون

*ويجوز ان يكون حالا من مآبا وكان صفة فلما قدم عليه انتصب على الحال فيتعلق بالمحذوف ٥*

*الحقب بالضم وبسكون القاف ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك وجمعه حقاب كقف وقفاف والحقبة بكسر القاف واحدة الحقب وهي السنون والحقب بضمتين الدهر وجمعه احقاب مختصر*

قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الآية

الف سنة اليوم منها الف سنة مما تعدون كما روي عن الحسن انه قال الاحقاب
لا يدري احدنا ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف
سنة مما تعدون فليس فيها ما يدل على تناهي تلك الاحقاب لجواز ان
يكون المراد لابثين فيها احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وهكذا
الى الابد وتقرير الثاني انه لو كان فيه ما يدل على خروجهم بان يدل تناهي الحقب
على تناهي الاحقاب المستلزم لانتهاء اللبث منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا
يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وتقرير
الثالث سلمنا ان احقابا المنكر يدل على تناهي وعدم التتابع لا الى نهاية لكن تناهي الاحقاب
انما يستلزم تناهي اللبث المقيد وذلك لا يستلزم الخروج لان تناهي اللبث المقيد
لا يستلزم تناهي مطلق اللبث وذلك ان كون تناهي الاحقاب مستلزما لتناهي اللبث
المقيد مبني على ان لا يكون لا يذوقون كلاما مستأنفا اخبر بذلك عنهم بل يكون حالا من المنوي
في لابثين ان لابثين احقابا غير ذائقين فيها شيئا سوى آنها فيكون حالا متداخلة و
يكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم
انتهاء مطلق اللبث وتقرير الرابع ان ما ذكرتم من ان تناهي الاحقاب يدل على تناهي
اللبث فيها المستلزم لخروجهم عنها موقوف على ان يكون احقابا ظرفا لقوله لابثين و
هو غير مسلم لجواز ان يكون ظرفا منصوبا بقوله لا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول

معمول ما بعد لا عليها فح لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن
احقابا ظرف اللبث وتقرير الخامس ان ما ذكرتم مبني على كون احقابا ظرف لابثين
وهو غير مسلم فانه ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين
بمعنى حقبين ان نكدين وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا ينبو عنه
تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه والمراد بالبرد ما يروحهم و
ينفس عنهم حر النار كانه اشارة الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد
الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا وتقرير الجواب ان التنكير بردا
للنوعية ان ينتفعون به ويميلون اليه قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح و
لا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة فيكون قوله ولا شرابا
بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله في الترويح ويكون الا حميما وكذا
وغساقا استثناء منقطعا من البرد والشراب بمعنى المروح بمعنى ولكن يذوقون
فيها حميما وغساقا والحميم الماء الحار الذي انتهى حره والغساق صديد اهل النار
وان فسر بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس
مما يشرب حتى او النوم انما سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا يرى ان العطشان
اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد والمراد بالبرد الثاني النوم و
بالبرد الاول معناه الاصلي ان اصابني من البرد ما منعني من النوم قال الامام ان فسر
الغساق بالبارد كان التقدير لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما

الا انه اجمالها لحال انتظام الآي وشاكلة من الشعر قول امرء القيس كأن قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والمعنى كان قلوب الطير رطبا
العناب ويابسا الحشف البالي وجعل المص قوله جزاء مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف
وجعل وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اي جزاء ذا وفاق او بان يوصف الجزاء
بالمصدر مبالغة في موافقتها لاعمالهم اي جزاؤهم موافقا او بان يكون وفاقا مصدر
مؤكدا لفعل المحذوف لجزاء فيكون الجملة صفة جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء
وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعو
قبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا لا جزاء
اقوى من التعذيب بالنار فتوافقا وقيل انه وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق
ولم ينقص واعلم انه تعالى لما بين اجمالا انهم جوزوا على حسب اعمالهم وجرائمهم شرع
انواع جرائمهم فبين اولا فساد قوتهم العملية بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا
اي ينكرون القيامة ولا يخافون محاسبة يوم الحساب وهو عبارة عن اقدامهم
على جميع القبائح والمنكرات وعدم رغبتهم في شيء من الطاعات والخيرات فان رغبة
الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المنكرات انما يكون بسبب ايمانه بنفعه في الآخرة
فمن انكر الآخرة ويوم العرض والجزاء لا يأتي بالخيرات ولا يمتنع عن المنكرات فلما كان
انكارها منبع كل فساد اكتفى بذكره عن تفصيل ما يتعلق بباب العمل ولما كان
الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان والشيء الصعب الشاق



الثاني لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال مقاتل وكثير من المفسرين
لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره قوله في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا ثم بين فساد قوتهم النظرية بقوله وكذبوا بآياتنا كذابا كانوا منكرين بقلوبهم
مصرين على الباطل فظهر بذلك انهم كانوا قد بلغوا في الرداءة والفساد الى
حيث تتخيل عقلا وجوه ما هو ازيد منه فلذلك عوقبوا بهول العقاب
جزاء وفاقا قوله وكذبوا بآياتنا يدل على انهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد
والنبوة والمعاد وحقية القرآن وسائر الاحكام الشرعية وهذا غاية الرداءة
ونهاية الفساد بحسب القوة النظرية ثم مطرد شايع مثل كلمتهم كلاما وخرق خرقا
قال صاحب الكشاف وكنت افسرها فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثل
قولك قوله فصدقته وكذبته والمرء ينفعه كذابه استدل به على ان الكذاب مصدر
كذب الثلاثي فمعناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابا فيه مذكور بعد ذكر الفعل الثلاثي
فدل ذلك على انه مصدر لذلك الفعل الثلاثي ويحتمل ان يكون الكذاب فيه مصدر باب
المفاعلة للمبالغة من غير النظر الى المشاركة فيكون مصدر كاذب بمعنى كذب كذبا
عظيما بالغا فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد في زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل
وكماله ووجه التنبيه ان المفاعلة للمغالبة والفعل في المغالبة يكون اقوى وابلغ
فان الفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ منه اذا زاوله وحده من غير من يغالبه
فيه لزيادة ما يكون سببا للاهتمام به فانه يقال يخاشي الله بمعنى يخشاه خشية عظيمة

وهو صدوره منه على قصد ان يغالب صاحبه

ولفظ المفاعلة في مثله مجاز شبه الفاعل الذي لا مشاركة في الفعل لمن له مشارك في كونه مبالغا
في مباشرة الفعل بالجد والاهتمام فاسند اليه الفعل بصيغة المفاعلة الموضوعة لان يسند
الى احد الشريكين بالنسبة الى الآخر فان الفعل الصادر من احد المشاركين فيه يكون صدوره
منه على جد وقوة لصدوره منه على قصد الغلبة على المشارك الآخر فان استعمل فيمن لا
مشارك له فيه يقصد به المبالغة غالبا قيل كون كذابا بالمخفف مصدر كذب الثلاثي
في لغة اهل اليمن فانهم يقولون كذب كذابا مثل كتبت كتابا فان قرئ كذابا في الآية با
لتخفيف يكون انتصابه بكذبوا المشدد على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لكون
الفعل بمعناه لان كذبوا المشدد يتضمن معنى كذبوا المخفف لان كل مكذب بالحق
كاذب ويحتمل ان يكون انتصابه بفعل مقدر من لفظه اي فكذبوا بآياتنا فكذبوا
كذابا او يحتمل ان تنتصب على الحالية بمعنى كاذبين على ان يكون كذابا جمع كاذب كصاحب
وصحاب او المكاذبة عطف على الكذب في قوله معنى الكذب اي يجوز ان يكون كذابا با
المخفف مصدر كاذب الذي هو للمشاركة او للمبالغة من غير النظر الى المشاركة ويجوز
ان يكون انتصاب كذابا بالمخفف على الحال بمعنى المتفنين اي سواء كان بمعنى الكذب
او المكاذبة قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار
جمع ناصر وانتصابه على الحال وجوز ان يكون كذابا في هذه القراءة صيغة مبالغة
للفاعل الواحد جمعا مثل رجل كبار وشاب حسان فيكون كذابا صيغة واحد بالغ
في الكذب وذلك الواحد هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا تكذيبا كذابا اي تكذيبا



تكذيبا مفرطا كذبه ويجوز ان يكون انتصاب كذابا المخفف على تقدير كونه بمعنى المكاذبة
على المصدرية لفعله المقدر والمعنى وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او الكذبوا
المذكور لا يستلزم معنى كاذبوا قيل في جعله مصدر المفاعلة بناء على ان كلا من
المسلمين والكافرين كاذبون عند الآخرين نظر لان كل واحد من المشاركين في
باب المفاعلة يريد ان يغلب على الآخر في ذلك الفعل وهذا انما يكون اذا اتصف كل
منهما بذلك الفعل بنحو خاص في حال المسلمين مع الكافرين ليس كذلك لان كلا منهما
ينفي عن الكذب ويسنده الى الآخر انتهى كلامه فتامل في جوابه قوله وقرئ ابا
لرفع والجمهور على نصب كل شيء بالاضمار على شريطة التفسير وهو الراجح لتقدم
جملة فعلية والمعنى واحصينا كل شيء لما بين الله تعالى ان فساد احوالهم بحسب قوتيهم
العملية والنظرية بلغ الى اقصى الغايات بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كميتها وكيفيتها معلومة
له وكذا ان قدر ما يستحقونه بسببها من العقاب معلوم له فيكون المقصود منه
٣ تقريرها ادعاه من قوله جزاء وفاقا قوله مصدر لاحصينا اما بتاويل احصينا بمعنى كتبنا واما
بتاويل كتابا بمعنى احصاء بناء على ان الاحصاء والكتابة يتشاركان في معنى الضبط عن
الاحصاء بالكتابة تقيد لانه على قوة علمه وتقرره وتمكنه بحيث لا يتطرق الزوال فان الكتابة
هي النهاية في قوة العلم وتقرره ولهذا قال عليه السلام قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى
قال وكل شيء احصيناه احصاء مساويا في قوته والثبات بالعلم المقيد بالكتابة قوله كتابا
يفيد تاكيد ذلك الاحصاء بحسب افهام الخلق والا فالعلم المكتوب يقبل الزوال وعلم الله

بالاشيآء ولا يغلبه اصلا لانه واجب لذاته الواجب قوله او لنفوله عطف على احصيناه وقوله
حال عطف على قوله مصدر لاحصيناه فان قيل لا شك ان احصاء الله تعالى كل شيء مهمه
ازلى والكتابة فى اللوح والصحف حادثة فكيف يجعل حالا من مفعول احصيناه
مع ان المقارنة بين الحال وصاحبها شرط فى تلبس العامل بهما قلنا الازلية لا تنافى ربه
الحادث فى بعض الازمان اى فى زمان وجوده او نقول معناه مقدرين الكتابة فى
اللوح او الصحف وتقرير الكتابة ازلى كالاحصاء قوله مسبب عن كفرهم بالحساب
يريد ان هذه الفاء جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب ومعلل بما تقدم من
كفرهم وتكذيبهم فيكون وكل شيء احصيناه جملة معترضة بين السبب ومسببه
يؤكد كل واحد الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان
ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به فان قيل هذه
الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها فى اول
الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع فى احسانه فالجواب انها مستحقة وترك
المستحقة فى بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا
فى الاحسان قوله ومجيئه على طريق الالتفات حيث ذكرهم اولا بطريق المغايبة فى قوله
انهم كانوا لا يرجون حسابا وفى قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل الخطاب والمشافهة
وهذا يدل على كمال الغضب فان قيل تعالى فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الاية قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة فى تقوية الوعيد



فانه تعالى لما شرح اولا احوال العقاب ثم ادعى كونه وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة
ظهر صحة ما ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان جزاء وفاقا فلا جرم اعاد ذكر العقاب
فقال فذوقوا وهذا كما يقال فى اثبات حدوث العالم مثلا العالم حادث لانه متغير
وكل متغير حادث فالعالم حادث فكذا ههنا افتى اولا ثم اقام الدليل ثم اعاد تلك الفتوى
بعينها مبالغة فى التقرير قوله وفى الحديث هذه الاية اشد ما فى القرآن على اهل النار
كلما استغاثوا من نوع العذاب اغيثوا باشد منه فيكون كل مرتبة منه متناهيا
فى الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشار اليه
٣ سابقا قوله فوزا على ان يكون المفاز مصدرا ميميا ثم الفوز قد يطلق على الظفر بالمطلوب
وقد يطلق على الظفر بالنجاة عن المكروه ولذلك يقال للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا
بالخلاص منها وقد يطلق على الفوز بمجموع الامرين والظاهر المراد بالفوز فى الاية الظفر
بالمطلوب لانه تعالى فسرها بما بعده وهو قوله حدائق واعنابا فوجب ان يكون المراد من
المفاز هذا القدر فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم
وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا
لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم
الخلاص من الهلاك فكانه ذكره اولا بدل الاشتمال او البعض بدل الاشتمال ظاهر
على تقدير كون مفازا مصدرا ميميا لان الفوز يدل على الحدائق والاعناب والكواعب دلالة
التزامية ولا معنى للاشتمال الا دلالة المبدل منه على البدل بتلك الدلالة لا انه يكون

المبدل منه كالمشتمل على البدل وقد بيّن في موضعه وكذا على تقدير كون مفازا اسم موضع
يصح كون اعنابا وكاسا بدل الاشتمال منه ولا يصح ذلك في حدائق لانها بعض المفاز
فلا يكون بدل اشتمال منه واما بدل البعض فلا يصح على تقدير كون مفازا مصدرا
وهو ظاهر وعلى تقدير كونه اسم موضع يصح في الحدائق لانها بعضه ولا يصح في الاعناب
والكؤوس لانهما ليسا بعضا منه والحق انه يجوز ان يكون شيء بدل بعض والمعطوف
على ذلك الشيء بدل الاشتمال او الحدائق جمع حديقة وهي البستان المحاط به من حدق
بالشيء اذا احاط به وهي فعيلة بمعنى مفعلة كشعيلة بمعنى مشعلة او مجزء وبالعكس فكان
قوله بدلا الاشتمال او البعض مانعة الخلو او لا يخلو عنهما سواء كان المفاز مصدرا
ميميا او اسم موضع قوله فلكت ثديهن استدار وصار كالكعب في النتوء يقال
فلك ثدي الجارية تفليكا اي استدار كفلكة المغزل قوله لدات جمع لدة الرجل تربه
وقرينه في السن والميلاد والهاء في لدة عوض من الواو الذاهبة من اوله لانه
من الولادة قوله دهاقا فدهاق مصدر على وزن فعال بمعنى مدهقة اي مملوءة وصف ٣
به ان متملئة الكاس للمبالغة في امتلائه اللغو من الكلام ما يلغى ويطرح لعدم
الفائدة فيه لا يسمعون فيها اي الحدائق وقيل في الكاس وهو الخمر في غالب
الاستعمال والمراد به ههنا القدح الذي فيه خمر بقرينة وصفه بالدهاق واهل
الشرب في الدنيا يتغير عقولهم فيجري بينهم لغو في الكاس التي شربوها
بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا يتغير عقولهم فلا يتكلمون باللغو والهذ يان

يان والعيام والعدوان ولا يكذب بعضهم بعضا فيما يسمعون اشياءهم منه لا
قوله بمقتضى وعده اشارة الى جواب ما قيل انه تعالى جعل الشيء الواحد جزاء وعطاء
وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي
عدم الاستحقاق والجمع بينهما جمع بين المتنافيين وتقرير الجواب ان ذلك الاستحقاق
انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله تعالى بالنظر
الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله تعالى
لاحد شيء يكون تفضلا وعطاء وانتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المدلول
عليه بقوله ان للمتقين مفازا كانه قيل جازى الله المتقين بمفاز جزاء قوله بدل
من جزاء ان قوله عطاء بدل من قوله جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحد
ان ذاتا وان تغايرا في المفهوم وفي جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهي ان بيان كونه
عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان من حق
البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه وقيل منتصب
به نصب المفعول به يعني انه قيل ان عطاء منصوب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم
عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى من الاعيان قيل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر
مؤكد لمضمون الجملة التي هي قوله ان للمتقين مفازا والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى
ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك اذ لا يقال ضربت ان ضربت زيدا لا يذكر الفعل
بان مع الفعل بل بالمصدر الصريح قال سيبويه في كتابه ويعمل عمل فعله ماضيا كان او حر ه

بناء على ان كذابا بالتشديد بمعنى تكذيبا

اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تاكيد الفعل بان مع الفعل
لفظا عدم كون المفعول مطلق بمعنى ان مع الفعل يعني لا يجب ان يكون حكم صريح ان مع الفعل
متحدا مع حكم ما هو بمعنى صريح ان مع الفعل فجاز ان يؤكد الفعل بالمصدر الذي هو بمعنى صريح
ان مع الفعل مع انه لا يجوز ان يؤكد بصريح ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق
بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا    كافيا اشارة الى ان حسابا صفة لعطاء كقوله
فهو مصدر اقيم مقام محسب اي كافيا من قولهم اعطاني ما احسبني اي ما كفاني ومنه قول
ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي وتقول احسبت فلانا
اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي    او على حسب اعمالهم والتقدير على هذا عطاء بحسا
فحذف الجار ونصب الاسم في الصحاح حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته
وقدرته وتفسيرها بقوله على حسب اعمالهم اي عطاء كائنا على قدرها وعددها
مبني على تلك اللغة والتفسير الاول مبني على كونه من قول الجوهري احسبني الشيء اي كفاني ن
واحسبته وحسبته بالتشديد بمعنى اي اعطيته ما يرضيه وتحسبه ان نعطيه حتى يقول
حسبي وحسبك درهم اي كفاك وهو اسم انتهى والاظهر ان يقال على حسب ما وعد له
من الاضعاف في مقابلة اعماله فانه تعالى قدر الجزاء على ثلثة اوجه وجه منها على عشرة
اضعاف كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ووجه على سبعمائة ضعف كما في
اية السنبلة ووجه على ما لا نهاية له كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فان قول المصنف على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون



يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مثل الاعمال
البتة فلا يكون مراد المص كون الاضعاف الموعودة من الجزاء على حسب اعمالهم
بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف **قوله** وقرئ حسابا بالفتح الحاء و
تشديد السين بمعنى عطاء محسبا اي كافيا على انه صيغة المبالغة من اعطى
ما احسبه اي كفاه ما يدل على المبالغة في الكفاية وقياس فعال ان يبنى من الثلاثي
وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال افعل مبالغة مفعل كما يقال اجبره
فهو جبار اي مجبر وادرك فهو دراك اي مدرك واقصر عن الشيء فهو قصار اي مقصر
**قوله** وقد رفعه الحجازيان وهما نافع المدني وعبد الله كثير المكي انما قال على الابتداء مع
احتمال كونه خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات لان الابتداء راجح لعدم
احتياجه الى الحذف **قوله** الرحمن بالجر صفة له في اسم الرب والرحمن ثلث قراات ر
فع الاسمين الا ابن كثير ونافع وابو عمرو وخفضهما الا ابن عامر وعاصم وخفض الاول
ورفع الثاني حمزة والكسائي اما رفعهما فبان يكون كل واحد منهما خبر مبتدا والثاني
خبرا عنه فيكون قوله لا يملكون استينافا او بان يكون الاول مبتدا والثاني صفة
ولا يملكون خبره واما جرهما فلما ذكرناه المصنف من كون رب السموات بدلا
من ربك الرحمن صفته واما جر الاول فلكونه بدلا من ربك ورفع الثاني فلكونه
مبتدا ولا يملكون خبره او لكونه خبر مبتدا محذوف ولا يملكون استينافا او خبر
بعد خبر **قوله** لا يملكون خطابه يدل على ان من في منه زائدة والظاهر انه متعلق

يتكلمون والمعنى لا يملكون من جهته تعالى خطابا واحدا ان لا يملكوا لله تعالى ان يخاطبوه
كما تقول ملكت درهما فيكون من الابتداء الغاية الآن هذا الوجه وان كان كان اقرب بحسب
العبارة الآن يفيد بحسب المعنى اذ المعنى انهم لا يستحقون من عند انفسهم مخاطبة
الله تعالى ومكالمته من حيث انهم انفسهم مملوكون والمملوك لا يستحق على مالكه شيئا
الا انه تعالى لا يمكنهم من ان يخاطبني كيف وانه ينبغي ان يشفعوا عنده باذنه بخلاف
مالو جعل من زائدة فان الكلام ح يدل على نفي ان يملكوا خطابه وذلك لا ينافي الشفاعة
باذنه لانها من حيث انها تحصل بفضله واحسانه غير مملوكة لهم بحسب انفسهم والاعتراض
على احد عبارة عن ان يكلمه في اثناء كلامه وحكمه من لا تعلق له بما هو فيه من المصالح. و
المقصود من ايراد لفظ الاعتراض ههنا الاحتراز عن دخول الشفاعة باذنه في
الخطاب وانما قيد بقوله في ثواب وعقاب للاشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبله
من وعيد الكفار والمؤمنين فالمعنى ان يخاطبوه فيما سبق من الثواب والعقاب قوله
فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق اشارة الى ان في هذه الآية دلالة على ان الملائكة
افضل من البشر وذلك لان المقصود من الآية ان الملائكة والروح مع كونهم افضل
المخلوقات واشرفهم لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا
منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم ان عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم
ان هذا الاستدلال لا يتم الا اذا كانوا افضل الخلائق وتقرير المصنف محل بحث ٣
لان المستفاد من نظم الآية انحصار قدرة التكلم المطلق فيمن اذن له الرحمن وقال

وقال صوابا من الروح والملك والمستفاد من تقرير المصنف انحصار قدرة التكلم
بالصواب في الاذن فلا مطابقة بين الآية وبين تقرير المصنف من وجهين احدها
ان المفهوم من الآية انحصار قدرة التكلم المطلق ومن تقرير المصنف انحصار قدرة
التكلم المقيد وثانيهما ان المفهوم من الآية انحصار القدرة فيمن اذن له وقال صوابا
من تقرير المصنف انحصارها فيمن اذن له فقط وجوابه انه لما استفيد من الآية
انه لا بد في القدرة على التكلم المطلق عند من اجتماع ان يكون المتكلم مأذونا منه تعالى
وان يكون ذلك الكلام الذي يتكلم به صوابا فقد استفيد منها انه لا بد في القدرة على التكلم
٣ بالصواب من كون المتكلم به مأذونا منه تعالى فيه فتقرير المصنف بيان المحصول
معنى الآية مطابق لها قوله يوم ظرف لا يملكون قوله ولا يتكلمون اما حال من فاعل يقوم
اي ساكتين او غير ناطقين واما مستأنف لبيان حال الروح والملائكة وعلى تقدير
كونه مستأنفا يكون قول المصنف تقرير وتوكيد لقوله تعالى لا يتكلمون وعلى
تقدير كونه حالا يكون قوله لا يملكون الى قوله صوابا كلاما واحدا والتقرير يستدعي د ح
ان يتحقق كلامان يقرر احدهما مضمون الآخر وذلك انما يظهر اذا كان يوم ظرفا
ليتكلمون وكانت الجملة مستأنفة لبيان حال الروح والملائكة فكلامه لا يخلو
من اضطراب واختلفوا في الروح في هذه الآية فعن ابن مسعود رضي انه ملك اعظم
من السموات والجبال وعن ابن عباس رضي انه ملك من اعظم الملائكة خلقا وعن
مجاهد انهم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون وليسوا بناس وعن

ابن عباس الحسن وقتادة هم بنو ادم وعلى هذا معناه ذو الروح وعن الضحاك والشعبي
هو جبرائيل عليه السلام قيل هذا القول هو المختار لان القران يدل على ان هذا الاسم
جبرئيل وثبت ان القيام صحيح من جبرئيل ويصح ان يتكلم ويؤذن له فيه فكيف نصرف هذا
الاسم عنه الى خلق لا نعرفه وقوله تعالى صفا حال فيحتمل ان الروح على الاختلاف المذكور
وجميع الملائكة يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين على ما روي
ان الروح ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه ويكون عظم خلقته مثل صفوفهم
فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقام الملائكة كلهم صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى
يقومون صفوفا مصطفين والصف في الاصل مصدر يطلق على الواحد والجمع فان
قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انهم يقومون صفوفا وقوله تعالى الا من
اذن يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب
والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى
لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له بابا
للشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان فان المؤمنين
لهم الشفاعة كما للانبياء وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا من اذن له
الا في حق شخص اذن الرحمن له في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا
يعني حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن

في موضع الجر على تقدير جار محذوف اي لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذي اريد به المشفوع
له والخطاب في قوله انا انذرناكم لمشركي العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث
ويوم ظرف لمحذوف اي انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام
للمؤمنين والكافرين لان لكل واحد منهما عملا في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا فيرى
المؤمن ثواب الله تعالى على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئته واما الكافر فيقول يا ليتني
كنت ترابا قال ابو الزناد اذا قضي بين الخلائق يجاء من القرناء يقال لسائر الامم من
البهائم والطيور ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين

يراهم يا ليتني كنت ترابا حيث لا يتوقع العفو واليقين بالخلود في العذاب الدائم وقال ليث
بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد
مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اقبح فانهم مكلفون مثابون
ومعاقبون كبني ادم كذا في اللباب والمنادى في قوله يا ليتني محذوف اي يا قوم وكنت ترابا
في محل الرفع على انه خبر ليت **سورة والنازعات** وهي جمع نازعة الواقعة صفة
لطائفة من الملائكة انثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل
نازعات وناشطات كما مر في سورة والمرسلات والنزع جذب الشيء بشدة والنشط جذبه
برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في
القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل ذكر المصنف اولا احتمال ان يكون هذه الصفات
لجنس الموصوف واحد هو طوائف ملائكة الموت والعطف لتغاير الصفات وفسر قوله
فتر

غرقا بتفسيرين الاول انه مصدر بمعنى الاغراق قال الامام الغرق والاغراق في اللغة بمعنى واحد
فيكون انتصابه على انه مفعول مطلق للنازعات لان الشرط اتفاق المصدر مع عامله في المعنى
وهو حاصل هنا لان الغرق نوع النزع قال ابو البقاء غرقا مصدر بحذف الزوائد اي اغراقا في
النزع والثاني انه مصدر بمعنى الصفة المشبهة او هو مخفف غرقا بكسر الراء حذف موصوفها و
هو النفوس وتذكير صفتها باعتبار الجنس فيكون انتصابه على انه صفة لمفعول به محذوف
فقول المصنف او نفوسا غرقة عطف على قوله اغراقا فان قيل على تقدير ان غرقا صفة
للنفوس هل يكون المراد بالنفوس ما يعم نفس المؤمن والكافر او خاصا بالكافر قلنا خاص
بقرينة النزع والنشط لان قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم بملك الموت و
اعوانه الا ان الاول اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار والثاني الى كيفية قبض ارواح
المؤمنين ووجه التخصيص ما مر من الفرق بين النزع والنشط وان النزع الشيء جذبه من مقره
بشدة والنشط جذبه منه برفق فالملائكة ارواح المؤمنين كما ينشط الدلو من البئر وارواح الكفرة
كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق في اطراف الارض وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حي ولان
نفوس المؤمنين ليست بغرقة في اجسادهم من حيث انها تطير الى عالم القدس في اوقات
توجههم وحضورهم قوله ويسبحون في اخراجها سبح الغواص اشارة الى ان قوله
والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه ملابسة ملائكة الموت اياهم في نزع الارواح و
نشطها بسبح الغواص لاخراج الشيء من اعماق البحر فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا
الملائكة يرفقون في ذلك الاستخراج لئلا يصل اليه الم وشدة ثم استعمل لفظ السبح في تلك

في تلك الملابسة ثم اشتق منه السابحات قال قطرب السابحات الملائكة يقبضون ارواح
المؤمنين يسلونها سلا رويدا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يسلونها سلا رفيقا
ثم يدعونها تستريح كذا قال الكلبي والسابح في الماء كذلك كذا في التفسير قوله فيسبقون
بارواح الكفار الى النار ان قيل السبق لا بد له من المسبوق فاين المسبوق ههنا قلنا لعل
السبق ههنا كناية عن الاسراع في ايصال كل واحد من الارواح الى منزله لان السبق
من لوازم الاسراع وايضا ارواح الكفار تسبق ارواح عصاة المؤمنين في دخول النار
والظاهر ان ارواح المؤمنين تسبق ارواح الكفار بمعنى انهم يدخلون الجنة قبل اهل
النار النار بمقتضى قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي والله اعلم والفاء في قوله فالسابقات
وقوله فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب
والعقاب يعقب الادخال في الجنة والنار واعلم ان كون هذه الصفات الخمس لموصوف
واحد يقتضي ان يكون ملائكة الموت عين ملائكة الرحمة والعذاب حيث ذكر ان ملائكة الموت
بعد قبض الارواح يدخلونها الجنة او النار وبعد الادخال يدبرون امر عقابها وثوابها ولعل
قول المصنف بان يهيئوها الى الاشارة الى دفعه فتأمل قوله او الاوليان لهم عطف على قوله
هذه صفات ملائكة يعني ان الاوليان من الكلمات الخمس وهما قوله والنازعات غرقا والنا
شطات نشطا صفتا ملائكة الموت والثلث الباقية لطوائف اخر فيكون قوله و
السابحات قسما ثانيا والواو فيها للقسم والكلمتان اللتان بعدها عطف عليها على طريق
عطف الصفة على الصفة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائي وقوله والناشطات عطف

عليه ففي الكلام قسمان اقسم اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون
من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء واستعارة السبح
للاسراع شايع كما يقال للفرس الجواد انه سبح **قوله** او صفات النجوم عطف على قوله صفات
ملائكة الموت فالنازعات على هذا بمعنى الذاهبات وفي ديوان الادب نزع اليه اي
ذهب فكانها يطلع وتغرب بالنزوع والشروق وغرقا حال من المنوي في النازعات اي
وطوائف النجوم الذاهبات من المشرق مغرقات اي متوغلات في الذهاب بالغات الى
اقصى درجاتها او غرقات اي غائبات في افق المغرب فعلى هذا يكون النازعات اشارة
الى طلوعها وغرقا اشارة الى غروبها **قوله** تقطع الفلك يشعر بان النجوم تتحرك بنفسها
في الفلك بحيث يكون الفلك مسافة لحركتها مثل كون الارض مسافة لحركة الابنية الواقعة
عليها والظاهر ان الامر ليس كذلك بل ان النجوم مركوزة في الافلاك تتحرك بحركتها وانما قال
تقطع الفلك نظرا الى ما نراها انها تتحرك فيه حركة ابنية وكذا الكلام في السابح **قوله** وتنشط
من برج الى برج نقل الامام هذا المعنى من صاحب الكشاف ثم قال واقول رجع حاصل
هذا الكلام الى ان قوله والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية والناشطات نشطا
اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب
ان حركاتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملايمة لذواتها
فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني بالنشط فتامل يا هذا المسكين في هذه الاسرار
**قوله** فالمدبرات امرا يعني بها ان قيل قال الله تعالى ان الامر كله لله فكيف اثبت التدبير في الامور

مور ههنا للغير والجواب انه تعالى لما خلق الاشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة
بها كان الامر كله لله وصح اسناد التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور
فان قيل لم قال والمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة
والجواب المراد به الجنس فقام مقام الجمع لذلك **قوله** او صفات النفوس الفاضلة فانها
تنزع على صيغة المجهول لان تلك النفوس منزوعة عن الابدان فاطلاق النازعات
عليها كاطلاق نحو تامر ولابن بمعنى ذات تمر ولبن او ذو تمر فان تلك النفوس اذا كانت
منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس اللابن والعاصي وانما
قيد النفوس بالفاضلة لان النشاط الى عالم الملكوت والسباحة فيه والسبق
الى حظاير القدس وتدبير النفوس القاصرة انما يتصور من النفوس الفاضلة فان
النفوس البشرية الخالية عن العلايق الجسمانية المشوقة الى الاتصال بالعالم
العلوي بعد خروجها من ظلمة الاجساد يذهب اليه على اسرع الوجوه في روح
وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لا شك ان مراتب النفوس
الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم
في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها
اثقل ولا شك ان الارواح السابقة اليه اشرف فلا جرم وقع القسم بها حيث
قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها لشرفها
وقوتها اثار في هذا العالم فيكون مدبرات الا يرى ان الانسان قد يرى في المنام

ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه **قوله** او حال سلوكها عطف على حال المفارقة
اى انها صفات لنفوس حال سلوكها **قوله** اقسم الله بها على قيام الساعة يريد ان جواب القسم
محذوف تقديره ان القيمة واقعة يدل عليه قوله تعالى والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون
لصادق وقوله تعالى والمرسلات عرفا انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القرآن
كالسورة الواحدة وقوله يوم ترجف منصوب بالجواب المحذوف فان قيل كيف يصح هذا
مع ان القيمة لا تقع يوم الراجفة وهى النفخة الاولى التى تموت فيها الاحياء بل انما تقع
عند النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة قلنا المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الو
اسع الذى يحصل فيه النفختان ولا شك انها تقع فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت
النفخة الثانية ويدل على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا من الراجفة فانه يستلزم
كون رجفان الراجفة واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له وان يكون فى زمان واحد لان
الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون الا بان يكون
المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجعة الحركة والاضطراب لقوله تعالى يوم
ترجف الارض وترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى كون قيام مدلوله بفاعله على وجه الحدوث
والحركة انما تحدث فى الاجرام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة التى تعرض
لها الحركة **قوله** والواقعة التى ترجف عندها الاجرام وهى النفخة الاولى اسند اليها الرجف
مجازا على طريق اسناد الفعل الى السبب فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب
الاجرام الساكنة وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة

الساكنة يكون اسناد الرجف اليها حقيقة ويكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة
كالسماء والكواكب لان انشقاقها وانتثار كواكبها تحصل اثر حركة الراجفة **قوله**
او النفخة الثانية هذا على تقدير ان يفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل شئ
آخر يقال ردفه اى جاء بعده كالنفخة الثانية تجئ بعد الاولى وكتغير احوال الاجرام
المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانه يردف ويجئ اثر تحرك السواكن
وتزلزلها **قوله** وهى صفة لقلوب اشارة الى وجه صحة الابتداء بقلوب وهو نكرة
يعنى انه وان كان نكرة لكنه موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز ان يكون
فقلوب مبتدا ويومئذ منصوب بواجفة وابصارها مبتدا ثان وخاشعة خبره وهو
مع خبره خبر الاول واضيف الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير
المضاف واشار المصنف اليه بقوله ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب
ايضا قوله يقولون قال الامام خصص القلوب بالواجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق
بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل
المراد قلوب الكفرة ومما يؤكد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون فى
الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين **قوله** وذلك لاجل ان ذلة ابصارهم من
الخوف بحيث يترقبون ان شئ ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى
القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها واضافة الابصار لما كانت فى معنى توصيفها
بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالاذلة وان سبب ذلتها ما فى القلوب من الخوف

ثم انه تعالى حكى عن منكري النبوة والبعث اقوالا ثلثة اولها قولهم ائنا لمردودون في الحافرة وثانيها
قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت
عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا منها قوله نحفرها ان اثر فيها بمشيه فالحافرة في
الحقيقة هو الماشي في تلك الطريقة وان الطريقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة
راضية وماء دافق فان حق هذه الالفاظ ان يسند الى فاعل لكنها اسندت الى المفعول
على النسبة ان منسوبة الى الحفر والرضى والدفق **قوله** او تشبيه القابل بالفاعل فان
وجود الفعل يتوقف على وجود كل واحد من الفاعل والقابل كما يقال صام نهاره
تشبيها لزمان الفعل بفاعله والحاصل ان الرجوع في الحافرة في الاصل عبارة
عن الرجوع الى الطريقة التي سلكها اولا اثر فيها بمشيه عليها ثم اطلق على الرجوع
في الاحوال من اخر الحال الى اولها قال الواحدي الحافرة عند العرب اسم لاول الشيء
وابتداء الامر قال الشاعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يقول
ارجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد ان شبت وصلعت ثم قال
معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فظهر ان معنى الاية انرد الى احوالنا وابتداء
امرنا فنصير احياء كما كنا قوله تعالى حفرت اسنانه اي اثر الاكال في اصولها فحفرت
حفرا فصارت ذات حفر بان ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها والحفر
سلاق في اصول الاسنان والمراد بالحفرة في هذه القراءة الارض التي تغيرت وانتنت
باجسادها وباجسام الموتى والمعنى ائنا لمردودون ونحن في الارض المتغيرة بموتاها و

ها واجسادهم فقوله في الحفرة على هذا في موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل الحفرة بمعنى
الحافرة ومقصورة منها وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت
حافرة بمعنى المحفورة نحو عيشة راضية بمعنى مرضية فيكون في الحافرة ايضا حالا **قوله** وقرا
نافع وابن عامر اءذا معمول لقوله لمردودون على قراءة من قرا اذا على الخبر واما من قرا ائذا
على الاستفهام فعامله محذوف يدل عليه لمردودون والتقدير ائذا كنا عظاما نخرة وفيه
زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ محذوف لان حرف الاستفهام يمنع من ان
يكون ما بعده معمولا لما قبلها **قوله** وهي ابلغ لان فعلا من صيغ المبالغة او لانه صفة مشبهة
دالة على الثبوت فان لفظ فاعل انما يطلق على من صدر عنه الفعل ولفظ فعل يطلق على من
كان الفعل فيه غريزة او كالغريزة فالنخرة والناخرة لغتان بمعنى واحد كالطمع والطامع
واللبث واللابث وفعل ابلغ والنخرة البالي يقال نخر العظم او الخشب بكسر العين اذا بلي
واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية
واما الناخرة فهي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من هبوب كريح كنخير النائم
والمجنون لا من النخر التي هي البلى واعلم انه حصل شبهة من حمل ما اصح على انكار البعث بقوله
ائذا كنا عظاما نخرة ان الذي يشير اليه كل احد بقوله انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص
فاذا مات فسد تركيبه فيمتنع اعادته لاختلاط كل جسم عنصري منه باصله فيتميز
تلك الاجزاء عن اصلها ممكن العجز وكذا تميز بعضها عن بعض محال ولان الاجزاء
الترابية باردة يابسة فيمتنع تولد الانسان منها لانه صار رطب في مزاجه ولان

اعادة عين ما عدم اولا محال لان الذي عدم لم يبق له عين ولا ذات ولا خصوصية فاذا دخل
شيء آخر في الوجود استحال ان يقال بان هذا العائد هو عين ما فني اولا والجواب انا لا نم
ان ما اشار اليه كل واحد بقوله انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فان الدليل عليه
بل يجوز ان يكون امرا مجردا ليس بجسم ولا جسماني كما ذهب اليه طائفة عظيمة
من المسلمين والفلاسفة او يكون جسما مخالفا بالماهية للاجسام القابلة للكون
والفساد ساريا فيه كماء الورد في الورد وكالنار في الفحم والدهن في السمسم فاذا
فسد هذا الهيكل بقي ذلك الجسم حيا مدركا اما فلا اما في السعادة او يكون جسما مساويا
لهذه الاجسام في الماهية الا ان الله تعالى خصها بالبقاء بالاستمرار من اول عمره الى الابد
وعند هذه الاحتمالات لا يلزم من فساد البدن وتفرق اجزائه فساد ما هو الانسان
حقيقة ولئن سلمنا ان الانسان هو هذا الهيكل فلا نم امتناع اعادة المعدوم
قوله اختلط اجزاؤه والعنصرية بالعناصر فلا تتميز قلنا علمه تعالى محيط بجميع المعلومات
من الكليات والجزئيات وانه تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على جمعها باعيانها
واعادة الحيوة اليها لانها متميزة في علمه قوله الاجزاء الترابية باردة يابسة
قلنا السمندر يعيش في النار والنعامة تبتلع الحديد المحماة فيبطل الاعتماد على الا
ستقراء قوله والمعدوم لم يبق له عين فلا يصح الحكم بان العائد عين الفاني قلنا بقاء
الاعيان المتميزة في علمه المحيط كاف في صحة الحكم بان الداخل في الوجود هو عين ما فني
اولا قوله ذات خسران او خاسر اصحاب يعني ان اسناد الخسران الى الكرة

والحال انهم هم الخاسرون والكرة مخصوصة فيها اما على ارادة النسبة من اسم الفاعل
كلابن وتامر بمعنى ذات لبن وتمر ومنسوب اليهما واما على الاسناد المجازي على طريق اسناد
الفعل الى ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل اصحاب التجارة والربح و
التجارة متقارنان في الوجود قوله تعالى تلك مبتدأ اشير بها الى الردة والرجعة الى الحافرة
وكرة خبرها والمعنى ان كان بعثنا بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة وهذا
المعنى افادته كلمة اذن فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور والكرة الرجوع والكرة
يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجع بنفسه ورجعه غيره والكرة
المرة من الرجوع والجمع كرات وقولهم هذا استهزاء منهم بالحشر حيث ابرزوا
واما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع قوله متعلق
بمحذوف يريد بالتعلق التعلق بحسب المعنى وهو العطف والتقدير لا تحسبوا تلك
الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة يقال
زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل
قال المفسرون يجمعهم الله تعالى في بطون الارض فيسمعونها فيقومون قوله فاذا
هم احياء على وجه الارض فسر الساهرة بوجه الارض موافقا لتفسير الصحاح و
ذلك يدل على ان المراد بها ارض الدنيا قال الامام واختلفوا فيها فقال بعضهم هي
ارض الدنيا وقال آخرون هي الارض الآخرة عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا
الى ارض الآخرة ولعل هذا الوجه اقرب انتهى وفي التيسير قال الخليل بالساهرة

ان توجه الارض بعدان كانوا في بطنها وهو قول الاخفش والاجيده وقطرب وجمع اللغة
وقال الفراء سميت بها لان منام الحيوان وسهرهم فيها ووصفت الارض حيز بديع ونظيره
قوله تع سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وهذا توضيح ما في التيسير جريان سراب فيها لجريانها
اعليها فقيل لها ساهرة بمعنى صاربة الماء قال الشاعر وساهرة يضحى السراب مجللا لاقطارها
وجبتها مثلها مجللا معطا ومنه جل الدابة لاقطارها اى بجوانبها يقول رب ساهرة قد
ظل السراب وجوانبها وقت الضحى قد قطعتها متلثما اى وانا اشد اللثام على فمي وانفي من
خوف هبوب السموم الحار القاتل يقال اضحى فلان يفعل كذا اذا كان يفعله بالضحى كما يقال ظل يفعل
كذا اذا كان يفعله بالنهار دون الليل قوله او لان سالكها لا يسهر خوفا فوصفت الارض
بصفة من سلك فيها وهي السهر لاجل الخوف قال الامام فتلك الارض لجميع الكفار فيها في موقف
القيمة يكونوا فيها في اشد الخوف فسميت تلك الارض ساهرة لهذا السبب وقال قتادة
هي جهنم والمعنى فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لان اهلها لا ينامون فيها
قوله اليس قد اتاك حديثه اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة
لكثرة وقوع هل في الاستفهام بحيث صارت كانها علم الاستفهام التقرير ومعنى تقريب الحكم
المقربة من الحال المعربة فلذلك الى في تفسير هل اتيك بهمزة الاستفهام وقد اى قد جاءك وو
بلغك حديثه من قريب على ان يكون الاستفهام محمل المخاطب على ان يقر بامر يعرفه قبل ذلك كما في الم
نشرح صدرك والم يجدك واليس الله بكاف عبده وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك
الحديث قبل هذا الكلام واما ان لم يكن قد اتاه فعند يجوز ان يقال هل اتاك حديث موسى ام

انا اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى فلا يكون الاستفهام ح محمل المخاطب على الاقرار بل
محمل على طلب الاخبار والمص حمله على الاحتمال الاول وتقدير كلمة ليس يدل عليه اذ لا وجه
لتقدير ما سوى تبقى الاستفهام استفهام تقرير وذلك ان الكفار لما اصروا على انكار البعث
انتهوا في ذلك الى ان استهزؤا بقولهم تلك اذن كرة خاسرة وشق ذلك على رسول الله صلى الله
وحزن بسببه فجعل حرم كانه لم يعلم بحديث موسى عليه السلام وانه لم يات بعد والا
لما كان يتحزن به بل يتسلى بذلك الحديث المنبئ عن تحمل موسى عليه السلام مشاق
عظيمة في دعوة فرعون فناسب ان يدخل اداة الاستفهام على كلمة النفي ولهذا
قدر قوله تع هل اتاك بقوله اليس هذا اتاك والا فلا يطابق التفسير للمفسر
بحسب الظاهر وظهر بما ذكرنا وجه تفرع قوله فيسليك على تكذيب قومك على تقييد
المذكور وايضا ان عطف قوله ويهددهم على قوله فيسليك المستلزم لكون التهديد
المذكور ايضا متفرعا على التفسير المذكور محل بحث لان التهديد المذكور لا يظهر تفرعه
على التفسير المذكور بل الظاهر انه متفرع على ان الاستفهام في هل اتاك محمل المخاطب
على طلب الاخبار بان يكون المعنى هل اتاك حديث موسى ام انا اخبرك به فتهدد به
المشركين ووجه التهديد ان فرعون كان من اقوى من كفار قريش واكثر جمعا واشد
شوكة فلما تمرد على موسى اخذه الله نكال الآخرة والاولى فكذلك هؤلاء المشركون
في تمردهم عليك ان اصروا اخذهم الله وجعلهم نكالا وعبرة للعالمين قوله قد مر بيانه
اى بيان قوله طوى وهو ان طوى بالضم اسم للوادي فيكون عطف بيان للوادي المقدس

وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر في انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء وهو الشيء المثنى وفي الصحاح
الثنى مقصور الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل
ان يتعلق بنودي اي نودي نداءين وان يتعلق بالمقدس اي قدس مرتين وثنيت فيه
البركة والتقديس وقرأه نافع وابن كثير وابو عمرو طوى بضم الطاء غير منون وقرأه ابن عامر والكو
فيون بالتنوين وضم الطاء وروي عن ابي عمرو طوى بكسر الطاء وقال وطوى مثل ثنى في انهما اسمان
للشيء المثنى والطوى بمعنى الثنى اي ثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى واد بين المدينة
ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية بلا سم المكان وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا من جهة
كرورنه ثم قال والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول نظيرا اي لم اجد اسما من الوادي عدل من
فاعله غير طوى وقيل طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن
عباس واذ في قوله اذ ناداه ظرف منصوب بحديث اي هل اتيك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا بأتيك
لاختلاف وقتي الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع في وقت النداء **قوله** واذهب مقول قول
مضمر اي اذ ناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين انه تعدى في اي
شيء ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله وكفر به وقال اخرون انه طغى على بني
اسرائيل بان استعبدهم بكمال التذليل والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق ويكون المعنى
انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون
الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما وهذا
اوجه من الحمل على احدهما فقط **قوله** هل لك ميل اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف والى ان متعلق

متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقراءة تزكى بتشديد الزاي مبني على ادغام تاء التفعل في الزاي
لتقاربهما والتخفيف حذف اي اجتماع المتقاربين كاجتماع المثلين ومن قرأه بالتخفيف
حذف احدى التاءين وهو من طرق تخفيف الثقل الحاصل من اجتماع المثلين والتزكي التطهر
من العيوب بالسعي والاجتهاد وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل لك
ميل الى ان تفعل ما تصير به زكيا من كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتعلق بالاعتقاد والعمل
ثم فصل الفعل الذي يصير به زكيا بان ذكر اول ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد وهو
معرفة الله تعالى ثم فرع عليه ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية
الله فان من خشي الله عز وجل اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر كما قال عم من خاف
ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من اخر الليل
فقد ادلجوا بتشديد الدال **قوله** اذ الخشية انما يكون بعد المعرفة تعليل لكون المضاف
المقدر في قوله واهديك الى ربك هو المعرفة فلذلك قال وارشدك الى معرفته وذلك انه تعالى
فرع الخشية على ما قبله وهي لا يكون الا بعد المعرفة كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء اي
العلماء بالله فلذلك قدر المعرفة **قوله** وهذا كالتفصيل الخ يعني انه تعالى بين في موضع من كتابه
الحكيم انه حين ارسل موسى وهرون عليهما السلام الى دعوة فرعون امرهما بان يقولا
له قولا لينا وبين ههنا انه امر موسى عم الى ان يقول له هل لك الى ان تزكى الاية فتظهر به
ان المذكور في كل موضع بعض ما وصى به لا كله فكانه لما قال لهما فقولا له قولا لينا رتب لهما هذا
الكلام اللين الرفيق تفصيلا وبيانا لصورة القول اللين المامور به فانه قول لين مشتمل

على بعض التفصيل اما كونه ليناً فلانه ابتداء في مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض على اسلوب الترغيب
في كونه زاكياً مالا يليق ومشعراً بطهارة الايمان من عنده يا موسى حركها ومن عنده يزكى ما يتعلق بالتزكي حيث
لم يقل الملك ان تزكى الشرك والجهل وكونه نعمة خالفك زكى فكى واقبل ما ادعوك اليه حتى تخرج من الضلال
والطغيان ونحو ذلك مما فيه خطن وغلظ واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر وظهر من هذا انه لا بد
في الدعوة الى الله من اللين والرفق وترك الغلظ والعنف ولهذا قال تعالى لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه و
سلم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فكل من سلك في دعوة الخلق الى الله تعالى سبيل
الخشونة والعنف فهو على ضد ما امر الله به رسله وانبياءه **قوله** ان فذهب وبلغ فان الفاء اشارة الى ان
الفاء في قوله فاراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله اذهب اليه وقل كذا وهذا كقوله فاضرب بعصاك
الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز كثيرة في القران **قوله** فانه كان المقدم والاصل اعلم
انهم اختلفوا في الاية الكبرى اقوال الاول انها اليد البيضاء في قوله في سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى قال مقاتل والطبري وقال عطاء هي قلب العصا حية
ومجاهد هي مجموع اليد والعصا وذلك لان سائر الايات دلت على ان اول ما اظهر موسى عم لفرعون
هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون المراد مجموعهما واختار المص القول الثاني ثم ذكر القول الثالث
واستدل على ما اختاره وهو ان يكون المراد بها قلب العصا حية بانها كانت متقدمة في الارادة
حيث ابتدأ موسى عم بها وهذه دعت المراحل فان العصا لما انقلبت حية اخذ موسى عم في
نفسه خيفة منها وقصد ان يتقي الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج
بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك ذلك الضيع من حيث انه تعالى لم يرض ان تخاف

بخاف مما اظهره الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الاية الاولى هي الواجبة المال الاخرى كانت الاولى اصلاً
والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى ولانه ليس في اليد الا انقلاب لونه الى لون اخر وهذا
المعنى كان حاصلاً في العصا ثم حصل في العصا امور اخر زيد من ذلك منها حصول الحيوة في الجرم الجماد
ومنها تزايد اجزائه وكبر جرمه ومنها حصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة ومنها ابتلاعها الاشياء
الكثيرة الجثة فيث فيها ولم يرد به عظيم بطنها ومنها زوال ذلك اللون والشكل اللذين صار العصا
لعصا بهما حية وزوال تلك الحيوة والقدرة عنها وعودتها عصا كما كانت وكل واحد من هذه
الوجوه معجزة مستقلا في نفسها فعلمنا ان الاية الكبرى هي العصا **قوله** او مجموع معجزاته
وجعلها آية واحدة لاشتراك الجميع في كونها معجزة دالة على صدق من ظهرت هي على يديه فصح
الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالاحدة الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر
الايات التي اعطيها الانبياء قبل موسى عليهم السلام **قوله** وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق
امر نبوة موسى عم ووجوب الطاعة عليه وهو اشارة الى انه انما عطف قوله عصى على كذب للدلالة
على ان المراد بالتكذيب احد محتمليه وهذا التكذيب باللسان مع حصول الجزم بان من كذبه ممن
يجب تصديقه والايمان بجميع ما جاء به من حيث انه قد اعتقد ان ما اظهره من المعجزة يمتنع ان
يعارضه البشر فعلم به انه فعل الله تعالى خلقه في يد موسى عم ليكون معجزة له دالة على صدقه في دعوى
الرسالة من الله تعالى فان التكذيب انما يكون معصية الله تعالى اذا كان بهذا المعنى وللتكذيب
قسم اخر غير هذا وهو تكذيب من لا يجب تصديقه والتكذيب بهذا المعنى لا يكون عصيانا
لله تعالى فافاد العطف ان الذي ترتب على اراءة الاية الكبرى هو التكذيب الذي يكون عصيانا

تعالى فان قيل كونه تعالى بعده فحشر فنادى يدل على ان فرعون ما اعتقد بان ما اظهره موسى من المعجزة
فعل الله تعالى خلقه في يد موسى ليستدل به على صدقه في دعواه وذلك لانه اعتقده بامكان المعارضة حيث
جمع السحرة وامرهم بمعارضته فكيف يكون تكذيبه من القسم الذي يكون متعينا بالله تعالى قلنا يجوز
ان يكون حشره اي جمعه ونداؤه في المجمع تمردا وعنادا لا اعتقادا بانه يمكن معارضته بل هو يعلم
بانه باطل وفعل المجلس قوله مسرعا حالا من فاعل ادبر اشارة به الى ان يسعى في النظم
حال منه بمعنى مسرعا في سعيه قال الحسن كان فرعون رجلا طياشا خفيفا قوله اعلى من
كل من يلي امركم يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض والجبال والنبات و
والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله
تعالى بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكر الصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم
اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا بل المربي لكم والمحسن اليكم انا لا غيري لا بمعنى
انه خالق العالم وقال القاضي الباقلاني كان الاليق به عند ظهور حجته عند انقلاب العصا حية وظهور
ذله وعجزه ان لا يقول ذلك القول الدال على ربوبية الخلق وعلو الشان مع ظهور كونه من جملة اهل الارض
في الذلة والهوان وان ما لك ملك والرب الاعلى هو الذي ايد رسوله بالمعجزة والبرهان فلانه صار الرجل
في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول قوله اخذا منكلا اشارة الى ان نكالا مصدر بمعنى منكلا
منكلا لان النكال بمعنى التنكيل كالكلام بمعنى التكليم والسلام بمعنى التسليم والتنكيل بمعنى المنكل على طريق
رجل عدل وانه منصوب على انه صفة لمصدر محذوف منصوب باخذه الله وان اضافته الى الآخرة
والاولى بمعنى في كقرب اليوم فان قيل معنى الاخذ المنكل هو ان يعاقب المسيء على ذنبه بان يفعل به

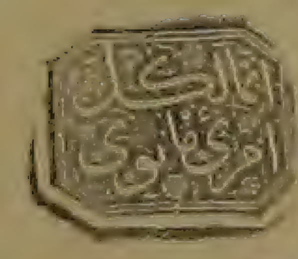
به فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى ذلك الذنب وهذا المعنى انما يتصور بالتنكيل
بالدنيا بالاغراق واما بالتنكيل في الآخرة فلا قلنا بل يتصور فان من سمع في الدنيا ما عوقب به المذنب في الآخرة
وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب الذي ادى اليه فيكون العقاب في الآخرة مانعا
وتنكيلا لمن سمعه وصدقه في الدنيا وان لم يكن تنكيلا لمن رآه في الآخرة ولهذا قال لمن رآه او سمعه فان
قوله لمن رآه مخصوص بالتنكيل في الدنيا وقوله سمعه متناول للتنكيل في الدنيا والآخرة والكلمة بحسب
اصل اللغة تنبئ عن الامتناع عن الشيء وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اي امتنع عن ان يحلف وكذا نكل
عن العدو اي امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ويقال نكل به على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه عقابا
يحمل المعاقب على الامتناع عن المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان
مثل ذنبه لان المعاقب بما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن
اتيان مثل ما اتى به وقيل نكال الآخرة مصدر مؤكد للفعل المذكور وهو اخذه الله حملا على المعنى
لان الاخذ هنا عقوبة وفيه انه قيل نكل به نكال الآخرة اي نكل بها فان قيل ما وجه قوله نكال
الآخرة والاولى بالعطف بالواو الجامعة فان اخذه بصيغة الماضي ان كان حقيقة مستعملا في
الاخذ في الماضي لا يتناول الاخذ في الآخرة وان كان مجازا مستعملا في الاخذ في الآخرة لتحقق
وقوعه لا يتناول الاخذ في الاولى وعلى التقديرين لا مجال للجمع بينهما قلنا يجوز ان يستعمل في
مجاز متعين بمجاز في بصيغة الماضي يعم كلا الاخذين ويحتمل ان يقدر اخذه الآخرة في المعطوف فيكون
تقدير الكلام فاخذه الله نكال الآخرة واخذه الله نكال الاولى فيكون اخذه الاولى المذكور
مجازا واخذه الثاني المقدر حقيقة قوله او على كلمة الآخرة معطف على قوله في الآخرة باخر

فان اضافة النكال على ذلك التفسير بمعنى في والآخرة والاولى صفتان للدار المحذوفة اي اخذه في
الدار الآخرة وهي النار وفي الدار الاولى وهي الدنيا والاضافة على هذا التفسير من اضافة المسبب
الى السبب والآخرة والاولى صفتان للكلمة فرعون اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى
قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة وقيل عشرون سنة والمقصود التنبيه على
انه ما اخذه بكلمته الاولى في الحال بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على
انه تعالى يمهل ولا يهمل كذا قال الامام بعبارته يعني ان كلمة الفاء في قوله فاخذه الله انما يدل على ترتب الاخذ
وتفرعه على التكذيب والعصيان المؤدي الى تلك الكلمة الحمقاء واما دلالتها على تفرعه على كلمة الاولى فلا
اذ لم تذكر الكلمة الاولى في هذه السورة اولا الا ان المقصود بكلمة الفاء الدلالة على تفرع الاخذ على ما
ذكر في هذه السورة وبذكر ان الاخذ المذكور بسبب مجموع الكلمتين التنبيه على انه ما اخذه بكلمة
الاولى في الحال الآخرة وقيل كلمة الآخرة هي قوله انا ربكم الاعلى وكلمة الاولى هي تكذيبه لموسى عم
حين اراه الآية التي عجز عن معارضتها قال القفال وهذا كأنه هو الاظهر لانه ثم قال فاراه
الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله
نكال الآخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين فان قيل قول المص او على كلمة الآخرة
يشعر بان اضافة النكال الى الآخرة بمعنى على وكونها بمعنى على غير مذكور في النحو بل المذكور فيه ان الاضافة
منحصرة في ثلاثة اقسام الاضافة بمعنى اللام فيما عدا جنس المضاف وظرفه مثل غلام زيد وبمعنى من في
جنسه كخاتم فضة وبمعنى في ظرفه كضرب اليوم قلنا الاضافة ههنا ايضا بمعنى اللام لان كلمة الاولى
والآخرة ليستا من جنس النكال وظرفه وانما عبر بعلى للاشعار بالمقابلة والسببية ويدل عليه قوله

قوله لهما اي قوله او لا تنكيل فيهما او لهما فافهم وهو اشارة الى ان النكال بمعنى التنكيل انتصابا كالسلام
بمعنى التسليم والمجاز ان يكون انتصابه انه مفعول له لاخذه الله للتنكيل في الدارين
اولاجل الكلمتين والخطيئتين **قوله** ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله كوعد
الله وصبغة الله فكانه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى ثم انه تم ختم هذه القصة بقوله ان
في ذلك لعبرة ان فيما قصصنا عليك من قصة موسى عم وخزي فرعون لعبرة لمن يخشى
الخشية فانه يدع التمرد على الله تعالى والتكذيب لانبيائه خوفا من ان ينزل عليه مثل ما نزل
لمنكر بعثة موسى عم وعلما بانه تعالى ينصر رسله وانبياءه كما نصر موسى عم فاعتبروا
معاشر المكذبين لمحمد صلى الله عم بما ذكرناه لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم في المعنى
الموجب للعقاب شاركتموهم في حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع
الى مخاطبة منكر البعث فقال أانتم اشد خلقا فخاطبهم اولا بالقسم بان اقسم بالملائكة
الموكلين بقبض الارواح على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة
فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار
البعث ثم اجابهم بقوله فانما هي زجرة واحدة اي لا تستصعبوها فانها سهلة هينة
في قدرته فالآن شرع في بيان سهولته فقال أانتم اشد خلقا وفسر المص الشدة
بالصعوبة لا بالصلابة لانه لا يلائم المقام اي اخلقكم بعد الموت اصعب اخلقا
ام السماء بلا مادة مع عظم جثتها وقوة تاليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خلق
السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم لما اشدها من قدر على الاصعب الاسهل

كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهي ايسر واسهل من خلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون
مقدورا لله تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر
انما هو عند المخاطبين وفي زعمهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد ولما
كان الجواب بطريقه متضمنا تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم من استهزائهم وتهديدا للكافرين
لانكارهم اوقع قصة موسى عليه السلام معترضة في البيان التاكيد امر التسلية والتهديد قوله
انتم مبتدا واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اي ام
السماء اشد خلقا وبناها مستانف بيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء و
يبتدئ من قوله بناها استعمل لفظ البناء في موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء وانما
يستعمل في اسافل البيت لا في الاعالي للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الاختلال ل
والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة
اختير لفظ البناء في هذا الموضع قوله ثم بين البناء اي لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية
البناء بوجوه اربعة الاول ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها اعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اسفله
الى اعلاه سمي سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا فالمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ار
تفاعها من الارض وثخنها الذاهب في العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة
عام وثخن كل واحد منها كذلك والثاني من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله فسواها وفسره المصنف
بوجوه ثلثة ولا خفاء في الفرق بين الوجه الثالث والاولين لكن بين الوجه الاول والثاني خفاء
فلعله اراد بتعديلها خلقها متعادلة الاجزاء اي متشابهة الاجزاء من جميع الجهات والاوصاف وفي



في سلامتها من العيوب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وهل ترى من فطور واراد بجعلها مستوية
عدم الاختلاف والتفاوت بين اجزائها بان يكون بعضها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل يكون
جميعها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة ٢
الى فاعل مختار زال ضرر في الدين ينشأ من كونها كرة ويحتمل ان يريد بالتسوية كونها مسطحة ملساء
بان لا تتفاوت اجزاؤها بالارتفاع والانخفاض والثالث من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله واغطش
ليلها واغطش قد يجيء لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما وقد يجيء متعديا يقال اغطش الله اذا
جعله مظلما والغطش الظلمة والمراد ههنا هو المتعدي اشار اليه المصنف بقوله اغطش منقول من
غطش كاخرج من خرج واظلم من ظلم بكسر اللام فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب

غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل لظلمها مظلما وهو بعيد والجواب
معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال قوله وانما اضافه
اليها اي انما اضاف الليل الى ضمير السماء لملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس
وغروبها انما يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة بملابسة ادنى ملابسة المضاف اليه والوجه الرابع من
تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها وفسر المصنف الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى
بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف مع معنى واخرج ضوء شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس
لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف لدلالة الضحى عليه قوله يريد النهار اي يريد بضحى الشمس
وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم الحال فيه لان النهار
اسم لزمان حصل فيه ضوء الشمس على وجه الارض وان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله

نور الشمس وضوئها فهو اشرف ما فيه فسمي النهار به لذلك قوله ثم بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه
بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك والعامة على نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر
ما بعده اي دحى الارض اي بسطها بعد خلق السماء وبنائها ليسكن فيها ويستقر عليها والنصب هو
المختار ههنا لان الجملة المتقدمة المعطوف هي عليها فعلية وكلمة بعد على اصل معناها وهو التأخر ولا
معارضة بينها وبين اية فصلت وهي قوله ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام لانه تعالى خلق الارض اولا غير مدحوة بل
كانت كالكرة المجتمعة ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي بسطها ثالثا قوله وفيه ان الاية دلت
على ان الارض الآن كرة ايضا وايضا ان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان
يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وقيل ان بعد ههنا في موضع
كأنه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وكما يقال انت احمق وانت بعد هذا
سيء الخلق وقيل بعد ههنا بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل القرآن
قوله ورعيها اي كلاءها فان الرعي بكسر الراء الكلاء وبالفتح المصدر والمرعى في اصل اللغة يطلق على
موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري وليس هو في بعض هذه المعاني اصلا
الا باقي بحيث يكون استعماله في الباقي على طريق النقل منه بل هو بحسب الوضع اللغوي مشترك
بينها وحقيقة اصلية في جميعها ويطلق ايضا على الرعي بكسر الراء وهو الكلاء ولكنه ليست لغة اصلية
في هذا المعنى بل هو مجاز فيه على طريق تشبيه الكلاء بموضع الرعي في تعلق الرعي بفتح الراء بكل واحد
منها ويجوز ان يكون المرعى مصدرا بمعنى المفعول اذا اطلق على الكلاء قوله باضمار قد والحال في المثبت اذا

اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة او مقدرة ليتنافى بحسب الظاهر بين لفظ الماضي والحالية
واذا اضمر قد جعل الماضي قريبا الى الحال فيرتفع التنافي والقباحة وفي مثله يجوز ترك الواو قوله
جرد قوله اخرج منها ماءها عن العاطف او لان الجملة استئناف لبيان دحو الارض وتمهيدها
للسكنى فان دحوها لسكنى الحيوان لا يكون الا باشتمالها على ما لا بد منه في تأتي السكنى عليها
من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها
لتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها قوله والكلام المستأنف لا يعطف على ما قبلها فلذلك
جرد عن العاطف ويظهر بكون هذه الجملة حالا او استئنافا جواب عما يتوهم من التعارض
بين هذه الآية وآية فصلت من حيث ان هذه الآية يقتضي كون خلق الارض بعد خلق السماء
وما في حم السجدة يقتضي كون خلق السماء بعد خلق الارض وتقرير الجواب ان قوله اخرج
منها ماءها ومرعاها اذا جعل حالا لم يكن المراد بقوله دحاها بسطها مطلقا بل البسط
المقيد باخراج مائها ومرعاها وارساء الجبال عليها فكأنه قيل دحى الارض بعد خلق السماء
دحوا يترتب عليه انتظام احوال من يسكن عليها بان جعلها مستقرة بارساء الجبال
عليها ومشتملة على ما لا بد منه لمعاش اهلها فيها ومستقرة لنبات اقواتهم وحصول الا
٣٧ رزاقهم فيها قوله وذلك هو على الوجه المذكور هنا تأخر عن وجود السماء لان الارض كالام والسماء
كالاب وما لم يحصل الاب لم يكن الام مشتملة على الاولاد ومستعدة لحصولها وكذا اذا
كانت جملة اخرج منها ماءها استئنافا لبيان كيفية دحوها وتمهيدها للسكنى يكون البسط
وصفا لذلك هو على الوجه المبين وتأخره لا ينافي كون خلق نفس الارض متقدما على خلق

السما كما يدل عليه قوله في سورة فصلت ثم استوى الى السما وقد ذكرنا في تلك السورة ما في
هذا الجواب وعدم التفاوت المصنف اليه وان المختار عنده ان خلق الارض كان بعد خلق السما
كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ودفع التناقض بين الايتين بان حمل ثم في حم
السجدة على تفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان حتى يلزم التناقض كانه قيل انكم لتكفرون
بالذي خلق الارض فعل كذا وكذا واعظم من ذلك انه استوى ان قصد الى خلق السما وهي شي
حقير ظلماني كالدخان **قوله** متاعا لكم اشارة الى ان المتاع بمعنى التمتع كالسلام بمعنى التسليم
وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد لفعل المحذوف المدلول عليه سياق الكلام اي متعنا كم
بها تمتيعا واما على انه مفعول به اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم اي منفعة لها ولكم فظهر به
ان المراد بالمرعى ما ياكله الناس والانعام واستعير المرعى لما ياكل الانسان كما استعير الرتع للاكل
والتنعم وهو في الاصل اكل الماشية ما شاءت الجوهري رتعت الماشية ترتع رتوعا اي
اكلت ما شاءت يقال خرجنا نرتع ونلعب اي ننعم ونلهو وكما استعير المرسن للانف والمشفر
للشفة ونكتة الاستعارة توبيخ الطاغين والحاقهم بالبهايم من حيث ان الكلام مع منكري الحشر
كانه قيل ايها المعاندون الداخلون في زمرة البهايم في تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرة
كيف تستصعبون البعث ممن قدر على هذه الامور العظام ولما بين امكان البعث
والحشر ببيان كيفية خلق السما والارض اخبر بعد ذلك عن وقوعه وفصل احوال كل
واحد من اهل الطغيان والطاعة وبين ماويهما حيث قال فاذا جاءت الطامة الاية
والطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسي ما قبلها في جنبها وقيل اصل الدفن والعلو فكل



ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه ويقال جاء السيل فطم الركية اي دفنها وسويها وسميت
القيامة والنفخة الثانية طامة لانها تغلب على كل شي فتقهرها فانه يشاهد يوم القيامة من الايات الهايلة الخارجة
من العادة ما ينسى معه كل هايل وعند النفخة الثانية تحشر الخلايق الى موقف القيمة **قوله** لكل راء
هذه العموم مستفاد من لفظة لانها من الفاظ العموم ولا دخل لحذف مفعول يرى في افادة العموم
لان المستفاد من حذف المفعول عموم المفعول لا عموم الفاعل والمقصود ههنا عموم الفاعل
اما عدم خفائها على المؤمنين فلانهم يمرون عليها حين مجاوزة الصراط لقوله تعالى وان منكم
الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين بتبريزها لهم قلنا انها برزت للغاوين والمؤمنون يرونها
ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين **قوله** وجواب فاذا جاءت محذوف الى اذا جعل جواب الشرط
ما يدل عليه قوله يوم يتذكر كان تقدير الكلام فاذا جاءت الطامة يجازى الانسان على كل شيء
او يعرف كل واحد ما قدمت يداه او يعرف كل فريق ما يستحقه ونحو ذلك **قوله** او ما بعده من
التفصيل يحتمل ان يكون معطوفا على قوله يوم يتذكر اي او دل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم
عن التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت دخل الخائفون الجنة والطاغون النار فان قيل ان ضرورة
دعت الى ارتكاب الحذف وهلا قلت ان الجواب هو الجملة سابقا قلنا على تقدير كون الجواب تلك الجملة
الشرطية يلزم ان يكون كلمة اما لغوا خاليا عن الفايدة اذ لا يتصور تفصيل المجمل ويحتمل ان يكون
معطوفا على قوله محذوف اي او ليس بمحذوف بل هو التفصيل المذكور بعده كما ذهب اليه
صاحب الكشاف حيث قال فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك فان قوله

يوم

فاما مبتدأ وقوله جواب فاذا جاءت وقال صاحب الكشف في الحواشي ذكر العلامة في الدرس وجها
آخر وهو ان يكون جواب اذا محذوف كانه قيل فاذا جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله
اما التفصيل لذلك المحذوف والآن ذكر في المتن من انه هو الجواب فيه غموض ثم قال اقول لا غموض بعد
تحقق الاستقامة ان يقال فاذا جاءت فان الطاغي الجحيم ماواه وان للجنة ماواه وزيادة اما لتقوية
الآ زيادة المبالغة وتحقيق الترتب والثبوت على كل تقدير انتهى كلامه ولعل قوله وتحقيق الترتب
او عطف تفسيري لبيان زيادة المبالغة والمعنى لا غموض فيه بناء على ان اما ليست للتفصيل بل اتى
وجيء بها لتاكيد ترتب الجواب على الشرط وبيان ان الحكم ثابت على كل تقدير من حيث ان معنى
نحو اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء فزيد منطلق يعني ان يقع في الدنيا الشيء يقع انطلاق زيد والمقصود
القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شيء ما في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد
من حصول شيء فيها وفي شرح الرضي جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم بدفع دعوى لزوم
التفصيل فيها قوله واللام فيه سادة مسد الاضافة يعني انه لا بد في الخبر من رابط يربطه بالمبتدا اذا كان
جملة ومن في قوله من طغى موصول في موضع الرفع بالابتداء وطغى صلتها قوله فان الجحيم هي الماوى خبره
ولا ضمير فيه يعود الى المبتدا فقدره البصريون وقالوا تقدير الكلام فان الجحيم هي الماوى له وانما حذف
لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي ماواه فسد الالف واللام مسد العائد لقدم
التكلم الى ترك التعريف بالاضافة لعدم الاحتياج اليه لان كل احد يعلم بان صاحب الماوى هنا هو الطاغي
وعرف اسم الجنس بلام الحقيقة لكون الجنس معروفا عند كل احد وليس اللام فيه لام العهد الخارجي
لما مر من انه لا حاجة الى تعريف الحصة المعينة فيكون حرف التعريف سادا مسد الاضافة معناه

معناه لترك العائد باضافة الاسم اليه بان جعل موضع الاضافة ما ينافيها ولا يجتمع معها وهو التنوين
لانه لترك الاضافة واتم حرف التنوين مقامها من حيث ان تنوين للعهد عنا الاضافة الى الضمير في افادة
الربط وذلك انه لما كان ترك العائد بناء على عدم الاحتياج الى الربط لعدم الالتباس لم يحتج الى جنس ما يدل
على الربط فلا يكون لاقامة اللام مقام العائد معنى وهذا المعنى هو الذي اراده صاحب الكشاف بقوله
وليس الالف واللام بدلا من الاضافة الخ ولا ينافيه قول المص انه ساد مسد الاضافة اذ ليس مراده
انه اقيم مقام العائد في افادة الربط بل اراد انه لترك طريق الاضافة بالسلوك الى طريق ينافيها لعدم الاحتياج
الى ما يدل على الربط قوله لعلمه بالمبتدا والمراد اشارة الى ان الخوف من القيام بين يدي الحساب لا بد
ان يكون مسبوقا بالعلم به تعالى كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قوله ليس له سواها ماوى اشارة
الى ان نهي النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان
المؤمن الفاسق قد يدخل النار اولا ثم يخرج منها ويدخل الجنة فلا يصح في حقه قوله فان الجنة هي الماوى
بالحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه قوله متى ارساها
الى ان ايان ظرف بمعنى متى وهو مبني لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو
الاثبات وهو مبتدا وايان خبره ويحتاج الى تقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير
متى وقت ارسائها اي متى يقيمها الله ويوجدها ويجوز ان يكون المرسى اسم الزمان الارساء فلا حذف
على هذا قوله او منتهاها ومستقرها اشارة الى انه اسم مكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر كمرسى السفينة
كان الساعة شيء يتحرك ويجري الى جانب الوقوع وايا مثل جريان السفينة الى مستقرها ولهذا قيل
سمي الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافته الانفاس وكان المشركون يسمعون اخبار

التهمة وآخر ضيافتها الطايلة مثل انها طامة كبرى وصاخة قارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان
مرساها قوله من ان تذكر وقتها لهم اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو وقت
وصلة محذوفة وهي لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت
اتيانها فان ايان مرساها سؤال عن وقت اتيانها فحكاية سؤالهم هذا دلت على ذينك المحذوفين
وان المعنى ما انت في شيء من ان تبين وقتها لهم على ان يكون الاستفهام في قوله فيم انت للانكار فعلى هذا
انت مبتدا وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر قوله وقيل فيم انكار لسؤالهم
على انه خبر مبتدا محذوف اي فيم هذا السؤال الواقع من الكفار وانت من ذكراها كلام تام مستأنف
من مبتدا وخبر وجواب بانها قريبة لا بعيدة لانك علامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها
والاهتمام على تحصيل الاستعداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها والجواب على الوجه الاول هو مجموع قوله
فيم انت من ذكراها وان العلم بوقت اتيانها مما تفرد به الله عز وجل طوى علمه عنك وعن سائر الخلق
وعلى الوجه الثالث هو قوله الى ربك منتهاها واما قوله فيم انت من ذكراها فمتصل بسؤالهم والمعنى انهم
يسألونك عنها قائلين متى وقت ارسائها وانت لا تذكرها وتبين وقتها لنا فقال تعالى في جوابهم الى ربك
منتهى علمها قوله وهو لا يناسب تعيين الوقت ان البعث للانذار خاصة انما يناسب تعيين ما يكون
حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد للنجاة من شدائدها واهوالها ولا دخل لتعيين
وقت قيامها في ذلك فان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فلم يكن تعيينه مناسبا
لذلك فلذلك لم يعين الله تعالى وقت قيامها للمبعوث بل قال له فيم انت من ذكراها قوله وتخصيص من
يخشى مع انه عليه السلام مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها

يا من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل في الاسماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه
ومن قراه بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة انما هي للتخفيف قوله تعالى كانهم يوم يرونها كناية
عن شدة ما انكروه وما يحبسون انهم اذا راوه يحسبون انهم ابدا كانوا فيه ويستقلون مدة لبثهم في الدنيا
لعنا التذاتها وتبعاتها ويزعمون انهم لم يلبثوا فيها الا اخر يوم او اوله ويوم ظرف لما كان من معنى التشبيه
ولما اورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية لا ضحى لها اجاب عنه بان تنوين عشية عوض
عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذي اضيف اليه العشية الا
ان الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة للاضافة احديهما الى الاخرى
فلذلك اضيفت الضحى الى العشية فالمراد اضافتها الى يوم تلك العشية ومثله كثير في كلام العرب
يضيفون الغداة الى العشي وبالعكس ويقولون اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية او
غداتها يريدون اتيتك غداة نهارها او عشية النهار الذي تلك الغداة اوله فحذف ما حذف للاختصار
فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل
ان يكون العشية من يوم والضحى من يوم اخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول
الى الزمان الاخر من اليوم الاخر واما اذا قيل الا عشية او ضحاها فلم يحتمل ذلك البتة قوله من جهة
الاعبار عن استقصار مدة اللبث بما يلي من البشر والكرامة في البرزخ والموقف سورة
عبس يقال عبس اي كلح بوجهه وتولى اي اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد
الشجاع وكان عليه السلام يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة
الناس انه اذا مال الاكابر منهم الى امر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم قوله على اختلاف

سورة عبس

المذهبين ان في تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله
ان جاءه على انه مفعول له واعمل البصريون الفعل الثاني لقربه منه ان تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا
الفعل الاول **قوله** وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما للفصل على الاستفهام الذي معناه الانكار فوقف
على عبس وتولى على هذه القراءة تلا على قراءة الجمهور ثم يبتدئ بقوله آان جاءه على معنى الاجل ان جاءه الاعمى
فعل ذلك فقوله آان على هذه القراءة متعلق بمحذوف يدل عليه عبس وتولى لا بالمذكور لان ما بعد حرف
الاستفهام لا يتعلق بما قبلها **قوله** وذكر الاعمى للاشعار الى ما ورد ان يقال انه تعالى لما عاتبه على انه
عبس في وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما من الله تعالى لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف
يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه بل للاشعار
جد اشار المصنف الى جوابه بان يقول ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل للاشعار بعذره في الاقدام
على ما فعله او لزيادة الانكار على عبوسه وتوليه كانه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة
فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة كما ان الالتفات من الغيبة الى الخطاب ذلك او زيادة الانكار فان
قيل ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب
وكان له عليه السلام انما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه
كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه بشانهم
فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه السلام ايذاء له عليه السلام وايذاء النبي معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم على
المهم وابن ام مكتوم قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار فكانوا لو اسلموا
او كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل

[illegible]

قليل وذلك محرم فثبت بهذا ان ما فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله النبي صلى الله عليه
وسلم كان واجبا فكيف عاتبه الله تعالى على ذلك اجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر وان كان كما ذكرتم الا
ان ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء
وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل فلذلك عاتبه الله تعالى وثانيهما ان يقال لعل هذا العتاب
لم يصح على ما صدر منه من الفعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم و
شرفهم فيما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية لا لاجل تاديبه على ما ارتكبه من الذنب ثم
رتب على ذلك التعبيس والتولي لذلك **قوله** او لزيادة الانكار اصل الانكار مستفاد من قوله
عبس وتولى باسناد الفعلين الى الرسول عليه الصلاة والسلام بصيغة الغيبة فانه يدل على
ان وقوعهما منه منكر لا يليق بمنصبه وخلقه العظيم لا سيما انه ما ارسل الا رحمة للعالمين فكيف
يليق به ان يعرض عمن جاءه مسترشدا طالبا للتزكي والاتعاظ ووجه دلالته على ذلك ان خطاب
المعاتبة يقتضي ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك للتزكي والسلوك الى طريق الغيبة نحو
بان العابس والمتولي غير المخاطب وانه يشكو الى المخاطب من فعله وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر
لا يتصور وقوعه من المخاطب وانما المتصور ان يصدر من غيره ثم يشكى الى الذي طلب منه وهو
انكار عظيم لوقوعه ثم اذا التفت بقوله وما يدريك كان فيه مزيد انكار لذلك كمن يشكو
الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها اياه بالتوبيخ والزام
الحجة وكذا ذكر ذلك المسترشد بوصف الاعمى يفيد زيادة الانكار على ذلك كانه قيل قد
استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه وكان يجب ان تزيد له التعطف

والاهتمام بامره قوله وان شيئا لحكك دال به بالحال ان بحاله هذا الاعمى قدر لفعل الدراية مفعولا
تنبيها على قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ويبتدأ بما
بعده على معنى ويطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفي اي لا يدريك شيء ثم ابتدأ فقال
لعله يزكى على انه خبر لعله للاعمى وان لعل من الله تعالى مجاز بان يستعمل كلمة الترجي للقطع والتحقيق
وان لعل في كلام العظماء يراد به ذلك وان كان ظاهر النظم يدل على ان المراد تسليط فعل الدراية
على ما دخل عليه من التزكي بالايمان والطاعة وبالفوز بالطالب المحتاج الى ذلك لانه هو المناسب للمقام
قوله ردع عن المعاتب عليه وهو اعراضه عم من طالب الخير واقباله على من استغنى عنه وكان فارغا
من طلبه لانه كاين ولا يتصور المنع عن الكاين وانما يتصور عن معاودة مثله فالصواب الاقتصار على
ان يقال ردع عن معاودة مثله قلنا معنى الردع عن المعاتب عليه منعه عن استحسان ذلك بقلبه واعتقاده
لا بمنعه وخلقه فلا اشكال قال الحسن لما تلى جبرائيل عم هذه الآيات على النبي صلى الله عليه وسلم
عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ما ذا الحكم الله عليه فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل
ذلك فانه غير لايق بك قوله والضمير ان للقرآن او العتاب المذكور ان ضمير انها وضمير ذكره فان كانا
للقرآن فوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء هؤلاء الكفرة عن قبول ما دعاهم اليه
وصف شان القرآن وعظمته في كونه موعظة وهدى للناس وقال كيف تنظر شدة الحرص والرغبة
في قبوله فسواء الكفار سواء قبلوه او لم يقبلوه لا تتفاوت شان القرآن في علو قدره فمن شاء
اتعظ به فلا تلتفت اليهم ولا تشتغل قلبك بهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطلبا لتقلوب المستغنين
عنه وان كان الضمير ان للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب نبيه صلى الله عليه

وسلم على ما وقع منه من الاهتمام بالسلام العنايد تتضمنه قلة المبالاة لشان ضعفاء
المسلمين مع جلالة قدرهم الشريف عنده عقبه بقوله ان هذه المعاتبة ان موعظة للسامعين
فاتعظوا بها يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والاداب المرضية ولا
تزموا باجلال الفقراء الطالبين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليتها بالطاعات ولا تعرضوا
عنهم بسبب الاشتغال لاصلاح احوال من يبطل الاشتغال من الخير ولا يسعى في تحصيل
واعلموا ان هذا التأديب والعتاب مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه الكملة الملائكة
قوله صفة لتذكرة فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان
في صحف خبرا ثانيا فالقول انما يكون الجملة معترضة بين الجزئين نقل عن الزمخشري انه انكر كونها اعتر خبراً
وقال شرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما بالفاء فلا واجيب بان هذا ينافي
ما صرح به الزمخشري في قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر في سورة النحل من انه من الاعتراض على
بعض الوجوه وقيل انه استطراد وتحريض على التذكر والاتعاظ فانه تعالى لما قال ان تلك المعاتبة
تذكرة للسامعين من حيث انه عليه السلام اذا عوتب بها مع جلالة قدره عند الله تعالى
فما بال غيره قال بعده فمن شاء ذكره حثا على التذكر فكانه قال فتذكر بها ايها السامع وكان
الظاهر ان يؤخر قوله فمن شاء ذكره عن وصف التذكرة الا انه قدم عليه لشدة العناية
به قوله مكرمة نعت لصحف اي صحف مكرمة عند الله وكذا مرفوعة مطهرة نعت
بعد نعت للصحف وكذا بايدي سفرة في موضع الصفة لصحف قوله مرفوعة القدر
او مرفوعة بحسب المكان لكونها في السماء السابعة قوله منزهة عن ايدي الشياطين او المراد

انما مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون والملائكة والسفرة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من اذا كتب والسفر بكسر السين الكتاب وجمعه اسفار والمراد بالكتبة هم الملائكة لانهم ينسخون الكتاب من اللوح والمراد بهم الانبياء لانهم ينسخونها منها الوحي ويحتمل ان يكون السفرة جمع سافر بمعنى سفير والسفير هو الرسول المعبر عن المرسل والمصلح بين القوم من السفارة وهي الاصلاح واليه المعنيين اشار المحشي بقوله جمع سافر من السفر او سفارة وهي الى الامة فالسفراء بهذا المعنى هم الرسل من البشر فقوله او سفراء عطف على قوله كتبة يريد ان السفرة بمعنى الكتبة او بمعنى السفراء الذين شانهم السفارة فالسفرة ان كان بمعنى السفراء بين الله ورسله يكون المراد بالصحف الكائنة بايديهم الصحف التي ينزلها الملائكة الى الرسل وان كان بمعنى السفراء بين الله والامة فالصحف الكائنة بايديهم هي التي ينزلها الملائكة اليهم او التي انتسخوها من الوحي قال الامام واختار القراء ان السفرة ههنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله واحدها سافر والعرب يقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله وتاديته كالسفير الذي يصلح به بين القوم قال الشاعر وما ادع السفارة بين قومي ولا امشي بغش ان مشيت قوله الكتابة والتركيب للكشف ان تركيب حروف السفر سواء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الاصلاح ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما اذا كان من السفر بمعنى الكتابة فلان في الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشيء والتوضيح ويوضحه واذا كان من السفارة بمعنى الاصلاح فلان الاصلاح بين القوم يكون بالبيان والتوضيح ويقال للرسول سافر وسفير لانه يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه وامره لما ذكر السفرة اثنى عليهم

عليهم بوصفين الاول انهم اكرام اي مكرمون عند الله وقال عطاء يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته بالجماع وعند قضاء الحاجة والوصف الثاني انهم بررة قال مقاتل مطيعين وهو جمع بار ككفرة جمع كافر وفجرة جمع فاجر فانهما جمعان على كفرة وفجرة قال الامام قوله مطهرة بايدي سفرة يقتضي ان يكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة فقال القفال في وجهه انه لما كانت لا يمسها الا ملائكة مطهرين فحصل منه قوله لا يمسها الا ايدي ملائكة متطهرين فجعل غير حقيقي بل هو اضافي والمراد تنزيهها من ايدي الشياطين ومبنى قول الامام ان يكون الباء في قوله بايدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف كما اشرنا اليه بقولنا انها في محل الجر على انها صفة لصحف اي في صحف كائنة بايدي سفرة ويجوز تعلقها ايضا بما تعلق به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا بايدي سفرة كذا قوله دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا واشنعها فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف يليق به ذلك اجيب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب يقولون اذا انكروا فعل احد قاتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا الاعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح وقوله ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعم الله اي على صورة فان حقيقة التعجب انما يتصور من الجاهل بسبب ما خفي سببه والذي احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو من الحقيقة تعجب من الله ~~تعالى~~ لخلقه اي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه ويحتمل ان يكون ما في ما اكفره استفهامية ويكون اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ

ان الانسان حمله على الكفر قيل المراد بالانسان هم الذين اقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل بل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناء على الفقراء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لترفعهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة ولانه تعالى زيف طريقهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتداء والانتهاء على ما قال من نطفة خلقه ثم اماته فاقبره وعموم هذا الزاجر يقتضي عموم الحكم وارتباط هذه الآية بما قبلها يؤيد الاول فانه تعالى لما ذكر القصة المشتملة على استغناء صناديد قريش من طلب الخير دعا عليهم بقوله قتل الانسان و تعجب عباده المؤمنين من ذلك بقوله ما اكفره فكانه قيل ان سبب حمله على هذا الترفع والاستغناء مع ان اول مراتبه نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين المرتبتين حامل عذرة **قوله** وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ يعني ان هذا الدعاء ليس من قبيل دعاء من يعجز عن الانتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ما هو في صورة الدعاء الدلالة على سخط العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات واشنعها وبايراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه باقبح القبائح ولا شك ان السخط والذم يجوز من الله تعالى **قوله** بيان لما انعم عليه خصوصا جعل نفس الاستفهام بيانا مع ان البيان انما يحصل بجواب الاستفهام من حيث غير مقصود في نفسه لان حقيقة الاستفهام لا يتصور منه تعالى بل المقصود منه تقرير حقارة اصله ليتضح ان ما انعم به عليه في ابتداء حدوثه نعمة جليلة فان اخساء ذلك الاصل المهين صورة الانسان المكرم من جلائل النعم ولما كان ذلك الاستفهام طريقا للتقرير والبيان المتفرع عليه جعل بيانا وقوله خصوصا



قيد لما انعم عليه من النعم اي بيان للنعم المخصوصة التي انعم بها عليه من مبدا حدوثه الموقف بشهود ما لا جميع النعم **قوله** والاستفهام للتحقير اصله للاشعار بان كان اصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كثر ذلك الاصل الحقير مثل هذه الصورة البهية قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين **قوله** فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال لما كان خلق الشيء تقديره واخراجه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وكان عطف قوله فقدره على خلقه يستلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه فسر التقدير المعطوف بالتهيئة فانه يقال قدره فتقديره بمعنى هيأه والمعنى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهي فيها الى القدر اللائق لمصالحه او فقدره اطوارا يعني ان التقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور والمعنى انه اوجده على وفق التقدير الازلي ثم جعله ذا اطوار من علقة ومضغة الى آخر خلقه ذكرا وانثى شقيا او سعيدا وفي الكبير قال الفراء قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وقال الزجاج المعنى قدره على الاستواء كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا انتهى **قوله** والمراد ان ينكس اي ينقلب عن الهيئة التي كان المولود عليها في بطن امه فان فوهة الرحم كانت غير مفتوحة قبل وقت الولادة و راس المولود وهو في بطن امه كان من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انفتح فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب ويصير رجله من فوق وراسه من تحت فيخرج راسه اولا ولا شك ان الذي فتح الفوهة والهمه الانعكاس لنا هو الله تعالى وفعله

تسهيلا لخروج المولود من بطن امه قوله اوذلك لسبيل الخير والشر والثاني لبيان التيسير
بخلق الاقدار والتوفيق والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب قال ابو مسلم المراد من هذه
الآية ما هو المراد من قوله وهديناه النجدين فهو بينا له التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا
وبين كل خير وشر يتعلق بالدين ان جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر قوله وتوبته
باللام دون الاضافة اه ولو قال ثم سبيله يسره باضافة السبيل الى الانسان لفهم منه
السبيل به مع انه سبيل عام للانس والجن على المعنى الثاني وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قوله
وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصود غيرها وهو الآخرة ووجه الايماء انه لما فسر
الآية بانه تعالى يسر سبيل المكلفين في دار التكليف اشعر ذلك بان هذه الدار معبر تنتهي اما الى الخير
او الشر وان اهلها اهل السبيل لا اهل القرار والسكون ولا يخفى ان هذا الايماء مبني على ان يكون
المراد بالخير والشر ما يتعلق بالدين منهما فان ما يتعلق بالدين منهما هو الذي حسنه الشرع و
قبحه بان وعد عليه ثواب الآخرة او عقابها فالمحض اشار بقوله هذا الى ان الشرع الذي ذ
هب اليه ابو مسلم خال من هذه النكتة وايضا ما ذهب اليه من تخصيص ما يؤدي الى نعيم الآخرة
ونعمتها بانه لم يحسن انتظام ما بعد هذه الآية بها بخلاف ما اذا ابقي على عمومه كما ذهب اليه ابو
مسلم قوله وعد الامانة والاقبار في النعم لما جعل قوله تعالى من اي شيء خلقه الى
قوله كلا لما مسوقا لبيان ما انعم الله به عليه وكفرانه بذلك وخفي وجه كون الامانة والاقبار نعمة
بين وجه ذلك وانما قال وصلة في الجملة لان كونها وصلة الى سعادة الابد ولذاتها الخالصة
انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الى الكافر لايصال الكلام هاهنا في الكلام بزينته قوله فقتل



قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الامانة نعمة في حقه مع ان الموت في حقه مفتاح كل بلاء ومحنة
لانا نقول الامانة في نفسها شانها ان يكون تحفة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة
عالم الآخرة وكونها نقمة في حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات اعماله قوله ولا قبر
بالقبر تكرمة وصيانة من السباع فانه لو لم يقبر بل القي على وجه الارض كسائر الحيوانات
لاكله الطير والسباع فان قيل من اين يستفيد الامر بالقبر والحال انه ليس هاهنا صيغة
قلنا هو مستفاد من قوله فاقبره فانه يقال قبر الحي الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده
والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله في القبر فالمقبر هو
الله تعالى لانه هو الامر بان يدفن اموات بني ادم في القبور اكراما لهم عن ان يلقون للطير
والسباع والمراد بالانشار الاحياء والبعث قوله ووقت النشور غير متعين
في نفسه لعل وجهه انه تعين الوقت في نفسه متوقف على بقاء الافلاك وحركاتها وتكور
الليل والنهار على حالها والنشور انما يتحقق بعد خراب العالم فلا سبيل للانسان ان
يحكم ويقول بان وقت النشور متعين في نفسه وان لم اعلم بخصوصه بان يكون
في راس الف سنة او اقل او اكثر لخراب ما به تتحدد الاوقات حين تحققها بخلاف الاحوال
المذكورة قبل الانشار فان الانسان يعلم اوقاتها من بعض الوجوه كالموت فان الا
نسان وان لم يعلم وقت وقوعه بخصوصه الا انه متعين في نفسه يعلم الانسان ان الموت
له حد متعين في نفسه بان يكون مثلا في راس ستين سنة وسبعين وليس بحيث يكون
موكولا الى مجرد مشيئته تعالى قوله لم يقض بعد اشارة الى ان في لفظ لما معنى التوقع

وهذا التفسير مبني على ان يراد بضمير لما يقض الانسان المحمول على الاستغراق كما روي عن مجاهد و
وقتادة من ان معنى الآية لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وان فيما اشارة الى ان الا
نسان لا يخلو من تقصير البتة وقال الامام هذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض العز فيرجع
الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان
فيه جميع الناس بل الانسان الكافر فنقول لما يقض كيف يمكن حمله على جميع الناس ثم ذكر وجها
آخر وهو ان يكون المعنى ان ذلك الانسان المتوفى المتكبر لم يقض ما امر به من ترك التكبر او المعنى
ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التأمل في دلايل الله تعالى والتدبر في عجايب
خلقته واثار قدرته انتهى كلامه ويمكن ان يقال ارجاع ضمير لما يقض الى جميع الناس لا
يستلزم حمل الانسان المذكور سابقا على الاستغراق بل المراد به الانسان المعهود الا انه
اريد بضمير لما يقض جميع الانسان على طريق الاستخدام لقصد المبالغة فانه اذا لم يخل احد
من المؤمن عن تقصير ما فعدم خلو الكافر بالطريق الاولى وما في قوله ما امره موصولة
وعايده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقي ما امرهو
ثم فحذف الهاء العايد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا مع ان المحذوف من الهائين هو العايد الى الانسان
والباقي هو العايد الى الموصول فاعرفه وقس عليه امثاله قوله اتباع للنعم الذاتية فان عادة
الله سبحانه جارية في القرآن العظيم بانه كلما ذكر الدلايل الموجودة في الانفس فانه يذكر
عقيبها الدلايل الموجودة في الآفاق فههنا لما ذكر من نعمه الموجبة للشكر ما هو داخل
موجود في نفس الانسان من خلقه بالانزال النطفة من اصلاب الآباء الى ارحام الا

مهات وما يتعاقب عليه من الاطوار والاحوال الى ان ينتهي الى دار الابد عقبه ببيان ما انعم
به عليه من النعم الخارجة عنه وبدا بما يحتاج اليه الانسان في معاشه وبين انه كيف دبر في
خلق طعامه الذي هو قوام حيوته واقوى اسباب معاشه التي يستعد بها للمعاد وذكر ان ذاته
كما يكون بنزول ماء الرجل الى رحم المراة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء
الى الارض وما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض وبلوغه الى اقصى كماله قوله
على البدل منه ان من الطعام والتقدير فلينظر الانسان الى انا كيف صببنا الماء صبا لان
من النظر والاعتبار كيفية تكون الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة
وكيفية حدوث المطر المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيفية بقائه معلقا في جو السماء
مع غاية ثقله وغير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكها وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب
الماء وانشقاق الارض سبب لحصول الطعام فيكون الكلام مشتملا على الاول فان
الواجب في بدل الاشتمال ان يكون بينه وبين المبدل منه علاقة غير الكلية والبعضية
وقد حصل ولا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل قوله اسند الشق
الى نفسه من قبيل الاسناد المجازي لانه اسناد الى غير ما هو له لان المراد بما هو له يكون
معنى الفعل قايما به وصفا له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له او بغيره سواء كان
صادرا عنه باختياره كضرب اولا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة
والى موجده الذي هو الله تعالى مجاز ولهذا اشتق اسم الفاعل لمن قام به وان لم يكن موجدا
للفعل نحو الآكل والشارب والقايم والقاعد ولا شك ان شق الارض قايم بمن كربها ان

قلبها للحرث ووصفه ان يسند اليه فالاسناد الى الله تعالى مجاز وهذا مخصوص بالشق بالكراب
واما الشق بالنبات فالاسناد الى الله تعالى حقيقة لا مجاز والاسناد الى النبات مجاز لان
النبات منزلة الآلة مثل اسناد الفتح الى المفتاح والقطع الى السكين في قولك فتح المفتاح
الباب وقطع السكين اللحم قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى فصارت لكثرة قطعها
كانها عين القطع فسميت قطعا للمبالغة فيه قوله عظاما الغلب جمع اغلب او غلباء كحمر في
احمر او حمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب والاسد اغلب اي غليظ العنق
وامرأة غلباء اي غليظة العنق وجماعة غلب غلاظ الاعناق وذكر المص في وجه تو
صف الحدائق بالغلب قولين الاول ان يقال لكل حديقة انها غلباء اي عظيمة غليظة توصيفا
لها بوصف مجموع اشجارها المتكثرة الملتفة المتقاربة بحيث صارت كانها شيء واحد ضخم
عظيم فالغلظ الغلباء سواء اطلق على نفس الحدائق او على مجموع اشجارها المتداخلة الا
غصان مستعار من الحيوان الغليظة الرقبة تشبيها لها به في مطلق الغلظ فكل حديقة لما
وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثاني ان يوصف كل حد
يقة بالغلباء توصيفا لكل واحدة منها بوصف كل واحد من اشجارها من الغلظ والعظم
فيقال حديقة غلباء باعتبار ان كل شجرة من اشجارها غلباء اي عظيمة غليظة فوصف
الحدائق بالغلب بمعنى غلب الاشجار فالغلب في وصف الحدائق والاشجار في هذا القول
ايضا مستعار مما هو وصف الاعناق قال الامام في قوله تعالى وحدائق غلبا فيه قولان
الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة متقاربة وهذا قول مجاهد

هو ومقاتل فالغلب الملتفة الشجر بعضه ببعض يقال اغلولب العشب واغلولبت الارض اذا
التفت عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحدة من الاشجار بالغلظ والعظم قال عطا
عن ابن عباس يريد شجر العظام وقال الفراء الغلب الغلاظ من النخل قوله وفاكهة قال الامام
استدل بعضهم بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على الزيتون والنخل وجب ان لا يدخل
هذه الاشياء في الفاكهة لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه انتهى العنب والرطب والرمان
من الفواكه عند ابي يوسف ومحمد لان الفاكهة اسم لما يؤكل على سبيل التفكه اي التنعم بعد
الطعام وقبله وهذا المعنى ثابت فيها وهي اعزها واكملها وليست بفاكهة عند ابي حنيفة
رضي الله عنه لقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة فعطف الفاكهة عليها مرة وعطفها على الفاكهة اخرى والشيء لا يعطف على
نفسه هكذا في كتب الفقه والظاهر ان مراد ابي حنيفة رضي ان نحو العنب والرطب
لكونه مما يؤكل غذاء يستحق القصور في معنى التفكه به فلا يتناوله اسم الفاكهة على الا
طلاق حتى لو حلف لا ياكل فاكهة لا يحنث باكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من
وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافي كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطو
ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغاير لما هو فاكهة من وجه دون
وجه فيصح عطفها عليه قوله لانه يؤم وينتجع اي يقصد جذة لاجل الدواب والنجعة با
طلب الكلام في موضعه قوله لانها ثوابت للشتاء اي تدخر قوله متاعا لكم يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا الفعل المقدر اي متعناكم بها متاعا اي تمتيعا على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام

معنى التسليم وان يكون فى موضع الحال من فاعل انبتنا اى ممتعين بها لكم وان يكون مفعولا له اى
فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم قوله وصفت بها مجازا مبنى على ان يكون صخ يصخ فهو صاخ بمعنى
استمع فهو مستمع والنفخة لتبيين لمستمعه بل الناس هم الذين يستمعون لها فاسند الاستماع
الى المسموع مجازا مثل عيشة راضية وحكى الامام عن الزجاج ان اصل الصخ فى اللغة الطعن
والصك يقال صخ رأسه بحجر اى شدخه والشدخ كسر الشئ الاجوف ويقال ايضا صخ الغراب
مستعارة فى دبر البعير اى بطعن فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للاذن الجوهرى الصاخة
الصيحة تصم لشدتها سميت القيامة صاخة لان فيها الصيحة التى تصخ الاسماع اى بشدة
صوتها اى تصمها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ واصاخها يصيخها اصاخة
فهو مصيخ لمعنى فعلى هذا يكون الصاخة حقيقة فى النفخة ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها
انه تعالى لما ذكر ما انعم به على الانسان من النعم الكائنة فى الانفس والافاق وكان المقصود بذكر
ها التوبيخ والتقريع على من كفر بها وذم من طاعة من انعم بها واستغنى عن طلب الخير وقبوله و
ان يستدل بها على وحدانيته وقدرته على البعث والحساب عقبه بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض
وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل
فى الدلايل والايمان بوحدة من انعم بها وقدرته على ما شاء والاعراض عن الكفران والميل الى الخشوع
والتواضع والانقياد للحق فلا جرم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت الصاخة واذا جواب اذا
محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرئ يومئذ شان يغنيه والتقدير فاذا جاءت
الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا فى

فى اذا ولا فى يوم لانه صفة لشان ومعمول الصفة لا يتقدم على معمولها وقراءة العامة يغنيه
من الاغناء على معنى ان ذلك الهم الذى حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع فصار
بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيئا كثيرا وقرئ يعنيه بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم
عناه الامر اى قصده قوله او للحذر من مطالبتهم بان يقول الاخ ما واسيتنى بمالك والابوان
يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون تقول
ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن
صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح قوله وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة يعنى ان فى
الترتيب المبالغة فى بيان كون ذلك اليوم يوم الفرار كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل
من ابويه فانهما اقرب من الاخ بل من صاحبته واولاده فان تعلق القلب بهم اكثر
من تعلقه بالابوين ثم ذكر الله تعالى احوال يوم القيمة واهوالها بين ان المكلفين فيه
على قسمين ويتميز احدهما عن الاخر بما يعرض وجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح
اذا اضاء قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع
الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجه الزنجى فكانه تعالى جمع فى وجوههم بين
السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفى الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم
القيمة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار سورة التكوير التكوير يستعمل فى معنيين
الاول تلفيفه وطيه بازالة انبساطه وانتشاره وضم بعض اجزائه ببعض على جهة
الاستدارة كتكوير العمامة وفى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التشتت

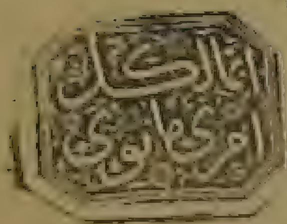
بعد الالفة والكثافة والسقوط بحيث يقال كوّرته فتكور اى اسقطته فسقط وفسر
ما فى الآية بكل واحد من المعنيين ثم ان كان معنى التلفيف يحتمل ان يكون المراد بتلفيف نفسها
وضم اجزائها وتلفيف ضوئها بازالة انبساطه فى الآفاق بان يكون التقدير اذا ضوء
الشمس كوّر وتلفيفها على الوجهين كناية عن اذهاب نفسها وازالة عينها عن فلكها فان لف
الشئ وطيه من لوازم رفعه لانه يرفع مبسوطا منتشرا فاطلق تكوير نفسها واريد ملزومه
الذى هو رفعها واذهابها وكذا لف ضوئها لازم لرفع نفسها فان نفسها ما دامت باقية كان
ضوئها باقيا منبسطا فى الآفاق غير ملفوف فتفسيره يؤول الى تفسيره بالالقاء والاسقاط
قال ابن عباس رض يكوّر الله عز وجل الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة فى البحر ثم يبعث عليها
ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا كذا فى البغوى وعن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشمس والقمر يكوّران فى النار يوم القيمة ولما ذكر هذا الحديث عند
الحسن قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فا
لقاؤهما فى النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر فى جهنم
فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل **قوله** وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعده اى الاشارة
الى ان النحاة اختلفوا فى اعراب الاسماء التى بعدها افعال مشتغلة عنها بضمائرها انها هل
هى مرفوعة بالابتداء وما بعدها من افعال اخبارها او هى معمولة للفعل المقدر المفسر بما
بعده كما هو عند البصريين وعلى المذهبين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها واختار المصنف
قول البصريين لان فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى **قوله** انقضت اى تساقطت

وتناثرت كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر
يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض كذا روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال عطاء وذلك انها فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل
من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض
تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملائكة لانه مات من يمسكها ابصر خربان فضاء فانكدر نسخه
قبله اذا الكرام ابتدروا الباع بدر تقضّى البازى اذا البازى كسر وانجناحيه من الطود
ثم ابصر خربان الخ والباع يستعمل فى الكرم يقال فلان اهل الباع والمروءة يقول اذا
الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدرهم الى سرعة السيلم كانقضاض البازى
على الخبازن وخربان جمع خرب بفتحتين وهو الذكر من جنس طائر يقال له الحبارى
اى ابصر البازى حباريان صحراء فانقض **قوله** من كدرت الماء فانكدر والكدر خلاف
الصفوة يقال كدر الماء انكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين
فيما قبل الاول فى المعنى وكدره غيره فانكدار النجوم عبارة عن زوال نوره وضوئه **قوله**
واذا الجبال سيرت اى قلعت من وجه الارض فصارت هباء منبثا كذا فى العالم او سيرت
فى الجو كالسحاب كقوله وهى تمر مر السحاب كذا فى الكواشى وقيل تسييرها ان تحول
عن صفة الحجارة فيكون كثيبا مهيلا اى رملا سائلا ويكون كالعهن ويكون هباء
منبثا ويكون مثل السراب الذى ليس بشئ وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا والعشار جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء والعشراء الناقة التى اتى

على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة ويطلق اسمها بعد ما وضعت ايضا ومن عادة
العرب ان يسموا الشيء باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك الحد وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال
عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها واهمالها عند مجيء مقدمات قيام الساعة عبارة
عن ان الناس يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون
وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قوله او السحائب الى يحتمل ان يراد بالعشار
السحاب تشبيها لها بالعشار وان مجازا في هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة بينه
القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل قال الله تعالى فالحاملات وقرا كما
في سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلي قوله الوحوش
اسم لما لا يستانس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول انه يجمعها هول ذلك اليوم من
كل ناحية بحيث تختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الكل ايضا و
تفرقها في الصحاري والقفار والثاني ان يبعثها للقصاص اظهارا للعدل فانه قد ثبت انه تعالى
يحشر الوحوش كلها فتقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت عن قتادة انه يحشر كل
شيء حتى الذباب للقصاص والثالث ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وهذا الوجه
رواه عكرمة عن ابن عباس رضي يقال اجحف بهم الدهر اذا استاصلهم واجحف فلان اذا كلفهم
ما لا يطاق وسنة مجحفة اي مهلكة مهينة واجحف به اي ذهب به مستاصلا وسيل
جحاف بالضم اذا جرف كل شيء وذهب به والجحاف ايضا الموت يقال موت جحاف يذهب بكل
شيء والسنة القحط والتشديد في مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير المحل وقد يكون

لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل التقليل والتكثير والغرض من حشر الوحوش
على الوجه الاول الدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماعها في موقف القيمة مع الناس مع
شدة نفرتها عنهم في الدنيا وتفرقها في الصحاري يدل على ان هول ذلك حملها على الاجتماع
وعلى الثاني تاييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف
يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن قوله احميت او ملئت فان التسجير
في اللغة يكون بمعنى الملء قال الله تعالى والبحر المسجور اي المملوء وبمعنى الاحماء كما يقال سجرت
التنور اي احميته ثم قيل في وجه احماء البحار انه يحتمل ان يكون جهنم في قعور البحار فهي الآن
مطبقة لا تصل حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع اهل الارض بها فاذا
انتهت مدة الدنيا يرفع طبق جهنم فيصل تاثير تلك النيران الى البحار فتسخن فيتفجر حميما
لاهل النار وقال ابن عباس اذا كان يوم القيمة كور الله الشمس والقمر والنجوم ثم
بعث عليها ريحا دبورا فتنفخه فتصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت اي احميت
كذا في تفسير ابي الليث نور الله مرقده وقيل في وجه امتلائها انه تعالى خلق الآن بين
البحار حاجزا لا يصل بعضها الى بعض على ما قال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
لا يبغيان اي لا يبغي واحد منهما باغراق ما يليهما فاذا رفع الله تعالى ذلك الحاجز فاض
البعض في البعض وفجر وجرى العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا
فغرقت الارض كلها ثم انه يحتمل ان يكون كيفية ارتفاع الحاجز الكائن بينها بان اندكت الجبال
وتفرقت اجزاؤها وصارت كالتراب الهايل الغير المتماسك فلا جرم تتصب اجزاؤها

اسافلها فيمتلئ المواضع الغايرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار ويصير الكل
بحرا واحدا مسجورا ار ممتلئا وهذه الاحوال الست يكون فى مبادى قيام الساعة على
ما روى عن ابى ابن كعب رضى الله عنه انه قال بست آيات قبل القيمة بينا الناس فى اسواقهم
اذ ذهب ضوء الشمس فبيناهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه
الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب
والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى
البحر فاذا هى نار تاجج قال فبيناهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة
السفلى والى السماء السابعة العليا فبيناهم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم والانام
كذا فى المعالم ثم شرع فى ذكر الاحوال التى يكون بعد قيام الساعة فقال واذ النفوس زوجت
بالابدان بان ردت اليها او بالاشكال والامثال بان يضم كل واحد من الرجال والنساء ٣
الى من كان فى طبقته فى الخير والشر فيقرن السابق فى الطاعات الى مثله والمتوسط فيها الى
مثله واهل المعصية الى مثله قال ابن عباس رضى الله عنه ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثة اى اصنافا
ثلثة ان نقول زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال والشكل بالفتح المثل المدفونة
حية يقال واد بنته يئدها وادا وهى موؤدة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت كندة
تئد البنات وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ممن منع الواد فافتخر الفرزدق به فى
ومنا الذى منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم توأد واد يئد مقلوب من آد يؤود اودا ان اثقل
يقال آدنى الحمل اى اثقلنى قال تعالى ولا يؤده حفظهما لان الوائد اثقال بالتراب قوله

قتلت بتكبينا لوائدها جواب عما يقال المطبق سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به مع
ان الظاهر ان يسأل الوائد عن موجب قتله اياها فاجاب عنه بان هذه الطريقة انطق فى
ظهور جناية الوائد والزام الحجة فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لا يصح الا بذنب عظيم
فاذنبك وباى سبب قتلت فلا جرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد
فيصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى بعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين من دون الله فانه عوم لما اجاب بقوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس
لى بحق وما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد فى تبكيت
النصارى وتوبيخهم قوله وقرئ سألت بفتح السين والهمزة على البناء للفاعل على ان
الموؤدة هى السائلة تسأل الله تعالى او تسأل قاتلها باى ذنب قتلت فعلى هذه القراءة

قوله قتلت على بناء المفعول من الماضى المسند الى ضمير المتكلم وحده كما هو الظاهر لان
الموؤدة لما كانت سائلة كان المناسب ان يحكى بعد الاخبار عن سؤالها كلامها حين
سألت وذلك قولها باى ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده كما اشار اليه المصنف بقوله
وقرئ قتلت على الحكاية لا على الاخبار عن الواحدة الغائبة قوله وانما قيل قتلت
على الاخبار جواب عما يقال ان قراءة الجمهور سئلت وقتلت بضم الاول وكسر الثانى
وسكون تاء المؤنث الغائبة فيهما لكن المناسب ان يقرأ قتلت بكسر تاء الواحدة
الحاضرة لانه لما اخبر عن كونها مسئولة كان المناسب ان يحكى بعد ذلك الاخبار الكلام
الذى خوطبت به ويقال باى ذنب قتلت على خطاب الواحدة الحاضرة فاوجه قراءة

فكذلك على صيغة المؤنث الغائبة وحاصل الجواب انه ليس المقصود حكاية ما خوطب به بل المقصود
الاخبار عن الموؤدة بمضمون مجموع قوله واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت والاخبار
عن الشيء يستلزم ان يعبر عنه بصيغة الغائب وانما يرد ما ذكر ان لو كان المقصود حكاية
ما خوطب به بعد الاخبار عنها بمجرد انها كانت مسؤلة وليس كذلك قوله ونشرت وقت
الحساب ان تفتح بعد ما كانت مطوية فيعطاها الناس منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف
الانسان على ما فيها وتحتج عليه بجميع اعماله فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها قوله للمبالغة في التنشير يريد ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره او لتكثير محله
او للمبالغة في سرعة تفرقه وشدة تطايره والحاصل ان النشر ان كان بمعنى الفتح يصح ان
يكون التشديد لتكثير نفس الفعل بحسب الكمية والتكرر وان يكون لتكثير محله وهو الصحف
وان كان بمعنى التفريق يصح ان يكون التشديد لتكثير محله وهو الصحف واصحابها وان يكون
للمبالغة ~~في تكثير نفس الفعل وتكرره~~ فيه بحسب الكيفية من كونه على وجه السرعة
والقوة واما كونه للمبالغة في كثرة نفس الفعل وتكرره فبعيد لان نشر جميع الصحف وتفريقها بين
جميع المكلفين فعل واحد والكثرة انما هي في متعلقه وهو الصحف واصحابها فلا وجه لكون
التشديد للدلالة على كثرة نفس الفعل فقول المصنف للمبالغة في التنشير مبني على ان يراد
بالنشر التفريق بين الاصحاب وان يكون التشديد للمبالغة فيه بحسب الكيفية قوله او لكثرة
الصحف مشترك بين المعنيين قوله قلعت وازيلت عن حيث ظهرت كما يقلع السقف
فينكشف ما كان مستورا به ومعنى الكشط رفع الشيء عن الشيء قد غطاه قال الامام ان كشطت و
قد

وازيلت عما فوقها وهو الجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب عن الذي فيه الاهاب عن الذبيح والغطاء
عن الشيء قوله اوقدت ايقادا شديدا يقال سعرت النار والحرب بمعنى هيجها والهبها والمسعور
والمسعار الحطب الذي تسعر به النار فظهر ان استعار النار ازدياد التهابها لا احداثها ابتداء
قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني ادم قال الامام واحتج بهذه الاية من قال النار
غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيمة انتهى ولعل اعتبار قيد الازدياد
والاستمداد في مفهوم التسعير دفع هذا الاحتجاج قوله علمت نفس جواب اذا فانه تعالى
ذكر من اول السورة الى هنا اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهناك علمت
نفس ما احضرت فعلم النفس به جزاء مرتب على الشرط الذي هو وقوع هذه الاشياء ولما ورد
ان يقال وقوع الاشياء الستة الاول من هذه الاشياء قبل فناء الدنيا حين اشراف
الساعة على القيام وعلم النفوس بما احضرت من الاعمال النافعة والضارة لا يحصل في زمان
وقوع هذه الخصال الست فكيف يصح ان يكون اذا المضاف الى هذه الخصال الست المتقدمة
معمولا لعلمت منصوبة به اشار المصنف الى جوابه بقوله وانما صح الخ يعني ان المراد بما هو المعمول
لعلمت هو الزمان المتسع المحيط لتلك الخصال الاثني عشرة ومجازاة النفوس على اعما
لها وابتداء ذلك الزمان المتسع من النفخة الاولى وهي زمان التكوير وما يتبعه الى ان يتم
وقف الحساب والعلم الاجمالي يحصل في زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة و
العاصي يرى آثار الشقاوة في اول الامر فيعرف بذلك كل واحد منهما ما قدمه من الاعمال
اجمالا واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب في موقف المحاسبة الآن المص

اشارة بقوله وللمجازاة النفوس على اعمالها الى ان العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث
ان العلم لازم بالمجازاة **قوله** ونفس في معنى العموم مما يقال من ان جواب النكرة في سياق الاثبات
للافراد والنوعية لا للاستغراق والعموم والموضع موضع الاستغراق لان العلم بما احضرت حاصل
في لكل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات محصول
الجواب ان ما ذكر اكثري لا كلي مطرد لان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم ايضا
في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الآية من هذا القبيل **قوله** تعالى فلا اقسم كلمة لا كما
يجوز ان يكون صلة فالمعنى فاقسم وان يكون رد الكلام سابق ان ليس الامر كما تز
عمون ايها الكفرة من ان القران سحر او شعر او اساطير الاولين ثم ابتدا جل ذكره
فقال اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل عطف على الخنس وكذا والصبح عطف
ايضا والعامل في اذا معنى القسم واذا وما بعدها في موضع الحال اي اقسم بالليل مدبرا او
مقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول والضمير في انه للقران وان لم يجر
له ذكر للعلم به وقد وصف هذا الرسول باوصاف حتى الى قوله امين وثم ظرف مكان وهو
معمول مطاع اي مطاع هناك والخنس جمع خانس وهو المتأخر بالخفاء والخنوس للانقباض
والاختفاء يقال خنس الرجل من بين القوم خنوسا اذا تأخر واختفى والخناس الشيطان
لانه يخنس اذا ذكر الله عز وجل واذا غفل العبد عن ذكره تعالى يعود ويوسوس
اليه واصل الخنوس الرجوع الى الخلف والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس المستتر به

المستتر به والكناس بيت الوحش وموضعه الذي يفر اليه ويستتر فيه يقال كنس
الظبي يكنس من باب ضرب وتكنس ايضا اذا دخل فيه واصل الكنوس الاستتار
والجوار جمع جارية والمراد بالكل النجوم التي تجري في افلاكها غير القمرين فانهما لا يكنسان
فان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها تحت ضوء الشمس كما تختفي
المستتر بالكناس لهما بهذا المعنى واما عدا هما وهو الكواكب الخمس من السيارات
زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فانها جوار كنس وهو ظاهر وخنس
ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها بينما ترى في آخر رواجع برج اذ كرت راجعا
الى اوله فرجوعها من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان كنوسها هو اختفاؤها
تحت ضوء الشمس ذكر اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل
اذا اقبل وعسعس اذا ادبر وذكر شرف الدين الطيبي ان العسعسة رقة الظلام
وذلك في طرفي الليل انتهى وفي التيسير قال محمد بن جرير عسعس الليل و
سعسع اذا ادبر فلم يبق منه الا اليسير واختلف المفسرون في ان المراد منه
في الآية اي المعنيين فمنهم من قال ان المراد ههنا اقبل الليل لانه على هذا التقدير يكون
القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله تعالى اذا عسعس وبادبارها وهو قوله تعالى
اذا تنفس فان تنفسه يكون بادبار الليل ودنا به كذا قال الامام والاولى ان يقال
لان القسم في يكون باقبال الليل واقبال النهار لا بادبار الليل واقبال النهار
كما اذا فسر عسعس بادبر وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه ادبر

الليل وفي الوسيط الاظهر ان عسعس بمعنى ادبر لقوله والصبح اذ تنفس يعني ان طلوع الصبح لما كان
متصلا بادبار الليل كان المناسب ان تنفس عسعس بادبر ليكون التعاقب في الذكر على
حسب التعاقب في الوجود قوله اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم الغبرة لون
الاغبر غبرة وهو الشيء الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجيء لازما ومتعديا وكلاهما يصح
ههنا وجعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زال معه غسق الليل
وهي الغبرة الحاصلة في آخره والتنفس في الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويخرج عنه
ما يهب به عليه تشبيه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى
تنفس فاطلق اسم التنفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك
عن اقبال الصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية
متفرعة على الاستعارة وفي بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء غبرته من اقبال روح
ونسيم ولا معنى له كما لا يخفى لان تنفس الصبح ليس عبارة عن اقبال الروح بل هو عبارة
عن طلوعه واذهابه ظلمة الليل الا ان يقال ان قوله عبر به عن اقبال روح ونسيم بيان
لكون تنفس الصبح مستعارا لاقبال الروح والنسيم الواقع عند طلوع الصبح وقوله
اذا اضاء بيان لكون التنفس بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوع الصبح فيتحد النسختان
في حاصل المعنى قوله يعني جبرائيل وصف جبرئيل ههنا بصفات ست اولها انه رسول
ولا شك انه رسول من الله تعالى الى الانبياء وثانيها انه كريم على ربه ومن كرمه انه يعطي
افضل العطايا وهو المعرفة والهداية وثالثها قوله ذي قوة اى ذي قدرة على ما يتكلف

به لا عجز له ولا ضعف له روي انه عم قال لجبرئيل ذكر الله تعالى قوتك فاخبرني بشيء من آثارها
قال رفعت قريات قوم لوط الاربع بقوادم جناحي حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
واصوات الدجاج ثم قلبتها وروي ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان
يتعرض بالنبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبرئيل دفعة رفيعة ووقع بها من مكة الى اقصى
الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى
آخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله وفي مطالعة جماله وجلاله ورابعها عند
ذي العرش مكين اى ذي منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده انه تعالى جعله ثاني
نفسه في قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية ليست عندية الجهة وهو ظاهر
بل كناية من الاكرام والتشريف والتعظيم وخامسها قوله مطاع اى يطيعه ملائكة
السموات لعلمهم بمنزلته عند الله وسادسها قوله امين اى هو امين على وحي الله ورسالاته لانه
قد عصمه الله من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو
عند ذي العرش ثم انه ان اتصل بما قبله يكون المعنى انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند
الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء يكون للتراخي في الرتبة على ان
الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة قوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله تعالى
على ان القرآن كلام الله نزل به رسوله الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم

ليس بمجنون وعلى انه قد رأى جبرئيل بالافق المبين قوله واستدل من استدل بهذه الآية
على فضل جبرئيل عليه السلام لتثبيت خصائل كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة
الشأن واقتصر في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفي الجنون عنه وبين الامرين تفا
وت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف لانه انما يدل على مقصود المستدل ان لو كان
المقصود من سوق الآية تعداد فضلهما ليتضح من ان هو اجمع بصفات الكمال فهو افضل
وليس المقصود منه ذلك بل الغرض المسوق له الاقسام ان يثبت ان القرآن لا سيما
هذه السورة المصدرة بما يدل على مقدمات القيمة واهوالها وحقيقة البعث والجزاء
وحي الهي نزل به الملك المقرب عند ذي العرش الامين على وجه نفيا لقول الكفرة انما
يعلمه بشر وان يثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم رسول الله ارسله بالهدى و
دين الحق وليس كما يقوله الكفرة انه لمجنون ليطمئن انفس السامعين الى استماع القرآن
واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويرغبوا فيهما اشد الرغبة وهذا المقصود يستدعي
ان يوصف الملك المتوسط بين الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والفضل
وذلك لا يستلزم كونه افضل من رسول البشر فان افراد احد الشخصين بالذكر
واجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات من الآخر بل الظاهر ان توصيف جبرئيل
عليه السلام بتلك الصفات وبما هو ازيد منها وافضل انما هو لبيان شرف سيد المر
سلين بالنسبة اليه من حيث ان جبرئيل عم مع هذه الصفات هو الذي يورده
ويبلغ الرسالة اليه فان مرتبة اعلى من رتبة بعدما ثبت ان السفير بينه وبين

بين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب قوله مطلع الشمس الاعلى افق السماء فاجنها والا
فاق النواحي اجمع المفسرون على ان المراد من الافق ههنا حيث تطلع الشمس [illegible] [illegible]
يوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له في تبيين الاشياء فظهورها وانما يكون له مدخل
في ذلك من حيث كونه مطلعا الكواكب التي تبين الاشياء بضيائه والكواكب المبين
هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار سببية لها في الجملة فان التبيان في
الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بيان المطالع ما هو اعلى وارفعها وهو المطلع الذي
اذا طلعت الشمس منه يكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك
عند ما يكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار
الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى
وكان النهار اطول كان التبيان والاظهار اتم واكمل روي ان رسول الله صلى الله عليه
سأل جبرئيل عليه السلام ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر
على ذلك وما ذاك اليك فاذن فاتيه عليها فرآه رسول الله عليه الصلوة والسلام قد ملأ الافق
بجلاله رجلاه في الارض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشي
عليه فتحول جبرئيل عليه السلام في صورة بني آدم الى آخر الكلام فقيل لرسول الله
عم لما رجع ما رأيناك منذ بعثك احسن منك اليوم فقال عم جاءني جبرئيل في صورته
فعلقني هذا من حسنه قوله من الضنة وهي التهمة اي ليس من الظن الذي يتعدى الى
مفعولين اي هو ثقة في جميع ما اخبر لا يتوهم فيه انه ينطق بشيء منه عن الهوى قوله ابن

كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء بمعنى متهم فان الظنين الرجل المتهم يقال اتهمت فلانا
بكذا وازننته به ان توهمت فيه ذلك وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد
اى ببخيل يقال ضننت بالشيء بكسر النون اضن به ضنا وضنانة فانا ضنين اى بخيل فهو
من باب علم يعلم يقول يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به و
لا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القراءة الاولى لو
جهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من نفي البخل والآخر قوله على
الغيب ولو كان المراد البخل يقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا
• وحافة اللسان جانبه والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربعة اسنان في مقدم الفم اثنتان
منها عليا واثنتان سفلى ووراء الثنايا اسنان اربعة يقال لها رباعية اثنتان من فوق
واثنتان من تحت ووراءها اسنان اربع يقال لها انياب اثنتان من فوق واثنتان من تحت
ووراءها الاضراس قوله بقول بعض المسترقة للسمع فسر الشيطان بالمسترقة لتوبيخه
توصيفه بالرجيم وكان اهل مكة يقولون ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه
فنفى الله تعالى ذلك بهذه الآية وقيل المراد بالشيطان الابيض الذي كان يأتي الانبياء
في صورة جبريل عليه السلام يريد ان يفتنهم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف
على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قلنا دلائل صحة النبوة
وكون القرآن وحيا من الله كثيرة فلا جرم امكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي
قوله استضلال لهم فيما يسلكونه شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق

الطريق ويتعسف المخيرة فانه يقال له اين يذهب استضلالا له والكلام الواقع تعسف فقيل
لمن ترك الدين الحق وعدل منه الى الباطل ذلك القول والمعنى اى طريق تسلكون ابين من
هذه الطريقة التي ظهرت حقيقته ووضحت استقامته واين ظرف مكان مبهم منصوب
بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين فحذف حرف الجر كقولك ذهبت الشام اى الى الشام
وقال الفراء العرب تقول الى اين تذهب واين تذهب وذهبت الشام وانطلقت السوق
والى الشام والى السوق ويجوز ان لا يصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكانه قيل اين
تؤمون وان في قوله ان هو نافية بمعنى ما والذكر بمعنى التذكر والعظة وخص من العالمين
من به حاجة الى التذكر والموعظة وهو من يعلم من الانس والجن والمخصص هو العقل
كما في قوله الله خالق كل شيء اى شيء ممكن لضرورة انه ليس بخالق نفسه مع انه يطلق عليه
الشيء يسمى الله شيئا لا كالاشياء وذاتا عن جهات الست خاليا واشار المص الى ما
ذكر بقوله تذكير من يعلم وقوله لمن شاء بدل من للعالمين باعادة الجار بدل البعض
من الكل وان يستقيم مفعول شاء فكأنه قال ما هو الا بيان وهداية للخلق اجمعين
الابدية لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق وملازمته وابداله من العالمين مع انه ذكر
شاملا لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكانه مختص بهم ولا يوعظ
به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يشاء الله ان يعطيه تلك المشيئة
لان تلك المشيئة صفة محدثة فلابد في حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه
الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة على حصول

على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد
ثبوتا ونفيا موقوف على مشيئة الله تعالى وهذا قول اصحابنا وقول المعتزلة ان هذه مخصوصة بمشيئة
القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشيئة الاختيارية شيء حادث فلا بد له من محدث فيتوقف
حدوثها على ان شاء محدثها ايجادها وح يعود الالزام كذا قال الامام في الكبير قوله يا من شاء ايها
اشارة الى ان الخطاب في قوله وما تشاؤن ليس للمخاطبين في قوله فاين تذهبون بل لبعض
منهم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من شاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب
لمن يشاؤها منهم وجعل المعنى الا ان شاء الله من اقامة المصدر موقع الزمان كما في آتيك خفوق
النجم قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما انزل الله تعالى على الانبياء انه من جعل الى نفسه
شيئا من المشيئة فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال الله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
والآي في هذا كثيرة وكذا الاخبار سورة الانفطار ذكر الله تعالى في اول هذه السورة اربعة
اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلق بالعلويات واثنان آخران يتعلق بالسفليات وقال
اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ما قدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم
وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدا
اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب
أي انه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بان تنفذ بعض البحار في بعض
بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا فيصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز

لتزلزل الارض وتصدعها ثم انه تعالى يخرب آخر الامر نفس الارض التي هي البناء بان
يقلبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر بعثرت المتاع وبحثرته اذا جعلت اسفله اعلاه فقوله بعثرت
القبور ان قلبها بان جعلت اسفلها اعلاها وذلك انما يكون باخراج موتاها وقوله بعثرت
ما في القبور اذا استخرجت ما فيه وكشفه وقيل ان بعثر مركب من بعث واثير ماخوذ
من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام ماخوذة من لفظة الله وبعضه قوله
انه جيدة في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور اثير واخرج كما نقل الجوهري منه والكلام
ينكرون امكان الخرق والالتيام على الافلاك ودليلنا على امكان ذلك ان الاجسام متماثلة
في كونها اجساما والمتماثلات يتحد حكمها فيصح على العلويات ما يصح على السفليات
وانما قلنا انها متماثلة لانه يصح تقسيمها الى السماوية والارضية ومورد التقسيم
مشترك بين الاقسام فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام فلا يتخالفان
فيما هو من لوازم الجسمية قوله من عمل او صدقة حمل كل واحد من التقديم والتأخير
اولا على معناهما الحقيقي ثم جوز ان يكون المراد بهما معناهما المجازي بان يكون تقديم
الفرائض بمعنى تكميلها والاتيان بها على حسب ما كلف بها بالغا الى جميع شروطها و
وادابها من الاخلاص وحضور القلب والخشوع وتأخيرها تضييعها وان لا يأتي
بها تاما كاملا فان الافراد الكاملة تتقدم في الارتقاء الى درجات الاعتبار والقبول
والافراد الناقصة تتاخر فيه وعلى تقدير ان يراد بهما معناهما الحقيقي وذكر فيما
قدمته وما اخرته وجهين الاول ان يكون المراد بما قدمته ما عمله بنفسه من الاعمال

الصالحة والسيئة مقدما ما عمل في حياته وما اخره ما عمل بنفعه بعد موته بالسببية بان سنه
لمن بعده حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الحاصلة بمباشرة من بعده يعدون
عليه انها اعمال الميت اخرها عن موته لكونه سببا لها واسناد الفعل الى السبب
شايع كثير مثل بنى الامير والثاني ان يراد بما قدمه الاموال التي تصدق بها قبل موته لـ
تكون ذخيرة له في النشاة الاخرى وبما اخره الاموال اخرها لورثته وقد مر ان تنكير
نفس في الاثبات لا ينافي ارادة العموم بها وعموم ما الموصولة ظاهر والعلم بجميع ذلك
كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة
فان قيل في اي موقف من مواقف القيمة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالي فيحصل
في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة
في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة **قوله** اي
شيء خدعك وجراك على عصيانه اشارة الى ان ما في قوله ما غرك استفهامية في موضع
الابتداء وغرك خبره وان غرك بمعنى خدعك والخطاب في قوله يا ايها الانسان يتناول
جميع العصاة ونزول الاية في الوليد بن المغيرة او في غيره من الكفرة على ما روي لا ينافي ارادة
العموم لما تقرر ان خصوص السبب لا يقدح في ابقاء اللفظ العام على عمومه وان العبرة
لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واشار المص الى ارادة العموم بقوله وجراك على عصيانه
وقيل المراد بالانسان الكافر المنكر بالبعث لقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين يقال
غره بفلان اذا جراه عليه وامنه المحذور من جهته مع انه غير مامون وهو كقوله ولا

يغرنكم بالله الغرور فالمعنى ما الذي خدعك وسول لك معصية ربك وامنك من
عقابه والاستفهام بمعنى الاستبعاد والتوبيخ ولما ورد ان يقال الاعتماد بكرم الرب
تعالى وجوده يقتضي ان يغتر الانسان به لان الكرم والجود هو افادة حاجة المحتاج
لا لعوض فان لم يكن الكريم مستعيضا فيما فعله استوى عنده طاعة المطيع وعصيان
المذنب في الاحسان اليهما وهذا يوجب الاغترار به وقد روي ان عليا رضي الله
عنه كرم الله وجهه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم
تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان
كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام واذا ثبت ان الكرم يقتضي
الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار به اشار المص الى جوابه بقوله وذكر
الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار به اي لا نسلم ان الكرم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي
الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافي كونه كريما بالنسبة
الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي اساءة للولي
والمطيع فثبت ان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ثم اشار
الى فائدتين اخريين لذكر الكرم ثم بقوله والاشعار وبقوله والدلالة فانهما معطوفان
على المبالغة في قوله للمبالغة فالمعنى على هاتين الفائدتين لم تغتر به يغرك الشيطان من كثرة
كرمه مع انها تستدعي الجد في الطاعة قضاء لحق شكره وفيه اشارة الى ان سبب اغترار
ابن ادم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فربك كريم كما روي عن قتادة ودو

وقال الحسن غرّه حمقه وجهله وقال مقاتل غرّه عفو الله حيث لم يعاجله قبّ في اول امره وقيل
للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرّك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول
غرّتني ستورك المرخاة اي ابكي رايت فسترت وقدرت فامهلت فلما رايت كثرة تمادي
حلمك اغتررت بها قال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير اسمائه و
صفاته كانه لقنه ان يجيب بان يقول غرّني كرمك وقيل لابي بكر الوراق لو قيل يوم القيمة ما
غرّك بربك الكريم ما تقول قال اقول غرّني كرمك ثم قال ولو قال ما غرّك بربك الجبار او القهار
لكان فيه اخطار فلما قال بربك الكريم كان ذلك تلقينا للجواب وقيل في هذا المعنى يقول مولاي اما
تستحي مما ارى من سوء افعالك فقلت يا مولاي رفقا فقد جرأني كثرة افضالك
ولما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله الذي خلقك
فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ولانه على الربوبية ظاهر لان فعل
هذه الامور الثلثة في المخلوق فلا جرم يكون دليلا للخالق وكذا دلالته على الكرم لانه لا شك
ان الخلق كرم وجود لان الوجود خير من العدم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية قوله
معتدلة لمنافعها حال من المنوي في سواك والحال مع عاملها بيان لجعل الاعضاء سليمة مما يخل
بمنافعها فقوله فسويك اي جعلك بشرا سويا اي تام الخلق سالما من النقصان في خلقته
بان خلقه مشتملا على جميع ما يستعين به في مقاصده من الآلات والاعضاء وجعل بترتيب
على كل عضو منها منفعته التي خلق ذلك العضو لاجلها ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي
خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا وقوله فتمثل لها بشرا سويا قوله والتعديل

والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهر انه اراد باعتدال البنية
اعتدال كيفياتها المتضادة بكون كل واحدة منها منكسرة نازلة عن حرافتها لحصول
الفعل والانفعال بينها وتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا لما آخر بان لا
يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان يكون احد اليدين او الرجلين والاذنين مثلا
اطول من الآخر او يكون احد العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى
ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا
في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل
ما في احد الجانبين مساو لما في الجانب الآخر كانه عدل له قوله او معتدلة بما تستعد لها
من القوى عطف على قوله معتدلة والمنوي في تستعد ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الا
عضاء والبارز المنصوب راجع الى ما وانث العايد اليه باعتبار كونه عبارة عن القوى
والمعنى او التعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا لا مناسبا لما هيئ له من القوى
كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل
على هذا بين الاعضاء ومنافعها التي هي القوة المودعة فيها وذكر لقراءة عدلك بالتخفيف
وجهين الاول انه بمعنى المشددة اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني
انه من العدول اي فصرفك من الخلقة المكروهة التي لساير الحيوانات الى احسن تقويم
والفاء في قوله فسواك وفي فعدلك لافادة ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر
لانها عاطفة لتفصيل المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد الاجمال كما تقول اجبته فقلت

ببيان والتسوية في الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية **قوله** ان ركبك في اي صورة ما
شاء ما اختار ان يكون قوله في اي صورة متعلقا بركبك وان شاء ما في موضع الجر على انه صفة
لصورة فلذلك قدر الضمير بعد شاء ليربط جملة الصفة بالموصوف ولم يعطف جملة ركبك على
ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك ان فعدلك ركبك في اي صورة تقتضيها مشيئته وحكمته من الصور
المختلفة مما يشبه الاب او الام او اقارب الاب او اقارب الام او لا يشبه واحدا منهم ومن
الطويل والقصير والحسن والقبيح وصورة الذكر والانثى ويحتمل ان يكون في اي صورة
متعلقا بمحذوف وهو حال من مفعول ركبك ان ركبك حاصلا في اي صورة شاءها وقيل
انه متعلق بعدلك وفيه ان اي اسم الاستفهام فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها و
كان الزمخشري استشعر هذا فقال فيكون في اي معنى التعجب على معنى فعدلك في اي صورة عجيبة
ثم ابتدا اجل ذكر فقال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب على ان ما في ما شاء
اما موصولة وهي عبارة عن التركيب فيكون مفعولا مطلقا اي ركبك تركيبا حسنا
شاء من التركيبات وتوصيفه بالحسن ليوافق من التعجب المستفاد من قوله اي صورة وهذا
لا يحسن ان يكون مجوزا لتقدم العامل على اسم الاستفهام وان دخلها معنى التعجب الا يرى
ان كيف واين وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملها عليها **قوله** وقيل ما شرطية وشاء
فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم والمعنى ما شاء من الصور ركب ٣
كبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف
وهو عليها **قوله** والظرف صلة عدلك يعني ان قوله في اي صورة على تقدير ان يكون ما شرطية

ما شرطية متعلق بعدلك ولا يجوز ان يكون متعلقا بركبك لان ما كان في اخر الشرط
لا يتقدم عليه الا ترى انك اذا قلت ان تضرب زيدا اضرب عمروا ولا يجوز تقديم عمروا على
ان تضرب وقد مر انه لا يجوز ان يكون من صلة عدلك لان استفهام والاستفهام لا يعمل
فيه ما قبله فوجب ان يكون متعلقا بمحذوف يدل عليه ركبك ومن جعله متعلقا بعدلك
يجعل في اي معنى التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ويجعل قوله ما شاء ركبك كلاما
مبتدا على معنى ما شاء من الصور ركبك عليها قال الامام لما اخبر الله تعالى في الآية الا ولـ
من وقوع الحشر اشار بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الآية الى ما يدل عقلا
على امكانه وعلى وقوعه وذلك لان القادر الذي خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها
وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة او لحكمة فان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو غير جائز يز
على الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان يكون عائدة الى الله تعالى والى العبد
الاول باطل لانه تعالى متعال عن الاستكمال والانتفاع فتعين الثاني وهو انه خلق
الخلق لحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان يظهر في الدنيا او في دار سوى الدنيا
والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل كل ذلك
ثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم يم
الذي يقدر على التخليق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه
يبعث الاموات ويحشرهم وهذا الاستدلال هو الذي ذكره بعينه في سورة والتين
حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد

بعد الدين قوله اضراب ان اعراض من حديث ايجاب الارتداع فان كلمة بل لنفي ما تقدم
وتحقيق غيره وهو معنى الاضراب او الشيء المتقدم ههنا ايجاب الارتداع عن الاغترار بكرم
الله عليهم فنفى بكلمة بل ارتداعهم عنه وبين ما هو سبب في اجرائهم عليه كانه قال
انهم لا يرتدعون من الاغترار بالكرم ان ما يكون ذلك الاغترار وسيلة اليه وهو
الاجراء على الكفر والمعاصي بل يجترؤن على ان يكون المراد بالاغترار بالكرم لازمه يكون
لا يغترون عليه وعندهم ما هو السبب الاصل لذلك الاجراء وهو تكذيب يوم الجزاء
والجزاء على ان اريد بالدين الجزاء والمكافاة يقال انه دينان جازاه ويقال كما تدين تدان
اي كما تجازي تجازى ومنه الديان في صفة الله تعالى وان اريد بالدين الاسلام كما في قوله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى انكم يكذبون بالجزاء على الدين الذي هو الاسلام
بيان لوجه الاضراب قوله تعالى وان عليكم لحافظين يجوز ان يكون مستانفة اخبرهم بذلك
ليزدجروا يكون ان يكذبون والحال هذه ويجوز ان يكون مستانفة اخبرهم بذلك ليزدجروا
من تكذيب ما كذبوه والمعنى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان الكاتبين يكتبون
عليكم اعمالكم لتجازوا بها فظهر ان المقصود تحقيق ما كذبوه ورد ما توقعوه قوله
لتعظيم الجزاء اي لبيان انه عند الله تعالى من عظائم الامور فانه لولا ذلك لما وكل
بضبط ما يجازون به الملائكة الكرام عنده فقوله لحافظين في تقدير ملائكة حافظين
وكراما نعت وكذا الكاتبين ويعلمون يجوز ان يكون صفة ايضا وان يكون حالا من
ضمير كاتبين وان يكون مستانفا وصفهم الله تعالى بكونهم حافظين لحفظهم

الجملة حالا من فاعل يكون ان يكذبون ح

لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم على الله تعالى بجدهم في طاعته وبكونهم كاتبين لا
نهم يكتبون اعمال بني آدم على علم منهم بجميع افعالهم فان قيل قوله ما تفعلون يعم افعا ل
القلوب وهي غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من باب المغيبات والغيب
لا يعلمه الا الله تعالى على ما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اذا لم يكن هذه الافعا ل
معلومة للملائكة استحال ان يكتبوها والآية يقتضي ان يكون كاتبين كل ما يفعلونه
سواء كان ذلك من افعال القلوب ام لا اجيب بان ما تفعلون عام مخصوص بافعا
ل الجوارح وتخصيص العام كثير شايع وسئل سفيان كيف تعلم الملائكة ان العبد
قد هم بالمعصية او بالحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك وان هم بسيئة
وجدوا منه ريح النتن وقوله تعالى وان عليكم وان كانوا ان خطاب مشافهة الا ان
الامة اجمعوا على ان هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام
الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة
والجحيم النار ويصلونها صفة لجحيم او حال من المنوي في الجر ويوم الدين ظرف له
قوله تعجيب وتفخيم جعل ما ادريك فعل التعجيب المقصود به تعجيب المخاطب
وتفخيم شان اليوم وهذا المعنى يستفاد بذكره اولا والثاني تاكيد للاول فصح ان المجموع
من قبيل التعجيب والتفخيم وعن ابن عباس كل ما في القرآن من قوله وما ادريك فقد ادراه
وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه قوله لا تدركه دراية دار الاشارة
الى ان ما ادريك خطاب عام وقال الاكثرون الآية خطاب للرسول صلى الله عليه

وسلم وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب لكل فرع وجه الزجر له
قوله تقرير لشدة هوله واجلاله لا من حيث انه قد فهم انه لا يغني عنهم الا البر والطاعة يومئذ دون
ساير ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء فان اهل الدنيا قد
كانوا يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في السور ويحمي بعضهم بعضا فاذا كان يوم
القيمة بطل ذلك كله لان الله تعالى لم يملك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا
فكيف يكون حال من خالفه وعصاه قوله او الجر المحذوف وذلك انه لما قال وما ادريك ما
ادريك ما يوم الدين قال يوم لا يملك اي هو يوم لا يملك وقرا الباقون بالفتح ثم اختلفوا في
انها فتحة اعراب او بناء ومن قال انها حركة اعراب ذكر في النصب وجوها احدها ان يكون بدلا من
يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون ظرفا للفعل محذوف يدل عليه الدين
اي يدينون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باضمار اذكر او اعني فيكون
مفعولا به ومن قال انه فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى قوله لا تملك وانما اضيف الى غير المتمكن
قد بني على الفتح وانه في موضع رفع على انه خبر مبتداء محذوف اي الجزاء يوم لا تملك يدل عليه
الدين **سورة المطففين** قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيها الجبال
لماعت من حرها وقال الضحاك هو الشدة من العذاب وقال ابن كيسان هو كلام لكل
مكروب فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وهو مبتداء وللمطففين خبره وجاز الابتداء به مع انه
اسم علم لوا دمخصوص واما لانه في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله لا من لفظه فانه

اصله اهلكه الله اهلاكا او هلك هو هلاكا والويل بمعنى الهلاك او الاهلاك فلما حذف الفعل
وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه به بالمدعو
عليه كما قيل في سلام عليكم فلما كان الويل في الاصل مصدرا ساد امسد الفعل
المتخصص بصدوره من فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء
بها لذلك **قوله** لان ما يبخس طفيف عليه لتسمية من يخون في الكيل والوزن بان لا
يعطي المشتري حقه بالكمال مطففا يعني ان الطفيف هو الشيء الحقير القليل والتطفيف في
المكيال والميزان نقص يسير طفيف من حق المشتري بان لا يملاء المكيال الى جوانبه وبان
لا يسوي عمود الميزان بنقص شيء قليل من حقه على سبيل الخفية وذلك لان النقص الكثير
يظهر فيمنع منه فالمطفف لا يقدر ان ينقص من حق الناس الا شيئا طفيفا فسمي مطففا
لذلك يقال لحق حقه يجبنه نحسا اذا نقصه **قوله** اي اذا اكتالوا من الناس يريد ان الاكتيال الاخذ بالكيل كما لاتزان الاخذ بالميزان وان اللغة الشايعة ان يقال اكتلت من فلان ولا يقال
اكتلت على فلان الا انه في الآية اقيمت كلمة على مقام من لوجهين الاول للدلالة على ان اخذهما
على الناس من الحق فانه اذا قيل اكتلت عليه يراد اخذت ما عليه من حق بالكيل واذا قيل اكتلت
منه يراد استوفيت واخذت منه بالكيل من غير تعرض لكون المأخوذ منه حقا له عليه ام لا والثاني
الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار
والظلم يقال تحامل عليه اي ظلمه فقولهم اكتال عليه يعني اخذ منه اخذا متضمنا للتحامل والظلم
عليه ومنه ان هذا الوجه يأتي منه قوله تعالى يستوفون لان معناه يستكملون ويقبضون

حقهم تاما وافيا فكيف يتصور الظلم والاعتداء فيه فالوجه الاول اظهر اقرب قوله اي اذا كالوا لهم
او وزنوا لهم يريد ان اللغة الشائعة ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كلته او وزنته وان
الاية اما من قبيل الحذف والايصال كما في جنيتك بمعنى جنيت لك والاصل كالوا لهم المبيع فحذف
المفعول به للعلم به ثم حذف الجار واوصل الفعل فلفظ هم منصوب المحل متصل في التقدير عليها الكاف
واما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير كالوا مكيلهم ولم يستحسن ان يكون
لفظ هم ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير الفاعل المتصل بالفعل لوجهين الاول انه يفوت
ارتباط احد الكلامين بالاخر وذلك لان الكلام الاول وهو قوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون مسوق
لبيان حال المطففين في الاخذ ولا يرتبط الكلام الثاني به الا بان يبين ان حالهم في الدفع يخالف
حالهم في الاخذ وهو يقتضي اتحاد مباشر الاخذ والدفع وفاعلهما فلو جعل المنفصل تاكيدا للمرفوع
المتصل لتوهم ان المقصود بيان اختلاف الحال بين مباشرتهم ومباشرة غيرهم وتبين المقصود ولا
يطابق ما قبله ايضا لان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم خصوصا
اخسروا ونقصوا حق صاحب الحق ولا يخفى انه كلام متنافر المعنى خال عن الانتظام والالتيام
والثاني انه لو كان مرفوعا مؤكدا لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع في امام المصاحف
كما هو الاصل في امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي ولقد جنيتك
من نبات الاوبر والعساقل من الكماة الواحدة عسقول وهي الكماة الكبار البيض يقال لها شحمة
الارض والكماة واحدتها كمء على غير القياس وهو من النوادر تقول هذا كمء وهذان كمآن وهؤلاء
الكمؤ ثلثة فاذا كثرت فهي الكماة وبنات الاوبر كماة صغار مزغبة على لون التراب يقال جنيت

التمرة اجنيها جنيا اذا اخذتها من منبتها يقول جنيت لك اي لاجلك نوعين من الكمء من اجودها
ونهيتك عن النوع الاخر الذي هو ارداها انواعها قوله وفيه انكار وتعجيب من حالهم الانكار
مستفاد من صورة الاستفهام فان هذه ليست هي التي للتنبيه بل همزة الاستفهام دخلت
على النافية فافادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجيب مستفاد من ذكر الظن في موضع
ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن بالبعث والحساب والجزاء
لتعاضد الدلائل العقلية عليها فلا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة في يوم الحساب
وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن يجاسر على ارتكاب هذه القبائح يدل من ظاهر حاله
انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا من التيقن به لان الظن كاف
في حصول الخوف الموجب للامتناع عنها وعدم امتناعه يدل على انتفاء ظنه بذلك
ايضا وذلك امر عجيب قوله لحكمه بتقدير المضاف اي يقومون لمجرد امره وحكمه بذلك
لا لشيء اخر ويجوز ان يكون المضاف المقدر المحاسبة والسؤال يوم يقومون لمحاسبة
رب العالمين فيظهر هناك تطفيفهم بذلك القدر الطفيف الحقير خفية وظلما فينتصف للمظلوم
من الظالم او يوم يقومون لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم فيقومون من مراقدهم بذلك
وروي في كيفية قيامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقوم احدكم في رشحه الى انصاف
اذنيه وفي كمية ذلك القيام انه حين قال يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من سني الدنيا لا يؤمر
فيهم بامر وعن ابن مسعود رضي يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون وقال ابن عباس وهو في حق
المؤمن كمقدار انصرافهم من صلوة مكتوبة قوله وذكر الظن فان ذكره ليس لاجل اتهام البعث

والقيام والمحاسبة من القضاء التي يكفي فالمؤمن ان يظن بوجوه لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا
جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة في المنع من التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفي في
الامتناع والارتداع من امثاله فضلا من الجزم واليقين وكذا وصف اليوم بالعظيم فان ما
يستعظمه الله تعالى لا شك انه يكون في غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال و
كذا ذكر القيام من القبور للحساب والجزاء لحكم الله تعالى بذلك فان المطفف اذا حكم عليه بذلك القيام
والمحاسبة والمجازاة على تطفيفه يكون ذلك مبالغة في المنع عنه وتعظيما لانه لا سيما وقد وصف
تعالى نفسه بكونه رب العالمين المشعر بالمالكية والتربية فلا يمنع عليه الظالم القوي بكونه مملوكا مسخرا
في قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لانه رب العالمين ومقتضى التربية ان لا يضيع شيئا
من حقوق المستحقين واصل المنع من التطفيف حصل بقوله اولا ويل للمطففين لان كلمة الكلام
الواقع في بليه فدل بذلك على انهم تنزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فيدعون لذلك
على انفسهم بالويل والثبور وما ذكر بعده للمبالغة فيه قال اعرابي لبعض من الملوك الكل قد سمعت
ما قال الله عز وجل في المطففين واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ
القليل فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن **قوله** ما يكتب من اعمالهم
لما ورد ان يقال انه تعالى قد اخبر ان كتاب الفجار في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب
مرقوم فما معناه اشار المصنف الى توجيه المعنى بان الكتاب في كتاب الفجار مصدر كتب كتابا و
كتابا وكتابة ثم ان المصدر اما ان يكون بمعنى المفعول كضرب الامير والكتاب الذي فسر به
السجين بمعنى السفر الذي كتب فيه فالمعنى ان الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة في الكتاب الجامع لجميع

لجميع اعمال الفجرة واما ان يكون باقيا على معناه ويقدر المضاف فتقدير كتاب الفجار كتابة اعمال
الفجار في الكتاب الجامع وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل هو خبر بعد خبر
لان والمعنى ان كتاب الفجار لفي سجين وانه كتاب مرقوم و**قوله** وما ادريك ما سجين و
قع معترضا بين الخبرين وقال الامام ان السعداء وفي كون احد الكتابين في الآخر اما بان يوضع كتاب
الفجار في الكتاب الذي هو الاصل المرجوع اليه في تفصيل احوال الاشقياء او بان ينقل ما في
كتاب الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بالكتاب
الكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفي سجين اي كتابة اعمالهم في سجين ثم وصف السجين
بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار انتهى كلامه بعبارته **قوله** اي مسطور بين الكتابة الجوهري
الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب به للدلالة على انه بين الكتابة
بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان توجه وان فسر بالمختوم يكون ذلك
المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من
اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام التهويل **قوله**
فعيل من السجن اختلف في ان السجين اسم علم لشيء معين او اسم مشتق من معنى فمن
ذهب الى الثاني قال انه فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق كما يقال فسيق من الفسق
**قوله** نعت به الكتاب يعني انه في الاصل من اسماء الصفة وموضوع لمبالغة ساجن ثم نقل عن
الوصفية وجعل علما للكتاب تسمية للسبب باسم المسبب ودلالته على المبالغة في كونه سبب
الحبس والتضييق من حيث ان الحبس الدائم به للخلود والابد وان كان السجين

٢

مبالغة السجون بكون نسبة الكتاب به لكونه مطروحا في اسفل المواضع واوحشها من حيث
الظلمة والضيق وفيه ابليس وذريته لعنهم الله فيطرح فيه كتاب اعمال الفجار من حيث ان اعمالهم لا
يقبل فلا يصعد موضع القبول قوله وقيل هو اسم مكان من ذهب اليه في الاصل اسم علم لشيء
معين منهم من قال انه الارض السابعة السفلى وقيل وفيها ابليس وذريته وروى عنه عم
انه قال سجين جب في جهنم وقال الكلبي ومجاهد سجين صخرة تحت الارض السابعة وعن ابن
عباس رض انه قال لكعب الاحبار اخبرني عن سجين وعليين وقال كعب والذي نفسي بيده لا اخبر
تك عنهما الا بما اجد في كتاب الله المنزول اما سجين فانها صخرة سوداء تحت الارضين السبع مكتوب
فيها اسم كل شيطان فاذا قبضت نفس الكافر عرج بها الى السماء فغلقت ابواب السماء دونها
ثم رمى بها الى السجين فذلك هو السجين واما عليون فانه اذا قبضت نفس المؤمن عرج
بها الى السماء وفتحت لها ابواب السماء حتى ينتهي الى العرش قال فيخرج كف من العرش فتكتب له
نزله وكرامته فذلك عليون وقيل حفظ كتاب الفجار في اسفل المواضع واشدها عذابا الى ان
يبعثوا الملام لسوء احوال اصحابه وخساستهم ثم ان كان السجين اسما لاقبح المواضع و
اسفلها لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف الى سجين او الى كتاب
ليصح الحمل واشار اليه المص بقوله والتقدير ما كتاب السجين الخ قوله بالحق او بذلك ان
اتصل قوله ويل يومئذ للمكذبين بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يكون المعنى ويل يوم
يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تعالى وان اتصل بقوله كتاب مرقوم ومعناه مر
قوم برقم يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة يكون المعنى ويل في ذلك اليوم للمكذبين بذلك قوله

قوله صفة مخصصة او موضحة او ذامة التخصيص في اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل
في النكرات في مثل رجل صالح فان صفة فيه تقلل شركة الموصوف ولم يبقه والتوضيح رفع الا
شتراك الحاصل في المعارف اعلاما كانت او لا نحو زيد العالم والرجل الفاضل واللام التنوين
في المكذبين ههنا ليست للاشارة الى نفس الحقيقة مع قطع النظر عن تحققها في ضمن الوجود وهو
ظاهر ولا للاستغراق لان المكذب باطل ليس بمراد قطعا فهي اما لتعريف العهد الذهني فيكون في حكم
كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فالوصف يقلل الشركة ويخصصه بمن يكذب بيوم الدين
واما للتعريف العهد الخارجي والمعهود هم المكذبون باخبار الله تعالى او يكون كتاب الفجار في
سجين مرقوم بما يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة وتم وان كانت طائفة معينة
الا انهم وصفوا بما هو اخص اوصافهم وهو التكذيب بيوم الدين لزيادة الايضاح ورفع
ما عرض لهم من بعض الشركة بها والابهام من بعض الوجوه والموصوف المعرف ان لم يعرض
له قبل التوصيف شيء من الشركة والابهام يكون التوصيف لمجرد الثناء كما في نحو بسم الله الرحمن الرحيم
اذ لا يتصور عروض الشركة للمسمى باسم الله او لمجرد الذم كما في نحو اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم والوصف ههنا كما يجوز ان يكون للتخصيص والتوضيح يجوز ان يكون للذم ايضا فان
من ان يكذبهم بيوم الدين علم من قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم قوله الخارج
ان المنتج نتيجة باطلة والمثمرة فائدة ناقصة منقطعة يقال اخذ جب الناقة اذا جا
بولدها ناقص الخلقة والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وحمله المص على اهمال القوة
النظرية التي كمالها ان التوفي الانسان بما الحق لذاته مثل ان يعرف وحدة الصانع والعا

باوصاف الجلال والكمال وتنزيهه عما لا يليق بشان الالوهية والمكذب بالبعث والنعيم انما يكذبه
لاستبعاده قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستبعاده
علمه وعدم اعتقاده بكونه عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يتحقق بانه عالم بتفاصيل
اجزاء كل شخص متميزا من اجزاء غيره وانه قادر على جمعها واعادة الحيوة فيها ولا شك ان من
وصفه تعالى بما يجوز ان يوصف به فقد اهمل قوة النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقايد الحقة
الصحيحة ويعتقد بها والاثيم يدل على المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي بالاشتغال بالشهوة
والغضب بحيث لم يتفرغ بذلك للعبادة والطاعة بل للنظر المؤدي الى الايمان بالبعث والنعيم
ومن كان هذا شانه فقد اهمل قوة العملية ايضا كما اهمل ان يعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى
بالغ في ذم المكذب بما وصفه بالاعتداء عن النظر في شواهد النقل بانكار النبوة والقدح في كون القرآن
من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا في الاعتداء المذكور اولا الا انه خص
بالذكر للمبالغة في ذم من اتصف به فان الامر الارسال والانزال اشرف اثار رحمة الله تعالى
وفضله على عباده ومن انكرهما فهو في غاية الطغيان ولا يستبعد منه تكذيب يوم الدين وفي
الصحاح السطر بسكون الطاء الصف من الشيء والجمع على السطر والسطور مثل افلس وفلوس
في جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله والجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير
الاباطيل الواحد اسطورة بالضم واسطارة بالكسر انتهى فاساطير الاولين اكاذيبهم
واخبارهم الباطلة والظاهر انه عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات نظرا الى لفظ كل
وقيل ان المراد به الوليد بن المغيرة احتجاجا بقوله تعالى في سورة ولا تطع كل حلاف مهين الى

قوله معتد اثيم والى قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين حيث قيل انه الوليد بن
المغيرة فعلى هذا يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين من قريش او من قومك الا كل معتد
اثيم وهو هذا الشخص المعين قوله رد لما قالوه اشارة الى ان وجه الاضراب ههنا ابطال
الكلام المتقدم والاعراض عنه لبطلانه مع الشروع في كلام يتعلق به وقد يكون الاضراب
لمجرد الاعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو اهم منه وههنا
اوجب عليهم الارتداع عن ذلك القول المنكر ثم اضرب عنه الى بيان ما ادى بهم اليه
كانه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل افعالهم الماضية كان سببا لحصول
الرين في قلوبهم فلذلك اجترؤا على ان يقولوا ذلك وفسر الرين بالصدأ والدنس
والاثار في اثناء تقريره الى تفسيره بالغلبة كما قال ابو عبيدة كل ما غلبك فقد ران بك و
رانك وران عليك وران على قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران و
الموت يرين على الميت اي يغلب فيذهب به وقال رين بالرجل يران رينا اذا وقع فيما
لا يستطيع الخروج منه وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع
القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو القفل على القلب وقال الزجاج
ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا اي غشيه
والرين كالصدأ يغشي القلب ومثله الغين قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول
الملكات تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببا لغلبة حب المعاصي عليهم فان امن لا
تعليم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان اقتداره على عمل الكتابة اتم وكذلك

الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية وفكر بل يصير ذلك كالامور ا
لطبيعية التي جبل عليها الانسان فهذه الهيئة النفسانية والملكة الراسخة لما تولدت من تلك الا
عمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الاعمال اثر في حصول تلك الملكة النفسانية فكذا الانسان
اذا واظب على الاتيان ببعض انواع الذنوب حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها
اباؤه من الاتيان بذلك الذنب ويسهل عليه ذلك ولا يبقى للذنب الا كل ما يشغله بغير الله
ويقصد بغير وجهه ونيل مرضاته فيكون ظلمة على القلب فاذا الذنوب كلها ظلمات وسواد كما ان
الطاعات كلها انوار وضياء فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب سوادا وحسب السواد
القلب يزداد المراد وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله لم يبق في قلبه شيء من
الحياء والخشية ويرتفع بالكلية ما يمنعه من اتباع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب
المعاصي فيقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولما كانت مراتب الملكات في الشدة والضعف
مختلفة لا جرم كانت مراتب ظلمة القلب والسواد مختلفة وبعضها يكون رينا وبعضها
طبعا وبعضها اقفالا وقيل للانسان ثلثة انواع من الذنوب تقابلها في الدنيا ثلث عقوبات الاول
الغفلة عن العبادات وذلك يورث جسارة على ارتكاب الذنوب وهي المشار اليها بقوله
عم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا اورث في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه وان ازداد زادت حتى تعلو قلبه والثاني الجسارة على ارتكاب المحارم
اما الشهوة تدعوه اليه او شرارة تحتز في منه فتورثه وقاحة وهي المعبر عنها با
لرين في قوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والثالث الضلال وهو ان

هو ان يسبق الى اعتقاد مذهب باطل واعظمه الكفر فلا يكون يلغب عنه بوجه الى الحق وذلك بوراثة
هيئة تمرنه على استحسان المعاصي واستقباح الطاعات وهو المعبر عنه بالختم و
الطبع في قوله اولئك طبع الله على قلوبهم وقوله وختم على سمعه وقلبه وبالاقفال في قوله ام
على قلوب اقفالها وما في قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرية وان يكون موصولة
وراجعها محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية على كلا التقديرين ان غلب على قلوبهم كسبهم او الذي
كانوا يكسبونه **قوله** فلا يرونه بخلاف المؤمنين سئل مالك بن انس عن هذه الاية فقال
لما حجب اعداءه فلم يروه لا بد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه ومن الشافعي لما حجب قوما
بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب
لا يرون ربهم والمؤمنون يرونه ونحو الاية من جملة ادلة الرؤية من حيث انه تعالى ذكر
هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله
في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن والا لما كان للتخصيص فائدة
واجاب المعتزلة عنه بحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية فانه اذا قيل الفلان محجوب عن
السلطان يراد انه مهان عنده وان السلطان ساخط عليه غير راض عنه فلذلك حجبه
من رؤيته وحضور مجلسه ثم انه شبه حال المكذبين في اهانتهم مع الله وكونهم متعلق
سخطه بحال المهانين المحجوبين عن بعض السلاطين فاطلق في حق المكذبين الكلام
المقول في حق هؤلاء المحجوبين على طريق الاستعارة التمثيلية وهو لا نعرف النصوص
المتعاضدة الدالة على الرؤية عن ظواهرها بناء على ان الشاهد الا في مخالفة للاولى

في كثير من الامور قال تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وهو
تعالى قادر على كل شيء فيقدر على ان يخلق الرؤية فيهم النشأة يوم البعث فرون من هو منزه
عن جميع الجهات والكميات والكيفيات والكفار لما صاروا محجوبين في عرصة القيمة عن رؤية الله
تعالى فعند ذلك يؤمر بهم الى النار ثم اذا دخلوها يوبخون بتكذيبهم بالبعث والجزاء وهو قوله
تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم الى قوله كلا تكرير للاول وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون فقال كلا ردعا للمطففين ٣
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب قوله الكلام فيه ما مر في نظيره يعني ان كتاب الابرار
معناه الاعمال المكتوبة للابرار على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب او كتابة اعمال الابرار على انه
مصدر مضاف الى مفعول لفي عليين ان لفي كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين في الاصل
جمع على وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه
سببا للعلو صاحبه غاية العلو او لكونه موضوعا في ارفع المواضع واشرفها والحكم على
عليين وهو جمع بالكتاب المرقوم باعتبار كل واحد من احاده ولم قوم ان كان بمعنى المكتوب
يكون المعنى انه كتاب بين الكتابة يقرأ بلا تكلف وان كان بمعنى المختوم فالمعنى انه كتاب معلم
بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بالنعيم الدائم وملك لا يبلى وقيل عليون اسم مكان
واعراب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فروى عن ابن عباس انها السماء الرابعة
وفي رواية اخرى عنه انها السماء السابعة وقال قتادة ومقاتل هي قائمة العرش اليمنى فوق
السماء السابعة وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الزجاج اعلى الامكنة فعلى كونه اسم مكان

فلا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على حذف المضاف من الاول او من
الثاني ويكون التقدير وما ادريك ما كتاب عليين او هو محل كتاب مرقوم ولا بعد في ان يكون
الكتاب في المعنى متضمنا لمعنى السر المكتوب فيه وان يكون احد الكتابين في الآخر اما بان ينقل ما
في كتب الابرار الى ذلك الكتاب الذي وكل الملائكة بحفظه او بان توضع معه وتحفظها حفظه
فكأنه تعالى كما وكل المقربين من الملائكة بحفظ اللوح المحفوظ وكلهم بحفظ كتب الابرار
معه ولا يبعد ان الحفظة اذا تصعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون ام الكتاب فكما ان المقصود من وضع كتاب الفجار في اسفل السا
فلين وفي اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شأنهم فكذلك المقصود من وضع كتاب
الابرار في اعلى المواضع واشرفها تعظيم الابرار وتكريمهم وليكون علم الملائكة بما حفظوا
من اعمالهم سببا لثناء وتمجيد لهؤلاء الابرار فكذلك يحاسبون حسابا يسيرا حيث يشهد
٣ لهم الملائكة المقربون قوله على الارائك في الحجال وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس
يزين بالثياب والاسرة والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال
عن الحسن كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجلا من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم
ذلك عظم الله تعالى كتاب الابرار في الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان
الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلثة اولها قوله على الارائك ينظرون و
ثانيها قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وثالثها قوله يسقون من رحيق مختوم وقوله على
الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوي في الخبر او من الفاعل في ينظرون

واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اما من المنوي في الخبر او في الظرف اي ناظرين الى ما
اعطوا في الجنة مما يسرهم وحذف المفعول للتعميم **قوله** بهجة التنعم اي اذا رأيتهم عرفت انهم اهل
النعمة بسبب ما ترى في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار وعليها
قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال عطاء ان الله تعالى يزيد وجوههم من
النور والحسن والبياض ما لا يصفه واصف **قوله** اي مختوم اوانيه ليس مراده بيان ان اسناد
الختم الى الرحيق من قبيل الاسناد المجازي بل بيان ان الختم على الشيء الكريم المصون ان الاشياء
منه بالختم طريقه ان يختم الظرف والاناء تكريما له واظهارا لنفاسته كما ان تعيين المسك مكان
الطين لان يختم عليها بالطين والرحيق من الخمر صفوته وخالصه الذي لا غش فيه ولا شيء يفسده
ولعله هو الخمر الذي وصفه الله تعالى بقوله لا فيها غول وكونه صافيا بهذا المعنى لا ينافي كونه ممزوجا
بالتسنيم وفي الجنة خمر اخرى منها انهار كما قال وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف
من الجاري وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة لا تحصل فيه اولا وانما
الملابسة به فالمعنى انه يوجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمته آخره ووصف
الرحيق بان عاقبة شربه هي ريح المسك عبارة عن كونه ممزوجا بالمسك لانه لو لم يمزج بالمسك
لما حصل فيه رائحة المسك فان علقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة قالوا
اذا رفع الشارب فاه من آخر شربه وجد رائحة كريح المسك وقراءة الكسائي يؤيد الوجه الثاني فان
خاتم الشيء بفتح التاء آخره كما في خاتم النبيين قال الفراء وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام
مصدر كقولهم هو كريم الطباع والطابع **قوله** فليرتقب الراغبون يقال نفس الشيء

بالضم نفاسة اي صار مرغوبا فيه وتنافست في الشيء منافسة اذا رغبت فيه على وجه
المباراة في الكرم وتنافسوا فيه اي رغبوا وفلان ينافس فلانا اي يعارضه ويفعل مثل فعله
ونفس به بالكسر اي ضن به يقال نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستاهله كذا في
الصحاح وقال الواحدي يقال نفست عليه الشيء انفس نفاسة اذا ضننت به ولم تحب
ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به
والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله لا في النعيم الذي هو مكدر سريع
الفناء **قوله** سميت تسنيما وهو مصدر سنمه اذا رفعه فان اصل هذه الكلمة للعلو
والارتفاع ومنه سنام البعير وتقول تسنمت الحائط اذا علوته سميت العين التي في الجنة
تسنيما اما لانه ارفع شراب في الجنة قدرا واما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري
في الهواء مسنمة فتنصب في اوانيهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اشرف شراب اهل الجنة هو
التسنيم لانه يشرب به المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين واعلم ان الله تعالى لما قسم المكلفين
في سورة الواقعة الى ثلاثة اقسام المقربون واصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم انه تعالى لما ذكر
كرامة الابرار المذكورين في هذه السورة بانه تمزج شرابهم من عين يشرب بها المقربون صرفا
علمنا ان المذكورين في هذه المواضع هم اصحاب اليمين والتسنيم في الجنة الروحانية هو
معرفة الله ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات
فالمقربون الذين هم افضل اهل الجنة لا يشربون الا من التسنيم اي لا يشتغلون
الا بمطالعة وجهه الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون نظرهم

اليه وتارة المخلوقات **قوله** وانتصاب عينا على المدح او بتقدير اعني او على انه حال من تسنيم
بمعنى جاريا فان التسنيم لكونه علما لعين بعينها في الجنة معرفة فيجوز نصب الحال عنه والمعنى ومزاج
ذلك الشراب المسمى بالرحيق من الماء العالي جاريا **قوله** والكلام في الباء كما مر في سورة
الانسان من انها اما صلة الالتذاذ من شرب المقربون ملتذين بها او بمعنى من لان الشرب
مبتدأ منها كما هو او مزيدة اي شربها بتقدير شرب ماءها لان العين لا تشرب وانما يشرب
ماؤها ويحتمل ان يكون بمعنى ان يشربون وهم فيها والجار في موضع الصفة لقوله عينا **قوله**
يعني رؤساء قريش اه وذكر الامام ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابي جهل و
الوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم كعمار و
صهيب وبلال وقيل جاء علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون و
ضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه
فنزلت هذه الآية قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا
صلع الذي انحسر شعر مقدم رأسه وكانهم انما قالوا ذلك في حق علي رض لانه كان
يحلق رأسه منذ سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تحت كل شعرة جنابة
وقال رضي الله عنه ومن ثم عاديت رأسي واعلم انه تعالى لما وصف كرامة الابرار
في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفرة معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم ثم بين
ان ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية
قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا



من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون
والتغامز التفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز بمعنى العيب
يقال غمزه اذا عابه وما في فلان غمزة اي ما يعاب به والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء
ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون
المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات وامر البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد
كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اي معجبين فرحين بما فعلوا
بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين و
فكهين لغتان بمعنى ناعمين ملتذين وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر وايثار
الحظ العاجل وفكهين معجبين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس
مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر والفاكه الناعم المتلذذ بما هو فيه ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون اي انهم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى
هل له وجود ام لا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار
رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون
عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم والتفرغ لها عن تتبع احوال غيرهم
**قوله** حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار مع قوله وقيل يفتح لهم الى ذكر في سبب ضحك المؤ
منين من الكفار وجهين الاول ان المؤمنين يضحكون على الكفار بسبب ما هم فيه من انواع الهوان
والبلاء المؤبد وانهم اختاروا اللذة البشرية الفانية على راحة الابد بخلاف انفسهم

فانتم نالوا بالتعب اليسير راحة الابد ودخلوا الجنة فجلسوا على الارائك ناظرين اليهم كيف
يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا والوجه
الثاني سبب ضحك المؤمنين منهم ما قيل من انه يفتح لاهل النار وهم فيها باب الى الجنة الخ **قوله**
حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة
والكبر في الدنيا والظاهر ان قوله تعالى هل ثوب الكفار الاية كلام مستانف من قبل الله تعالى
او من قبل الملائكة تنبيها لهم على ان اعداءهم قد جوزوا واجزاء ما فعلوا من ضحكهم بالمؤمنين لير
يزدادوا بذلك سرورا الى سرورهم لانه يتضمن زيادة في تعظيمهم فان اهانة الاعداء تعظيم
الاولياء **سورة الانشقاق** وهو الانصداع والانفراج والباء في قوله بالغمام للآلة كما في
قولك انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها والغمام السحاب
قيل يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد واقطع من حيث انه جاء العذاب من
موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل للسقوط والانتقاض الجوهرية
التي المجرة في السماء سميت بذلك لانها كاثر المجرة ويقال لها بالفارسية راه كهكشان تنشق
السماء من ذلك الموضع كانه منفصل ملتئم فتتصدع منه **قوله** واسمعت له الجوهري اذن له
اذنا استمع وانشد ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما سمعوا من صالح دفنوا اضم
اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا ومن ابي هريرة رضي الله عنه انه عم
قال ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لصوت نبي يقرأ
الكتاب المنزل عليه وهو مجاز من الاستعداد بذلك والاستحقاق له فان معنى اذان لغة انه وجه

وجه اذن السامعة فاذا اطلق في حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة
والانقياد مجازا واذا اطلق في حق نحو السماء مما ليس من شانه الاستماع والقبول يكون استعارة
تمثيلية بان شبهت حال السماء في انقياده لتاثير قدرة الله تعالى حين اراد انشقاقها
بانقياد السميع المطواع للامر فاستعير لها ما استعمل فيه فهي استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز
المرسل قال الامام والمعنى انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في
شقها وتفريق اجزائها فكان في قبول ذلك التاثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر
من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع قوله اتينا طائعين يدل على نفوذ القدرة في الا
يجاد والابداع من غير ممانعة اصلا وقوله ههنا واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة
في التفريق والاعدام والافناء من غير ممانعة اصلا وحقيق لها ان تسمع وتطيع لامر الله
تعالى اذ هي مربوبة مقهورة له تعالى وممكنة في ذاتها والممكن ليس له الا القبول والاستعداد
وكل واحد من الوجود والعدم بالنسبة اليه على السوية او ترجيح وترجيح وجوده على عدمه
على وجوده لابد وان يكون بتاثير واجب الوجود وترجيحه فيكون تاثير قدرته في ايجاده او
اعدامه نافذا من غير ممانعة اصلا **قوله** واكامها وهو جمع اكم بضمتين مثل عنق واعناق والا
كم جمع اكام مثل كتب في جمع كتاب والاكام جمع اكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر و
ثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وينسفها
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيستوي ظهر الارض وينبسط وعن ابن
عباس رضي مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى

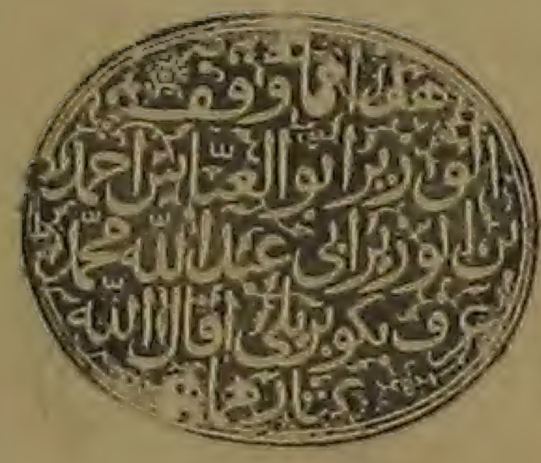
فعلى هذا قوله تعالى مُدّت مأخوذ من مددت الشيء فامتد وقيل انه مأخوذ من مدة والمعنى امدت اي اريد
في سعتها يوم القيمة لوقوف الخلايق عليها للحساب ولابد من الزيادة في وجه الارض سواء
كان ذلك بتمديدها او بامدادها لان الخلق من الاولين والآخرين لما كانوا واقفين يوم القيمة
على ظهرها فلابد من الزيادة في طولها وعرضها روى الامام ابو الليث عن علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة مدّ الله الارض مدّ الاديم حتى لا يكون لبشر
من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلايق فيها قوله من الكنوز والاموات الاول عند قرب
الساعة والثاني عند البعث قوله وتكلفت ان خلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء فكانها
تكلف في الخلو اقصى وسعها وطاقتها والا فحقيقة التكلف لا يتصور في الارض والجهد بضم الجيم
الطاقة وبالفتح المشقة والجهد الواقع في تفسير الكدح بفتح الجيم بمعنى المشقة والتعب ولذلك
عطف عليه الكد في الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح
جلده اذا خدشه والكد السعي الشديد في العمل وطلب الكسب قال قطرب يقال كادح اي كاد وتعب
من قولهم فلان يكدح لعياله اي يكسب لهم بالكد والتعب قوله لان الانسان كدحه اشارة
الى ان ضمير ملاقيه عايد الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فلابد
من حمل الكلام على تقدير المضاف اي فملاق جزاء كدحك كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره اي يرى جزاءه او يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال والكدح فيه
ويؤيد هذا التاويل قوله تعالى بعد هذه الآية فاما من اوتي كتابه بيمينه وقيل ضمير ملاقيه عايد
الى الرب بتقدير المضاف اي ملاق حسابه وحكمه لا مفر لك منه وعلى التقديرين تدل الآية على



عن الانسان يلاقي جزاء كدحه او كتاب كدحه او يلاقي حساب ربه وحكم ربه وهذا المدلول
هو الجزاء المحذوف اكتفى عنه بما يدل عليه قوله او فملاقيه عطف على قوله محذوف واذا كان
فملاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان انك كادح معترضا على اسلوب قول القائل اذا
كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا ههنا والتقدير
اذا كان يوم القيمة بقي الانسان عمله وقيل ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقامت القيمة
قوله والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بكادح بمعنى ساع
وان في الكلام حذف مضاف والمعنى ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال في الدنيا هو في
الحقيقة سعي الى لقاء جزائها في العقبى فملاق ذلك الجزاء لا محالة فعليك ان تباشر في الدنيا
ما ينجيك ويسعدك في العقبى واحذر مما يرديك ويهلكك فيها قوله لا يناقش فيه يعني ان
الحساب اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية
هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا تشديد على صاحبه
ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب
بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نوقش في الحساب فقد هلك فقلت يا رسول الله ان الله يقول فاما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذاك العرض ولكن من نوقش في الحساب
عذب قال تعالى في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه بشماله وقال في هذه السورة

واما من اوتي كتابه وراء ظهره والمصحح بينهما حيث قال اولا يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره
كما روي عن الكلبي انه يغل يمينه الى عنقه ثم يلوي يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله
خلف ظهره قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتي
كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قال الزجاج يقول العرب فلان يدعو لهفه
اذا قال والهفاه وقيل الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهو المواظبة عليه وسمي هلاك
الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى ان عذابها كان غراما واصل الغرام اللزوم والو
لوع **قوله** وقراءة الحجازيان وهما نافع المدني وابن كثير المكي والشامي هو ابن عامر وفي التيسير
القراء قرأ ابو عمرو والبصري وعاصم وحمزة ويصلى سعيرا بفتح الياء واسكان الصاد مخففا
والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام انتهى وقرئ يصلى بضم الياء وسكون
الصاد مجهولا ان يدخله غيره فيدعو الثبور وهو فيها كما قال تعالى دعوا هنالك ثبورا كأنه
يدعو الثبور اذا اعطي كتابه بشماله لقوله فسوف يدعو ثبورا بالفاء المفيدة للتعقيب
واحدهما لا ينفك عن الآخر نعوذ بالله **قوله** فارغا عن الآخرة حيث كان آمنا من الحساب والثواب
والعقاب ولا يخاف الله ولا يرجوه فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة بالطاعات من نحو
الصوم والصلاة ومن تعب اجتناب المعاصي المنكرات وبالجملة كان فارغا من هم الآخرة دون
التحزن بملاحظة اهوالها فابدله الله تعالى بذلك السرور والامن والاستراحة العاجلة
عذابا باقيا لا ينقطع بخلاف المؤمن فانه كان متقيا عن المعاصي مجتهدا في الطاعات غير آمن
من العذاب ولم يكن مسرورا في دنياه في اهله فجعله الله تعالى مسرورا في الآخرة فابدل

بدله بالتنعم الفائق سرورا دائما لا ينقطع قوله تعالى ظن ان لن يحور ان مخففة من الثقيلة
وسدت مسد مفعولي الظن والشأن مضمر اي انه هذا الكافر ظن ان الامر و
الشأن لن يرجع الى الله والحور الرجوع والمجاز المرجع والمصير وقيل الحور الرجوع
الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا
انه ظن انه لن يرجع الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى
ان يبعثن وعلى الوجه الثاني انه ليبدل سروره غما لا ينقطع وبلاء لا يزول ان ربه كان
عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا
زجر لكل المكلفين من جميع المعاصي وكلمة لا في قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان يكون لرد الكلام
السابق وابطاله حكى الله تعالى عن الكافر انه ظن انتفاء الحور فاوجبه بقوله بلى ثم ابطل ظن



انتفائه ثم ابتدأ بالقسم فقال اقسم بالشفق ويجوز ان يكون صلة قد مر مرارا واتفق العلماء
غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها
ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه هو
البياض الحاصل بعد ذهاب الحمرة وكل واحد من البياض والحمرة يجوز ان يسمى بالشفق لان
اسم الشفق ينبئ عن معنى الرقة فان الشفقة رقة القلب ولا شك ان اثر الشمس الباقي ضوء
بالغ في الرقة واثر ضعيف من بقية الشمس الى ان يستولي سواد الليل على الآفاق كلها و
روي عن ابي حنيفة رضي الله انه رجع عن القول بانه هو البياض واما عكرمة ومجاهد فانهما قالا
ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهي كوكب نهاري واثرها هو النهار

فعلى هذا يعني القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور
العالم **قوله** وما جمعه وستره اشارة الى ان ما في قوله وما وسق ليست مصدرية بل هي
اما موصولة او موصوفة اي وشيء وسقه والعايد لا بد منه على التقديرين والى ان وسق
الليل وجمعه للمخلوقات عبارة عن سترها اياها بظلمته واحاطته اياها بالظلمة فان ظلمة الليل
كانها تخلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا
اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير ان يكون ما مصدرية لان لان
المقسم به ح يكون وسق الليل وجمعه لا ما يجمعه الليل وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه الليل
العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم قوله
**قوله** مستوسقات لو يجدن سايقا اوله ان لنا قلايصا حقايقا القلوص الناقة الشابة
والحقايق جمع حقاق جمع حقة وهي ناقة استكملت ثلث سنين ودخلت في الرابعة وصف
الشاعر قلايصه الحقايق بكونها مستوسقات اي مجتمعات وتمنى ان يكون لها سايقا
**قوله** او طرده الى اماكنه عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع
يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق يطردها
من اماكنها الجوهري الوسق مصدر وسقت الشيء جمعته والوسق ايضا الطرد ومنه
سميت الوسيقة وهي من الابل كالرفقة من الانسان فاذا سرقت طردت معا وقال
الطرد الابعاد تقول طردته فذهب والطريدة الوسيقة وهو ما يسرق من الابل **قوله**
اجتمع وتم بدرا بيض على ما مر من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه مثل

مثل وصله فاتصل يقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى بعد
ما ذكر ما به اقسم اتبعه بذكر ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق والمعنى من قرا بضم الباء على
خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرا ليركبن بالياء
جعل الكلام اخبارا عن الغايب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر وهو منزلة الغيبة
ان يركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيمة احوالا وشدايد حالا بعد حال
وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كاين وان الناس يلقون
فيها الشدايد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل واحد الى ما اعد له من جنة او نار و
نظيره **قوله** تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم قوله وهو لما طابق غيره يعني ان الطبق في
الاصل اسم لما طابق غيره يقال ما هذا بطبق هذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق **قوله** او مراتب من الشدة بعد المراتب عطف على قوله
حالا بعد حال اي يجوز ان يكون طبق جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم وهو على طبقات و
المعنى تركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت و
ما بعده من احوال القيمة او هي ما قبلها اي المراتب من الشدة هي هذه المذكورات وما كان في
قبلها من الدواهي العارضة للانسان من ابتدا وجوده الى ان يموت وعلى تقدير ان يكون
الخطاب للرسول صلعم ذكر في معنى الآية وجهين الاول ان يكون الآية اشارة الى ترقي
حاله عليه السلام في الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه تعالى يقول اقسم
يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة حميدة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم

في كرم او ترتقين يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والى ان يكون ذلك
بشارة له عليه السلام بصعوده الى السموات المشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها
والمعنى ترتقين يا محمد السموات طبقا من طبق فانها سبع سموات طباق وقد فعل الله تعالى به ذلك
ليلة الاسراء وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة الى ان من بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان
اذا صار الى الشيء مجاوزا من شيء آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد
من معا وايضا اللفظ من يفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظ بعد فصح استعمالها
بمعنى الآخر **قوله** بيوم القيمة خص يوم القيمة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لا يؤمنون بأكثر ما
يجب الايمان به بل كله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكري البعث والقيمة وتقطيع
حالهم لانه تعالى حكى من الكافر انه ظن ان لا يحور ثم حكم بانه يحور ثم اقسم بتغيرات واقعة
في الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار
ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور
وتغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال
القمر بعد ان كان ناقصا فلما قال بعد ذلك على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون علم ان المراد
استبعاد عدم ايمانهم بالبعث والقيمة فان عدم ايمانهم بذلك عند ظهور الحجة وزوال الشبهات
منكر مستبعد جدا فان القادر على تغير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال ومن صفة
الى صفة بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات ومن
كان كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيمة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بها

بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم الخ وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم
للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغون اقصى درجات الفصاحة والبلاغة الداخلتين
تحت قدرة البشر فعند سماعه لا بد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق
البشر وكونه كلام الله تعالى ويعلموا بذلك صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة
فيطيعوه في جميع الاوامر والنواهي **قوله** او لا يسجدون التلاوة فسر السجود
اولا بالخضوع والاستكانة ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة
على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روي
في سبب النزول **قوله** واحتج به ان بما روي في سبب نزول هذه الآية واحتج بلفظ
الآية وتذكير الضمير بتأويل المنزل او الكلام ونحوه ويدل عليه قوله فانه ذم من حيث
انه ضمير فانه لا شك انه لهذه الآية بالتأويل المذكور ووجه الاحتجاج ان الذم
على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك الشيء **قوله** تعالى الذين كفروا اظهر وضع موضع
الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن و
تكذيبهم والمعنى لا يسجدون بل هم يكذبون والظاهر ان ما يوعون موصولة محذوفة
العائد بقال اوعيت الشيء اذا جعلته في وعاء قال تعالى وجمع فاوعى والله اعلم
بما يجمعون في صدورهم من الشرك والتكذيب والعداوة كناية عن مجازاتهم عليه
في الدنيا والآخرة وقوله فبشرهم استهزاء بهم لان البشارة هي الاخبار بالخبر
السار وقد استعملت في الخبر المولم **قوله** استثناء منقطع بمعنى لكن الذين آمنوا

الآية وهو مستثنى من الضمير المنصوب في فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون
خارج عنهم ويجوز ان يكون متصلا لان المؤمنين منهم كانوا من جملة احادهم وداخلين
في عدادهم حيث وافقوهم في عدم الخضوع للقرآن وفي عدم السجدة لتلاوته وفي التكذيب به
ثم خالفوهم وهذا القدر من الموافقة كاف في الاتصال **سورة البروج** وهي القصور
التي تنزل فيها الاكابر والاشراف اطلق على بروج السماء الاثني عشر استعارة
تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات ومقر الثوابت والبروج في
اصطلاح المنجمين اسم لجزء معين من اثني عشر جزءا من خط منطقة البروج من الفلك يسمى
منطقة البروج وكل برج يعرف باسم كوكب ينسب البرج اليه وقيل المراد بالبروج ههنا
النجوم التي هي منازل القمر وهي ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا
يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستتر ليلة او
ليلتين ان كان الشهر ثلثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق
البروج على هذه النجوم ايضا مبني على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها و
لظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البرج يبنى من الظهور والبروج الاثني عشر منقسمة
الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر
في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم بها اظهارا لقدرها
والقول الثالث ان المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها والقول الرابع
ان المراد بها ابواب السماء سميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء



ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصر قوله واصل التركيب للظهور ان مع الاشتمال
على المحاسن فان القصور لرفعها وحسنها ظاهرة للناظرين ومظهرة للمحاسن فلذلك سميت
بروجا ثم قيل تبرجت المرأة ان تشبهت بالبرج في اظهار المحاسن وهو بمعنى قوله تعالى الجاهلية
اظهار المرأة بزينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة روى ابو هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان اليوم الموعود يوم القيامة وقيل يحتمل ان يكون المراد اليوم
الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها **قوله** من يشهد في ذلك اليوم من
الخلائق الاولين والآخرين من الانس والجن والملائكة والانبياء عليهم السلام ومن يحضر فان الشا
هد يطلق على معنيين احدهما الشاهد الذي يثبت به الدعاوى والحقوق والثاني الشاهد
الذي هو بمعنى الحاضر كما في قوله عالم الغيب والشهادة ويقال فلان شاهد وفلان غائب
وحمل الآية على المعنى الثاني اولى اذ لو كان المراد المعنى الاول لما خلا لفظ المشهود
عن حرف الصلة ظاهرا لكون ان يقال مشهود عليه او مشهود به وحيث لم تأت
الصلة ظاهرا في الآية لوجب ان يقال انها محذوفة ومقدرة كما في قوله تعالى ان العهد كان
مسئولا اي مسئولا عنه والتقدير خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة ولا ضرورة
في الآية لجواز ان يكون المشهود من شهد بمعنى حضر وهو يتعدى بنفسه يقال حضره
امر كذا قال تعالى واعوذ بك رب ان يحضرون فلذلك قدم المص تفسير الشاهد والمشهود
بان جعلهما من الشهود بمعنى الحضور وفسر الشاهد بالجمع الذين يحضرون في اليوم
الموعود والمشهود بما احضر في ذلك اليوم من العجائب فانه تعالى لما اقسم اليوم الموعود

وهو يوم القيامة تنبيها على قدرها وشرفها من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما تفرد الله تعالى
بالملك والحكم فيه عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود
الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب ولا يخفى ما في هذا التفسير من مناسبة المعطوف للمعطوف
عليه ولانه لا حضور اعظم من ذلك الحضور الواقع في ذلك اليوم وصرف اللفظ الى المسمى
الاكمل اولى ثم شرع في ما ينبني على جعلهما من الشهادة التي تثبت بها الامور فقال او النبي
وامته دليله قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك
ان تبشيره وانذاره ودعوته انما هو بالنسبة الى امته فكذا الشهادة تكون بالنسبة اليهم وقوله
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفيه
ايضا دلالة على ان الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم قوله او كل نبي وامته لقوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد ~~ان الشاهد مطلقا على المطلق~~ فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته
قوله او الخالق والخلق لقوله وكفى بالله شهيدا ان شاهدا مطلقا على احوال خلقه قوله او
عكسه وهو ان يكون المراد بالشاهد جميع الممكنات الحادثة وبالمشهود خالقها وصانعها فان
كل جزء من اجزاء العالم شاهد لمن تدبره على ان له خالقا خلقه فيكون القسم واقعا بالخالق
والخلق والصانع وصنعه قال الشاعر فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد وفي
كل شيء له آية تدل على انه واحد ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد قوله او الملك الحفيظ
والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون كل نفس مشهودا
او مشهودا عليه لشهيد حفظ اعماله عليه قوله او يوم النحر او عرفة والحجيج وهو على حاله

حاج كما يقال للغزاة غزى وللعباد بن على اقدامهم عدة ان يجوز ان يفسر المشهود بيوم عرفة
والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج روي ان الله تعالى يقول
للملائكة يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني من كل فج عميق اشهدكم اني قد
غفرت لهم وان ابليس يصرخ ويضع التراب على راسه لما يرى من ذلك ودليل من
فسر المشهود بيوم عرفة قوله تعالى وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم ويجوز ايضا ان يفسر المشهود بيوم النحر والشاهدين من يحضره من
الحاج لان ذلك اليوم اعظم المشاهد في الدنيا فانه يجتمع اهل الشرق والغرب في ذلك اليوم
بمنى ومزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون المقصود من القسم به تعظيم امر الحج
ايضا قوله او يوم الجمعة والمجمع اي يجوز ان يفسر المشهود بيوم الجمعة والشاهد من
يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله والمجمع اسم فاعل من جمع اليوم تجميعا ان شهد
الجمعة وقضى الصلاة فيها قوله فانه يشهد له بيان لوجه تفسير كل واحد من يوم النحر
وعرفة والجمعة بالمشهود فان كل واحد من هذه الايام تحضره المسلمين لما فيه من
العبادة ومما يدل على تفسير المشهود بيوم الجمعة ما روي انه عم قال اكثروا على
الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وقال عم تحضر الملائكة
ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج الامام طويت الصحف وهذه
الخاصية غير موجودة الا في هذا اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى قوله او كل يوم
واهله الاول شاهد والثاني مشهود او مشهود عليه كقوله ان العهد كان مسؤولا

ان منسولا عنه عن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد وانا على ما يعمل في شهيد
فاغتنمني فلو غابت شمس لم تدركني الى يوم القيمة قوله قيل انه جواب القسم على تقدير
لقد قتل فانه قد تقرر ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا متصرفا تصدر
الجملة بلام الابتداء المفيدة للتاكيد داخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار
على احدهما الا عند طول الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحيها الى قوله افلح فانه لم يورد
باللام للطول او في ضرورة الشعر كقول الشاعر حلفت لها بالله حلفة فاجر لنا موا فان
من حديث ولا صال ويجب في مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضي
المجرد ومن قال بان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل
فحذف اللام كما في قوله تعالى قد افلح من زكاها ثم حذف قد وقيل في توجيه حذف الجواب ههنا
ان الكلام محمول على التقديم والتاخير كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات
البروج قوله والاظهر انه دليل جواب محذوف جعل كون جملة قتل اصحاب الاخدود
جواب القسم خلاف الظاهر بناء على ما اشار اليه من ان سورة وردت لبيان
شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله وعظم سخط
وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود فرعون وثمود المقصود
منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عن ايذاء الكفار ببيان ان حال
المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وبالاشارة الى ما حل
من نقمة وقهره بالامم السالفة من المعاندين مثل فرعون وثمود فانها تتضمن وعد

المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه
القسم على اصحاب الاخدود لا وجه له ولا سيما انه يؤدي الى التقدير والاضمار من
غير ضرورة فكذلك قال المص والاظهر انه دليل جواب محذوف وهو ان كفار قريش
ملعون وتقدير الكلام اقسم ان كفار قريش لملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلوا
كما قيل قتل اصحاب الاخدود وايراد اللعن بدل القتل اشارة الى ان القتل كناية
عنه من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا من سخط عظيم يوجب الابعاد
من الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكانه القتل من لوازم اللعن ثم الاخبار بان اصحاب
الاخدود ملعون لقوة عنادهم ومبالغتهم في ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار قريش
ملعونون ايضا للاشتراك في العلة وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح ولو دخل
في افادة التسلية فظهر بما قررنا ان قوله قتل ليس دعاء على اصحاب الاخدود من قبل
المقسم قوله فاقتلها اي بان يخلق في قوة ادمي بها هذا الحجر اليها واضربها به فرماها فقتلها
فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن واشتغاله بطريقة الراهب حتى صار
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الامراض الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال
كفأت الاناء اي كببته وتقاعست اي تاخرت فكانها ارتدت قوله وعن علي رضي
الله عنه كرم الله وجهه انه قال حين اختلفوا في احكام المجوس انهم اهل كتاب
وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر
فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له اخته المخرج ان تخطب الناس

فنقول ان الله تعالى احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فنقول ان الله تعالى حرم نكاحهن فخطب
فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له ابسط السوط فيهم ان اضرب من الهمنهم فلم يقبلوا فقالت له
ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد
الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود ونجران بلد من بلدان اليمن وقع اليه رجل ممن كان على دين
عيسى عليه السلام فدعاهم الى الله فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وهو
قبيلة من اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا فان
قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل ان هذا كان في ثلاث طوايف
ثلاث مرات مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام هكذا قال الامام ثم قال ويمكن ان يكون
المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يراد بهم المقتولون والرواية المشهورة
ان المقتولين هم المؤمنون وروى ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين في النار
عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع
بن انس والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب
جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا ثم قال اذا عرفت هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير
تعالى قتل اصحاب الاخدود وجوها ثلاثة وذلك لان اصحاب الاخدود اما ان يفسر بالقاتلين
او بالمقتولين اما على الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا دعاء عليهم اي لعن
اصحاب الاخدود ونظيره قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون والثاني ان يكون المراد ان

اولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا ان الجبابرة لما ارادوا قتل المؤمنين
بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم واما اذا فسر اصحاب الاخدود بالمقتولين
كان المعنى ان اولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء
انتهى كلامه قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها فان النار انما تكون
عظيمة اذا كثر فيها ما يحترق ويرتفع به لهبها من اي جنس كان اما حطب او غيره
فالوقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة فالمعنى في ذات الوقود
تعظيم امرها مما كان في ذلك الاخدود من الحطب الكثير ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر
فايدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو من حطب ولما كان الاخدود مشتملا
على النار جعل النار بدل اشتمال منه كما في سلب زيد ثوبه ولا فرق بين ان يكون
الاشتمال من جانب البدل او من جانب المبدل منه واذ في قوله اذ هم عليها قعود ظرف
لقتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المؤمنين
وقعود جمع قاعد قوله على حافة النار جواب عما يقال ان ضميرهم على مقتضى تفسيرك
عايد الى اصحاب الاخدود الذين هم القاتلون فما معنى قعود القاتلين على النار مع ان القاعد
عليها يحترق ويفنى وتقرير الجواب ان ضمير عليها عايد الى ظرف النار وشفيرها والمواضع التي
يمكن الجلوس عليها ولفظ على مشعر بذلك بقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب
منه فالقاعدون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك
دينه تركوه ومن كان يصبر على دينه القوه في النار قوله وما انكروا يقال نقم الامر

اذا جابه وكرهه ان وما جابوا منهم وما انكروا الا الايمان ونظيره وهل تنقمون منا الا ان آمنا بالله
وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم في الماضي لارادة الاستمرار
والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الاتي ولو كذا في المستقبل
لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم **قوله** للاشعار علة لقوله ووصفه
بما عطف عليه فان كونه تعالى غالبا لا يغلب ولا يدفع اشارة الى القدرة التامة وكونه مستحقا
للحمد والثناء ومجدا على السنة عبادة المؤمنين وما لا يحمده بلسان مقاله يحمده بلسان حاله فان
نفس شاهده على ان المحمود في الحقيقة ليس الا هو كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده فانه
اشارة الى كمال علمه لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة والوصف
الثالث اشارة الى الملك التام وانه موجد لجميع الكائنات ثم ان شاء ابقاها موجودة وان
شاء افناها واخر هذه الصفة عن الاولين لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال
والقدرة والعلم فثبت ان من كان موصوفا بهذه الصفات هو المستحق للايمان به وغيره
لا يستحق بذلك التنبيه فكيف حكم هؤلاء الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا **قوله** يكون
بالاذن اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وان الاية عامة كما يتناول اصحاب
الاخدود يتناول كل من امتحن المؤمنين فانهم امتحنوا المؤمنين بان عرضوهم على النار واحرقوهم
بها ليتبين عندهم درجة صدقهم وثباتهم على دينهم واذاهم بانواع عذاب كان فان اللفظ
عام وكذا الحكم فالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هي
الاحراق بالنار قال ابن عباس ومقاتل فتنوا المؤمنين حرقوهم بالنار وكذا قال الزجاج فتنجاج

الزجاج فتنت الشيء احرقته والفتين احجار سود كانها محرقة ومنه قوله تعالى يوم هم على النار
يفتنون **قوله** العذاب الزائد في الاحراق يعني ان كلا العذابين يحصلان في الاحراق الا
ان الاول عذاب جهنم هو عذاب الاحراق الحاصل بسبب كفرهم وعذاب الحريق هو
العذاب الزائد على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا المؤمنين والعذاب الزائد على عذاب
جهنم هو اعظم الاحراق ايضا الا ان العذاب الاول كانه خرج من ان يسمى احراقا بالنسبة
الى الثاني لان الثاني بانضمامه الى الاول واجتماعه معه قوي واشتد وكان الاول ضعيفا بالنسبة
اليه فلا جرم لم يسم احراقا والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحراق وفي الصحاح تحرق
الشيء بالنار واحرق والاسم الحرقة والحريق ويحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم العذاب ببردها او
زمهريرها وبعذاب الحريق العذاب بحرها فيترددون بين برد وحر وقيل الحريق من اسماء
النار ايضا كالسعير فجعل لهم في الاخرة عذاب جهنم وعذاب الحريق فيجوز ان يكونا دركتين
فيها وملا تين فيها وهذا القول نقله صاحب التيسير وهو راجع الى اختيار المصنف قال
الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله
تعالى بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنات واخبار الله تعالى
عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا حصول الجنة ولما ذكر الله تعالى
وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اردف ذلك الوعد والوعيد بالتاكيد فقال تعالى تاكيدا للوعيد
ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف
عنفه ومع ذلك انه فلما يعاجل في بطشه بل شانه ان يمهل العاصي ويؤخر المجازاة

الى يوم القيامة لانه حكيم لا يفعل الا على حسب المشيئة ووفق المصلحة ولا مصلحة في تعجيل العقاب فلهذا قال انه هو يبدئ ويعيد اي انه يخلق الخلائق ثم يفنيهم ثم يعيدهم احياء يجازيهم يوم القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال **قوله** وهو الغفور لمن تاب قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الاية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة وهي يناسب حمله على الاطلاق فان العاقب يبنى عن اتصافه باصول اصل المغفرة وهي الستر والغفار يفيد المبالغة في اتصافه بالمغفرة بان يغفر مرة بعد اخرى والغفور يفيد المبالغة فيه بان يغفر مغفرة جيدة تامة شاملة للمذنبين مع كثرتهم قال الامام الغزالي الغفار ينبئ عن كثرة الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كاملة حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولا يخفى ان الغافر دونه مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليه اولى لا سيما في مقام التمدح الا ان يقال مراد المص بقوله لمن تاب من تاب عن الكفر **قوله** المحب لمن اطاع على ان الودود فعول بمعنى فاعل وقيل يجوز ان يكون بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله وعلى التقديرين فهو صفة مدح لانه تعالى اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه واحسانه لان وده تعالى للودود عباده عبارة عن ارادته الكرامة والنعمة له واحسانه وانعامه عليه اذ هو منزه عن ميل

المودة ورقتها وكذا اذا احبه عباده العارفون فانما يحبونه لجلال ذاته ولمزيد انعامه واحسانه اليهم **قوله** المراد بالعرش الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير الملك والسلطنة وان لم يكن على السرير وكما يقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه بكنون بالعرش والسرير عن الملك فوله المجيد علوه وعظمته ان علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة **قوله** لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره اشارة الى ان هذه الاية احتج بها الاشاعرة في مسئلة خلق الافعال بان يقال لا شك انه تعالى يريد الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان بمقتضى هذه الاية واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قائل بالفرق لما لعن الله تعالى كفار قريش على كفرهم وايذائهم



بالمؤمنين مثل عمار وبلال وغيرهما وشبه حالهم بحال اصحاب الاخدود في اللعن لما ادى اليه من تكذيب الحق وايذاء اهله تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وايعادا للكفار ثم اكد ذلك وزاد في التسلية والايعاد بقوله هل اتيك حديث الجنود وثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم مشهورة عندهم فذكر الله تعالى من المتاخرين فرعون وقومه ومن المتقدمين ثمود لبيان ان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى قد يعاجل في اهلاك الطاغين بالتكذيب والايذاء ولا يؤخر عذابهم الى يوم الاخاد فلهذا قيل قتل واحرق ما نابكل منهم فان جندنا لهم المنصورون وحذرهم عن مثل ما نزل بمن قبلهم لما دكتهم بالاولين في سبب ما نزل بهم بل الذين كفروا من قومك اشد تكذيبا منهم على ان تنوين تكذيب للتعظيم والتهويل **قوله** لا يرعوون عن التكذيب ان لا يمتنعون عنه يقال رعى يرعوا ان كف

ومنع وارعوى من التكذيب ان امتنع ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر بان بين اقتداره على الذين كذبوا وانهم
في قبضته وحوزته كالمحاط اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا قوله بل هذا
الذي كذبوا به كتاب مجيد اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وذلك انه تعالى لما عجب من حالهم ببيان انهم
كذبوا التكذيب اشد من تكذيب من قبلهم من المكذبين بعد ما رأوا او سمعوا ما نزل بهم من البلاء
لاجل تكذيبهم ترقى في التعجيب من حالهم ببيان شرف ما كذبوا به وان الاولين لم يكذبوا مثله فتكذيبهم
اياه بعد ما رأوا آثار هلاك الاولين عجيب غاية العجب قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة
للقرآن فالتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح وهو الشيء الذي يكتب فيه واللوح في
الهواء بين السماء والارض ومن قرأه بالجر يفسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه
اللوح وفيه كتاب كل شيء قال مقاتل هو عن يمين العرش وقال ابن عباس ان الله تعالى خلق
لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب وقال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده
ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة

## سورة الطارق

اعلم انه تعالى اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها و
مطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه
بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشأنه والكلام
تقدر ثم بينه بانه النجم المضيء الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر فان ذكر الشيء بكلام تفصيلا
وتعيينه ينبئ عن فخامة شانه واختلفوا في ان تعريف النجم للاستغراق او للعهد الخارجي فقال

فقال بعضهم انه للاستغراق كما في قوله ان الانسان لفي خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابن
زيد انه الثريا وقال الفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال آخرون انها اسم
الشهب التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب يقال ثقبه يثقبه ثقبا اذا جعل
فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اذا اتقدت واشتعلت ويقال لما
يوقد به النار ثقوب فادرك ان الشعلة حين تثقب وثقب النجم اذا اضاء وشهاب ثاقب اي مضيء
فاطلاق المضيء للثاقب الذي يفتح المنفذ واطلاقه على المضيء لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث
انه يثقب بضوئه الظلام او الافلاك واطلاقه على ما يوقد النار لكونه سببا لحدوث
الضوء الثاقب قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم والباقون بتخفيفها
والمعنى ممن قرأ بالتخفيف ومن خففها كانت ان عنده مخففة من الثقيلة واسمها ضمير
وهو الشأن واللام واللام في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما في
في قوله فبما رحمة من الله وعما قليل وان المخففة مع ما في حيزها جواب القسم اي اقسم
ان الشأن كل نفس لعليها حافظ ومن ثقلها كانت ان عنده نافية كما في قوله ما ان مكناكم
وكانت لما في معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اي اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ
عملها ورزقها واجلها واذا استوفيت كل ذلك قبضها الى ربه فالآية تتضمن وعيد
الكفار وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم
عدا فعلى هذا الحافظ هو الملك كما قال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين قال الزجاج
استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما بعد ان النافية والآخر في باب

القسم بقوله سبحانه لكن لما فعلت بمعنى الا فعلت وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة
انهم قالوا لم يوجد لما بمعنى الا في كلام العرب وقيل ان لما بمعنى الا مع ان النافية موجودة في لغة
هذيل وعدي الحفظ بعلى في قوله تعالى لما عليها حافظ لتضمنه معنى الهيمنة والشار اليه الزمخشري
بقوله حافظ مهيمن عليها قال حجة الاسلام الغزالي معنى المهيمن في حق الله تعالى انه القائم على
خلقه باعمالهم وارزاقهم واجالهم وانما قيامه عليهم بالاطلاع والاستيلاء والحفظ وكل
مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم
والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى الفعل والجامع بين هذه المعاني اسمه
المهيمن انتهى كلامه قال تعالى في حق القران ومهيمنا عليه لانه المشرف الحافظ الشاهد
المستولي على الكتب السالفة فيعرف به المحرف من الحق والمنسوخ من غيره وهو من امن
غيره من الخوف واصله ا امن فهو مأمن بهمزتين قلبت الثانية ياء كراهة لاجتماع
الهمزتين فصار مايمن ثم جعلت الاولى هاء كما قالوا هراق الماء في اراقه قوله تعالى ذكر ان
كل نفس لما عليها حافظ الى اشارة الى وجه ترتب هذه الاية على ما قبلها وذلك لان اجمال
ما قبلها متضمن لمعنى قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى بل له حافظ مطلع على احواله
وارزاقه واجاله واذا استوفى جميع ما قدر له من ذلك يقبضه اليه ويجعله في البرزخ مدة
ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه بالثواب والعقاب على حسب اعماله لكمال قدرته
قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال يبنى من ذلك و
لما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سببا لتوجيه الانسان

الانسان بالنظر في مبدأ خلقه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وساير صفات كماله ويستدل به
على صحة البعث والجزاء ويجتهد في ان لا يكتب عليه حافظ اعماله سوء ما يفتضح به يوم
العرض والجزاء انطلق بهذا التقدير ان ما ذهب اليه شرف الدين الطيبي من ان الفاء في قوله
فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير ليس متوجه
لاحتياجه في ارتباط الكلام واستقامته الى الحذف والتقدير بكفاية المذكور قبله في كونه
سببا للتوجيه بالنظر بلا ارتكاب الحذف مثل ان يقدر بعد قوله عليها حافظ ما
يدل هو عليه من قولنا وان النفوس لم يخلقوا عبثا وانما خلقوا لاجل امر خطير وهو
ان يعرفوا خالقهم ويعبدوه ويطيعوه في جميع تكاليفه وانه تعالى يبعثهم بعد موتهم و
يثيب من اطاعه ويعاقب من عصاه ومن انكر ذلك فلينظر الى اخر الكلام قوله تعالى
ذي دفق اشارة الى ان توصيف الماء بانه دافق مجاز في نسبة مبدأ الاشتقاق الى
ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه كلابن وتامر ولابن وفارس اي ذو
تمر ولبن وفرس بمعنى تمري ولبني قوله والمراد الممتزج من الماءين في الرحم اشارة
الى وجه قوله تعالى من ماء بلفظ الوحدة مع ان الولد مخلوق من ماءين ماء الرجل الذي
يخرج من صلبه وماء المراة الذي يخرج من ترائبها التي هي عظام صدرها حيث
يكون القلادة وكل منهما من ذلك تربيته لان الولد انما يكون بعد اجتماع الماءين
في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا فلما كان مبدأ تكونه هو الماء الواحد
الممتزج في الرحم الخارج من بين شيئين قال من ماء واحد ولم يقل من ماءين يخرج

احدهما من الصلب والآخر من الترائب وكل واحد من المائين وان كان خارجا من محل على حدة
الا انه يصدق على المجموع الممتزج انه خارج من بين ذينك المحلين قوله ولو صح ان النطفة
تتولد الخ جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه الآية بان قالوا ان كان المراد من قوله
يخرج من بين الصلب والترائب ان المني انما ينفصل من تلك المواضع فليس الامر كذلك
انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو
طبيعته وخاصيته فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط في الجماع
يستولي الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المني يتولد هناك
فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما تتربى وتتولد في الدماغ والدليل عليه انه يشبه الدماغ
في صورته ولان المكثر في الجماع يظهر الضعف اولا في عينيه وان كان المراد ان
مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المني وهي عروق يلتف بعضها
ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المني هو الصلب والترائب فليس
كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لا شك ان
اعظم الاعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو
في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا السبب خص الله
تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم في كيفية يتولد المني وكيفية تولد الاعضاء من
المني كلام محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه و
الحاصل ان الملاحدة خفي عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء

على زعمهم ان المني ينفصل من جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته
فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء فاشار المص اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم
وظن ضعيف والله تعالى اصدق القائلين وكلامه المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا ما زعموه فوجه تخصيص الصلب والترائب
بالذكر كونهما اقرب الى اوعية المني التي هي مستقره بالنسبة الى ساير الاعضاء التي
بينها وبين الدماغ تعلق واتصال فان الصلب محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ و
متشعب منه والترائب منتهى الشعب النازلة من الدماغ اليها ومتعلقة به بواسطة
الاعصاب الممدودة بينهما ولا يخفى ان جعل الترائب مخرجا للمني بمجرد تشعب الاعصاب
من الدماغ اليها من غير ان يكون لها مدخل في توليد المني ومن غير انفصاله منها فقط
ومن غير كونها مخرجا له لا يخلو عن بعد بل الوجه في تخصيصها ان يقال على تقدير تسليم
ما زعموا ان النخاع والقوى القلبية والكبدية والدماغية كلها متعاونة في ابراز
ذلك الفضل وتوليده على ما زعموا فنبه الله تعالى الى مدخلية الدماغ والنخاع في تكوين
ذلك الماء بذكر الصلب لانه محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ ومتشعب منه والى
مدخلية القلب والكبد بذكر الترائب لان التريبة موضع القلب والكبد ومشتملة عليهما
ولا حاجة الى تخصيص التريبة بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من
الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه واحتج على ما ذهب اليه بان الله تعالى بين
ان الانسان مخلوق من ماء دافق اي ذي اندفاق وانصباب والموصوف بذلك

هو ماء الرجل ثم وصف ذلك الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على
ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المراة لا ينافي لان يكون لمائها مدخل في
تكون الولد واجاب القائلون بان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل
وترائب المراة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل
توصيف المجموع توصيف بعض اجزائه قوله والضمير للخالق يعني ضمير انه للخالق المدلول
عليه بقوله خلق نجم اه لا بالاتر الفاعل في قوله ثم خلق اذ لا يذهب الوهم الى الخالق
سواء وقع ثانيا بالاضمار قبل الذكر لذلك ايضا ولا خفاء في ان ضمير رجعه للانسان
وعلى من صلة لقادر فان قيل ما وجه الاختصاص المستفاد من تقديم قوله على رجعه
على عامله وهو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شيء قلنا ان التقديم قد لا يكون
للتخصيص بل لمجرد الاهتمام او التبرك والاستلذاذ او موافقة كلام السامع او
ضرورة الشعر او رعاية السجع والفاصلة او ما اشبه ذلك والتقديم ههنا للاهتمام
به من حيث ان الكلام فيه لخصوصه والامر بالنظر في مبدا خلقه ليكون وسيلة وتوطئة
الى العلم بصحة الرجع كانه قيل فلينظر مم خلق ليعلم ان خالقه من مثل ذلك الشيء الحقير
لقادر على اعادته ورده حيا بعد موته فلا يشتغل الا بما يسره في القيمة ان يراه ثم
انه تعالى لما اقام الدليل على صحة القول بالبعث والقيمة وصف حاله في ذلك اليوم فقال
يوم تبلى السرائر الاية والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهي الذي يكتم ويخفى
والمراد بها في الاية ما استتر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال

الاعمال والابلاء هو الابتلاء والاختبار الجوهري بلوته بلوا جربته واختبرته وبلاه
الله بلاء وابلاه ابلاء وابتلاه اي اختبره واطلاق الابلاء على الكشف والتميز من
قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعرف والتميز
وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهي يكون الكشف ما علم منهم في الازل قوله يوم
ظرف لرجعه قيل عليه لا يجوز ان ينتصب به للفصل بين الصلة والموصول بخبر ان
وهو لقادر ولا ينتصب ايضا بقادر لانه تعالى قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته
بوقت دون وقت الا ان يقال مع كونه منتصبا لرجعه انه منتصب بمضمر دل عليه
رجعه وان يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا
لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفواصل على ان الظرف يتسع فيه
ما لم يتسع في غيره قوله في نفسه مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوته فانه
يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق
للعطف فائدة لان القوة المستفادة من غيره قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا
رجع الله تعالى الانسان في ذلك اليوم فما له من قوة في نفسه يدفع بها عن نفسه
ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه ولا شك انه زجر وتحذير ومن في قوله
من قوة لافادة عموم النفي لجميع افراد القوة والانصار قليلها وكثيرها كانه قيل ما له شيء
من القوة ولا احد من الانصار قوله سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه كل حين
نوعه بانزال مثل الاول سمي المطر بالمصدر رجع داب بمعنى ذو رجوع واوب اولانه

لكثرة رجوعه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الماء النازل من السماء الى الارض
هو الذي صعد منها بان حمله السحاب من البحار وصعد منها ثم رجع اليها فسمي رجعا لذلك فانه
تعالى يبدي المطر ثم يرجعه وقتا فوقتا قال الشاعر ربا شماء لا يأوي لقلتها الا السحاب والا
الاوب والسبل يقال ربا اي الجبل اي علوتها وشماء اي مرتفعة صفة محذوف اي طلائع
جبال شماء اي شامخة مرتفعة والاوب والسبل المطر يصف رجلا بصعود العقاب
الشاهقة ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فان رجعك
الله ومن قال يقول ارجعه غيره **قوله** من النبات بيان في ما تنصدع عنه الارض فعلى
هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمي به لانه صادع للارض يتصدع به قوله او
الشق بالنبات بدل من الصدع للبيان والتفسير والصدع في اللغة الشق ومنه قوله تعالى
يومئذ يصدعون اي يتفرقون فذات الصدع اي ذات الانشقاق بالنبات والعيون
واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر كيفية خلق الحيوان وجعله دليلا على معرفة المبدا والمعاد
ذكر في الاية كيفية خلق النبات فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام
وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا وعلى
ما ينبت من الارض كذلك وانه تعالى بعد ان فرغ من بيان دليل التوحيد والمعاد اقسم
قسما اخر بقوله والسماء ذات الرجع على قوله انه لقول فصل ينفصل به الحق من الباطل
والهزل اللعب والبيان الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام بشانه بل يذكر اتفاقا فا
من غير ان يقصد بذكره فائدة مطلوبة وهو ذكره بالهزل واللعب وقد يذكر على سبيل

الجد والاهتمام بشانه والقران كله من هذا القبيل فانه كله نزل بالجد لا بالهزل واللعب قوله
واقابلهم بكيدي اشارة الى ان تسمية ما كان من الله تعالى في حق اهل مكة من الاستدرا
ج والانعام عليهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة
كيدهم اجزاء له لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى بمعناه
الحقيقي وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القران مثل
نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى
منهم قولهم انما نحن مستهزءون **قوله** امهلهم رويدا اشارة الى ان رويدا ههنا صفة
مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان اسم فعل يكون المعنى امهلهم ارودهم ان
امهلهم فيكون الامر بالامهال مكررا ثلث مرات فان مهل وارود بمعنى واحد فاذا
التاكيد قد حصل بالثاني فيبقى الثالث بلا فايدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف
فانه يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل فكرر الامر
بالامهال لزيادة التسكين والتصبير لان التكرير للتاكيد وخولف بين لفظي الامرين
بان احدهما من باب التفعيل والثاني من باب الافعال لزيادة التسكين ايضا وذلك
لان المعنى الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كانه معنيان مختلفان
يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة ثم انه تعالى بعد ما سكن رسوله صلى الله
عليه وسلم وصبره بان امره بامهالهم امرا مؤكدا بين ان ذلك الامهال
قليل بان وصفه بقوله رويدا فان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلثة اوجه

احدها ان يكون اسما للفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويد زيدا اي ارود زيدا اي امهله
دعه ورده وارفق به ولا ينصرف في رويد على هذا الوجه لانه ح يكون من الاسماء الغير
المتمكنة والثاني ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما يضاف المصادر
تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا
منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا وتقولون ايضا ساروا رويدا فيحذفون المنعوت
ويقيمون رويدا مقامه كما يفعلون سائر النعوت المتمكنة فعلى هذا يجوز في رويدا وجهان
احدهما ان يكون حالا بمعنى غير مستعجل والثاني ان يكون نعتا كما ذكر وان اظهرت المنعوت
لم يجز ان يكون حالا والذي في الآية مستعمل على الوجه الثالث بعدم ذكر المنعوت قبله
فيجوز ان يكون نعتا كما اختاره المص وان يكون حالا بمعنى غير مستعجل ثم منهم من قال ان
المعنى امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما حقر ما بين الوقتين بناء على ان كل ما هو آت قريب
ومنهم من قال المعنى امهلهم رويدا الى يوم بدر قتل والاول اولى لان الذي جرى يوم بدر
وفي سائر الغزوات لا يعم الكل واذا حمل على امر الآخرة عم الكل واما كان فهو زجر و
تحذير للقوم عما كانوا عليه وترغيب فيما هو خلاف طريقهم من الطاعات سورة
الاعلى قوله نزه اسمه عن الالحاد فيه اي عن الميل عن الحق والصواب في تفسيره بان
يفسر بشيء من السمات مما لا يصح ثبوته في حقه تعالى نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان
والاستواء بالاستقرار فيجب ان ينزه كل واحد من الاسمين المذكورين عن هذا التاويل
بان يؤول الاستواء بالاستيلاء والعلو بالفوقية والارتفاع في الرتب المعنوية

كالعلم والقدرة والارادة والكرم والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال فان الموجودات
اذا قسمت الى درجات متفاوتة بحسب هذه الصفات الكمالية يكون الحق تعالى في الـ رتبة
العليا من درجات اقسامها بحيث لا يتصور ان يبلغ موجود ما الى درجته فضلا عن
ان يكون فوق درجته فهو العلي المطلق وكل ما سواه علي بالاضافة الى ما دونه ودني
سافل بالاضافة الى فوقه وكما يجب تنزيه ذاته تعالى عما لا يصح ان يثبت له من الاو
صاف يجب تنزيه اسمائه الدالة على الكمال عما لا يصح فيها ذلك كالتاويلات الزائغة
ومن تنزيه اسمائه العادلة عن ان تسمى بها غيره تعالى على الوجه الذي تسمى بها الحق
تعالى فان العبد وان صح ان يطلق عليه انه رحيم حليم كريم محسن ونحو ذلك لكن ذلك
الاطلاق لوجه آخر غير الوجه الذي اطلق به عليه تعالى ومن تنزيهها ايضا ان يصان
من ذكرها لا على وجه الخشوع والتعظيم ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسماء عند الغفلة
وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها والمراد باسماء الله تعالى المعاني الدالة على الذات
حال سواء كانت كالقادر والعليم لا الالفاظ فقط ولا المحمول حمل الاشتقاق على نحو القدرة
والعلم فانها من الصفات وان كان قد يجوز باستعمال احدهما مكان الآخر واعلم ان للاشياء
وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في اللسان اما وجودها في
الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو وجودها العلمي الصوري
والوجود في اللسان هو وجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية
وتلك الصورة هي المنطبقة في النفس من الوجود العيني الخارجي فلو لم يكن وجود

في الاعيان لم تنطبع الصورة في الاذهان ولو لم تنطبع الصورة في الاذهان لم يعبر عنها اللسان
فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد
له الذوق السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود
الذهني وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي
كما انه غير الصورة الذهنية التي يعبر عنها بالعلم ومن العلماء من ذهب الى ان الاسم عين
المسمى وان تعدد الاسماء راجع الى تعدد الصفات الذاتية والفعلية القائمة بذات المسمى
وانما ذهبوا اليه زعما منهم بان اسماءه تعالى لو كانت عبارة من الالفاظ الدالة على ما في
النفس لزم ان لا يكون له تعالى اسماء في الازل اذ لم يكن في الازل لفظ ولا لافظ لان كل
واحد منهما حادث واجيب عنه بان المراد بالاسماء في قوله تعالى الاسماء الحسنى معاني
الاسماء المحمولة على الذات حمل المواطاة كما ذكرنا فان معانيه تعالى كالقدوس والعالم والقادر
ثابتة له في الازل وان لم يكن اسماء متحققة فيه فانه تعالى قدوس وعالم في الازل بمعنى
انه كان متصفا بصفة القدس والعلم فيه ولا محذور في حدوث الاسماء الملفوظة المتعلقة
بكونها عربية مشتقة قليلة الحروف او كثيرها لان مقتضى الدليل القاطع ان ذاته تعالى وصفاته
الذاتية والفعلية قديمات مصونات عن الزوال باعتبار وجوداتها العينية واما وجودها
في اللسان وفي اذهان الانسان فحادث لحدوثهما قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى روي
عن علي وابن عمر رضي الله عنهم انهم قرءوا سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل الوجه
فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد ان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان

ربي الاعلى ولعل مقصود المصنف من ايراد الحديث بيان انه عليه السلام بين طريق الامتثال
بالامر وموضع الامتثال به فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة النظم ما روي عنهما نقل من
تفسير الثعلبي ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا جبرائيل اخبرني عن ثواب من قالها في صلوته او غير صلوته فقال يا محمد ما من مؤمن
ولا مؤمنة يقولها في سجوده او غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش
والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل شيء وليس فوقي
شيء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم
فاذا كان يوم القيمة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول
قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره الامام ابو الليث في تفسيره بتغيير
من هذا القول قوله خلق كل شيء فسوى خلقه اشارة الى ان حذف مفعولي خلق وسوى
لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات جعلها موصوفة بوصف الاحكام والاتقان
سالما من الخلل والنقصان جامعا لجميع ما يتوقف عليه كماله في ذاته وينتظم به اسباب
معاشه قوله اي قدر اجناس الاشياء اي جعل اجناس الاشياء لمقدار معلوم وكذا جعل
انواع كل جنس واشخاص كل نوع لمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل متشخص في جثته
واوضاعه وساير صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة
والالوان والاشكال والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك لمقدار معلوم
كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم قوله انبت ما ترعاه الدواب

الدواب من العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة قال ابن عباس رضي الله عنه المرعى الكلاء الاخضر
ذي العصى في الرعي بالكسر الكلاء وبالفتح المصدر والمرعى الرعي والموضع والمصدر والغثاء ما
يبس من النبت فحملته الاودية والمياه الجوهري الغثاء بالضم والمد ما تحمله السيل من القماش
والتمش في الشئ من ههنا وههنا وذكر الشيخ قماش قوله ای اسود اشارة الى ان الغثاء
بمعنى اليابس وان الاحوى بمعنى الاسود صفة لغثاء وسبب ذلك السواد اما احراق شدة
الحر وان السيل يحمله فيلصق به اجزاء الكدرة فيسود لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار الكثير
فيسود وعلى تقدير كون احوى حالا من المرعى يكون الاحوى بمعنى الاسود لشدة الخضرة كأنه
قيل بعدما كان اسودا وان شدة خضرة فعلى هذا يكون في الآية تقديم وتأخير والتقدير
الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان عم اذا نزل عليه
القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبرئيل عم لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم
هو عم باوله مخافة النسيان فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا
لانه اخبار منه واخباره صدق ولا في قوله فلا تنسى نافية وعليه الاكثرون لا للنهي لان الانسان
لا ان لا نهي من النسيان لانه ليس باختياره ولذلك ثبتت الالف في لا تنسى خطا ولفظا و
جعله نهيا من النسيان احتاج الى التكلف في توجيه ورود النهي عما ليس بقدرة العبد واختياره
فيه مدخل بان يقول ان النهي وان كان عن النسيان صورة لكنه في الحقيقة نهي عن سببه
وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل لا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه واحتاج في توجيه
ثبوت الالف الا ان يكون الفا مزيدة رعاية لفواصل الآي كالالف في الظنونا والسبيلا

وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى تكلف ولانا اذا جعلناه نهيا كان معناه الله تعالى
امره بان يواظب على الاسباب المانعة من النسيان وهي المواظبة على القراءة و
الدراسة وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على خلاف قوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به قوله على لسان جبرئيل وسنجعلك قارئا بالهام القراءة
على انه يكون همزة اقرأ للصيرورة ان للصيرورة الفاعل اذا اصله ان نجعلك قارئا
للقرآن تقرؤه متى شئت بحيث لا يتطرق لك نسيان منه وعلى الاول يكون الهمزة
للتعدية ان لجعل فاعل اصله مفعولا فيكون المعنى سنقرئك هذا القرآن على لسان
جبرئيل حتى تحفظ فلا تنساه من حيث ان جبرئيل يقرؤه عليك مرارا كثيرة الى ان
يستقر ويتمكن في خاطرك فكيف تنساه فعدم النسيان على هذا المعنى متفرع على التعليم
والتكرير والتثبت وعلى كون الهمزة للصيرورة يكون متفرعا على مجرد جعل الله وتقديره
اياه قادرا على قراءة ما سمعه من جبرئيل عم مرة واحدة متى شاء بان يلهم الله تعالى قراءته
في اي وقت شاء والهام القراءة لا ينافي كون اصل المقرؤ مسموعا من جبرئيل عم منزلا
عليه بواسطته قال الامام ذكروا في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوها احدها ان جبرئيل عم
سيقرأ عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها انا نشرح صدرك و
نقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وذكر وجها ثالثا لم الف على معنا
اما بصعوبته في نفسه واما لسقامة النسخة قوله الا ان بوجه ما الا بطريق النسخ ود
قوله كذلك منصوب بالعطف على اسم ان يعني ان هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين وجهين

الاول انه رجل امي لم يحفظ هذا الكتاب المطول من غيره دراسة ولا كتبة فارق للعادة فيكون
معجزا او الثاني ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفيها اخبار بما سيقع في المستقبل من امر
عجيب غريب مخالف للعادة وقد وقع كما اخبر به ولا شك ان الاخبار من الغيب ثم وقوعه
كما اخبر به معجز **اقوله** بان نسخ تلاوته فان الانسان الكل الدايم في جميع الاوقات بحيث لا
يذكر بعد ذلك نوع من النسخ وطريق من طرقه فالمعنى الا ما شاء الله ان تنساه في الاوقات
كلها نسيانا دايما وذلك الانشاء هو النسخ ويكون النسيان سببا متفرعا على النسخ فانه
تعالى اذا نسخ تلاوة شي من الآيات وامر النبي صلى الله عليه وسلم بان لا يقراءة ولا
يعمل به يصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن الصدر رواها ما كان فالمستثنى الذي هو ما
شاء الله نسيانه يراد به الايات التي نسخت تلاوتها والمراد بنسيانها النسيان الكل
الدايم بحيث لا يعقبه التذكر بعده **قوله** وقيل المراد به القلة معطوف بحسب المعنى على التفسير
السابق فلا يراد بالنسيان ح ما يكون بنسخ التلاوة بل يراد به النسيان المتعارف
الذي يعقبه الذكر بعده ويكون المقصود بالاستثناء تقليل المنسي بهذا المعنى مع انه لا يبقى
منسيا دايما والعلم بكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف وان المنسي لا يبقى منسيا
دايما مستفاد من العطف والمقام ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء انه لما اشعر
بنفي النسيان مطلقا ثم استثنى من مفعول فعل النسيان المقدر الذي تعلق مشيئة الله
بنسيانه ولا شك ان لا تعلق المشية بنسيان شي منه غير معلوم ويجوز ان لا تعلق
اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شي من ذلك فلا محالة ان ما تعلقت المشية بنسيانه

بنسيانه اقل من الباقي بعد الاستثناء قد امر المستثنى بين ان ينتفي راسا وبين القلة
والندرة وما كان كذلك يكون في غاية القلة فهذا وجه حمل قوله تعالى الا ما شاء الله على الاستقلال
ما ينساه **قوله** او نفي النسيان راسا مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة فعلى هذا
لا يكون قوله الا ما شاء الله جاريا على حقيقة الاستثناء كما في الوجهين الاولين بل يكون
مجازا عن نفي النسيان راسا لما في قوله الا ما شاء الله من الالفاظ الدالة على القلة
واستعمال القلة بمعنى النفي راسا على طريق المجاز وارد في كلامهم ومنه قولهم وقليل ما هم في
مقام نفي الموصوفين المذكورين قيل قول الكلبي انه عم لم ينس بعد نزول هذه الاية يوكد
هذا الوجه الثالث لكن حمل الاستثناء الواقع بعد النفي على النفي لا يخلو عن بعد فتامل **قوله**
فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء تقرير على التفسيرين واشارة الى ان قوله يعلم الجهر
وما يخفى تعليل لحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر وبما خفي من احوال
عباده او من جهر ما عم بالقران مع جبريل وما خفي في نفسه مما يدعوه اليه من مخافة التفلت
والنسيان مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسى ما انساه من الوحي ولا يبقى ما ابقاه
الا لمصلحة نعود المبهم ولو قال بعد هذا القول او فلا تخف فانه اكفيك ما تخاف منه لكان اظهر **قوله**
ونعدك للطريقة اليسرى ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق توجيها لتعديته بدون
اللام فان العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا لفلان ولا يقال جعل
فلان ميسرا للفعل الفلاني كما في الاية وكما في قوله عم اعملوا فكل ميسر لما خلق له والا
عداد والتوفيق يتعدى بان بنفسهما فيتم وقوله للطريقة ابراز لموصوف اليسرى وتنـ

الموجهة نائبة والدين الطاعة ودان له اي اطاعه ودان بكذا وتدين به جعله طاعة والطريق اليسرى باب الطاعة من طريقة الاسلام التي هي الطريقة السهلة السمحة البيضاء وقال يسرك بنون العظمة ليكون عظمة المعطي دليلا على عظمة العطاء نظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له ولا ام نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلائق الى الشريعة لم يبعد اليه مثلها احد من الاولين وانه يتيسر بلغ الى هذه الدرجة قوله بعدما ستغلبت تلك الامور بيان لمعنى فاء التعقيب يقال استقبت له الامر اذا تهيأ واستقام يعني انه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسر حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله نسيانه وتيسير سبيل الرشد والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصب الاهتداء والهداية ودولتي الكمال والتكميل فان التكميل الناقصين وهداية الجاهلين ارفع مناصب اولي الفضل الكامل قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الى جواب ما ههنا انه عليه السلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم سوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ببيان ثواب الطاعة والعرفان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فان تنفعهم الذكرى بان يقبلوها ويهتدوا بها فهو المطلوب والا فلا اقل من انه يظهر بها عصيان المعاندين واستحقاقهم للمؤاخذة والعذاب وتنقطع بها حجتهم حيث لا يمكنهم بعد الانذار والتذكير ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك دون من المهتدين فان سنة الله تعالى قد جرت على انه لا يعذب قوما على ما حتى

فعلوا حتى

حتى يبعث فيهم رسولا يبين لهم ما يأتون وما يذرون قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاذا تقرر انه يجب عليه ان يذكر الكل في كل حال نفع او لم ينفع فما وجه تعليق الامر على الشرط في قوله ان نفعت الذكرى واجاب عنه المصنف بوجوه ثلاثة تحصول الاول انه ما ذكرنا من وجوب التذكير العام عليه في كل حال انما هو قبل الزام الحجة عليهم وانما دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتبين الحق عندها لينتبهوا ويظهر ان من اصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لعناده واتباعه هواه واما بعد ذلك فلا يجب الا بشرط ظن نفعه فان يذكر من حصل اليأس من انتفاعه واهتدائه به لا فائدة له سوى اتعاب النفس والتلهف عليهم ومحصول الثاني ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان ظاهره شرطا وتعليقا لايجاب التذكير على ترتب النفع عليه لكن لم يؤت به في هذا الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكورين وتنبيها للرسول صلى الله عليه وسلم انه لا ينفعهم الذكرى كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فكانه قيل فذكرهم وما نظن اتعاظهم وقبولهم منك فاذا لم يكن التعليق والتقييد مرادا ابقي الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفع واما الجواب الثالث فانه محل بحث وتأمل لايهامه عدم وجوب التذكير عليه في كل حال بل ان وجوبه عليه انما هو اذا ظن نفعه وليس كذلك الامر ولعل مراده انه وان وجب عليه التذكير العام في كل حال وان وجوب التذكير عليه غير مقيد برجاء اهتداء المذكرين الا انه اتى بصورة التقييد

للاشعار بان معظم الحكمة في ارسال الرسل وايجاب التذكير عليهم هو انتفاع الامة
واهتداؤهم بالذكرى وان كان الزام الحجة على المعاندين داخلا في حكمة الارسال وايجاب
التذكير على الرسل الا ان هذه الحكمة والايجاب في جنب الاول كانها ليست بحكمة
وكان التذكير انما يجب عليهم لانتفاع الامة به يجب اذا ظنوا عدم الانتفاع لا يجب
عليهم ذلك وايد هذا التوجيه بقوله تعالى واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا وقوله يتناول العارف والمتردد فان الناس في امر المعاد على ثلثة
اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي
ولا بالاثبات ومنهم من اصر على الانكار وقطع بانه لا يكون فالقسمان الاولان يكون
الخشية حاصلة لهما دون الثالث فقوله تعالى من يخشى كما يتناول العارف بالله
ولكمال قدرته وعلمه وحكمته فيقطع لذلك بصحة المعاد يتناول ايضا من يتوقف الى ان
يتبين له الحق ولا يكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع اية التخويف مثل
ان من كفر والى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فيحمله ذلك على
استماع الحق وقبوله بخلاف من غلب هواه وحمله ذلك على العناد والاصرار فان
قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه الخوف والخشية فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بها
يبتنى على حصول الخشية في القلب ولم تحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولا يقبلها بل
يتباعد عنها ولا ينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذي هو القسم الثالث من اقسام
الناس قوله الاشقى الكافر يريد ان اللام في الاشقى اما لجنس الاشقى وهو الكافر

الكافر او لفرد معين من الكفرة كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وابي بن خلف والمفضل
عليه على الاول جنس الفاسق وعلى الثاني ساير الكفرة فانه قد روي ان قوله سيذكر
من يخشى نزل في عثمان بن عفان رضي الله عنه وقوله ويتجنبها الاشقى نزل في الوليد وعتبة
والاية وان نزلت فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما ان التقسيم
السابق وان القول بان المراد بمن يخشى القسمان الاولان من تلك الاقسام وبالا
شقى القسم الثالث يؤيده العقل السليم قوله ولا يحيى حيوة تنفعه فهو في معنى قوله
تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ويقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي
ولا هو ميت وقيل ان روح احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى
موضعها من الجسد فيحيى واتى بكلمة ثم لان هذه الحالة افظع واعظم من نفس الصلي فهي
متراخية عنه في مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر فيقتضي المفضل
عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما في الاسفل
دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الا
سفل من النار يكون المفضل عليه ما في الدركات التي فوقها فان في جهنم نيرانا ودر
كات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة
كذلك يصلى اعظم النيران قوله او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء يقال
زكى الزرع يزكو زكاء اذا نما وتكثر والزاكي هو النامي المكثر وهذا الوجه يعتضد
بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون اثبت الفلاح

بالمستجمعين لتلك الخصال وكذلك قوله في اول البقرة واولئك هم المفلحون والوجه الاول لا
يعتضد بوجهين الاول انه تعالى لما لم يذكر في هذه الآية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد
هو التزكي من الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الآية والثاني ان الاسم المطلق ينصرف الى
المسمى الكامل واكمل انواع التزكية تطهير القلب من ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق
اليه قوله ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم كما ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة
فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتاح الصلوة وصلى عقيبه واحتج بهذه الآية
على وجوب تكبيرة الافتتاح حيث عدت في جملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست
من اركان الصلوة من حيث ان الصلوة عطفت عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل
انما يكون بملابسة ركن من اركانه لا عقيبها وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها غير
مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل
التزكي على التطهر للصلوة لتكون الآية مسوقة لمدح كل من حصل هذين الشرطين
للصلوة وصلى عقيبها والاية الث فيه فالواو ان دلت الآية على مدح كل من ذكر
اسم الله فصلى عقيبه لكن ليس في الآية بيان ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز
٢ ان يكون المراد ان من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك الى
فعل الصلوة فحينئذ يأتي بالصلوة التي احد اركانها وجزئياتها تكبيرة الافتتاح كما روي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال في تفسير هذه الآية ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى
له قال الامام واقول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاثة فاولها ازالة

العقائد الفاسدة عن القلب والثاني استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واسمائه
وثالثها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية في قوله تعالى قد افلح من
تزكى وثانيها هي المراد بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة وثالثها
هي الخدمة هي المراد بقوله فصلى فان الصلوة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار
قلبه بمعرفة جلال الله تعالى ولابد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر الخشوع انتهى كلامه
اذا حمل التزكي على اداء الزكوة المفروضة يكون الآية نظير قوله تعالى واقام الصلوة واتى الز
كوة وقيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلوة على
الزكوة اينما ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها قوله قيل تزكى
تصدق بالفطر روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الآية في هذا يعني ان المراد بالتزكي ٣
اخراج صدقة الفطر قبل المضي الى المصلى وبالذكر ان يكبر في الطريق حين خروجه الى المصلى
وبالصلوة ان يصلي صلوة العيد بعد ذلك مع الامام وقال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاو يل
لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر واجيب بانه لا مانع في علم الله
ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون كما في قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما
كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويو
لون الدبر وقال تعالى وانت حل بهذا البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح حتى
قال عليه السلام احلت لي ساعة من نهار قوله فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة

اشارة الى ما دل عليه كلمة بل من النفي المتعلق بالكلام السابق فانها موضوعة لنفي ما تقدم
وتحقيق غيره **قوله** فان الناس للدنيا اكثر في الجملة اى في الكل قال ابن مسعود رضي الله عنه
ان الدنيا احضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت
لنا وزويت عنا فاخذنا بالعاجل وتركنا الآجل حال اكثر الناس وجعل الكل تغليبا
واقامة للاكثر مقام الكل **قوله** والخطاب للاشقين اشارة بان يراد بلفظ الجمع الى ان الاشقى جنس
فهو في معنى الجمع قوله فان نعيمها ملذذ بالذات بيان لوجه خيرية الآخرة جعل نعيمها نفس
التلذذ مبالغة في نسبتها له ونعيم الدنيا وان كانت يستلذ بها الا انها في ذاتها ليست للا
ستلذاذ بها بل انما خلقت لان يتقوى بها على الطاعة ويتوسل بها الى سعادة الآخرة
بخلاف نعيم الآخرة والنوافل جمع النافلة هي الشدة **قوله** من قد افلح بيان الاول ما قدمته
ومنتهاه قوله والآخرة خير وابقى فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل
ما لا ينبغي من العقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة
الله تعالى **وقوله** فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله بل يؤثرون
الحيوة الدنيا اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا وقوله والآخرة خير وابقى اشارة
الى الترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تعالى في دار كرامته وهذه امور لا يجوز ان تختلف با
ختلاف الشرائع فلهذا قال ان هذا لفي الصحف الاولى والصحف جمع صحيفة وهي الكتاب
قيل صحف موسى عم هي الالواح التي كتبت فيها التورية وقيل هي صحف انزلت عليه قبل
ذلك وصحف ابراهيم عم كتب انزلت عليه وروى ان اباذر سال رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم بان قال له كم انزل الله من كتاب قال عم مائة واربعة كتب
على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين وعلى ابراهيم عشر
صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان كذا قال الامام وفي التفسير صحف شيث
وهي ستون وصحف ابراهيم وهي ثلثون وصحف موسى قبل التورية وهي عشرة والتورية والانجيل
والزبور والفرقان وقيل كان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون
حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه **سورة الغاشية** الغشي والغطاء غشية بغشاوة اى
ان غطاه وكل ما احاط بالشيء من جميع جهات فهو غاش له وسميت القيمة غاشية لانها تغشى
الناس جميعا من الاولين والآخرين ولانها تغشى الناس بالاهوال والشدايد وقيل المراد بالغاشية
النار وسميت بها لانها تغشى وجوه الكفرة واهل النار واتفقوا على ان هل ههنا في قوله هل
اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد كما تقول هل رايت صنيع فلان وقد علمت انه قد اتاه
تريد ان تحمل المخاطب على ان يقر بمدلول الفعل الذي دخلت عليه كلمة هل كذا قال الامام
في الاول سورة الدهر يريد ان الاستفهام في هل اتيك للتقرير لان حمل الكلام على
حقيقة الاستفهام غير متصور ههنا لاستحالته على الله تعالى وقد يكون الاستفهام
بهل للانكار والجحد كما تقول هل يقدر احد على مثل هذا كما يكون لحقيقة الاستفهام
وتعيين كل واحد من هذه المعاني موكول الى شهادة المقام والمقام ههنا مقام التقرير
لانه تعالى عرف رسوله صلى الله عليه وسلم من حال الغاشية وحال الناس
فاما ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل لان العقل [illegible] فلا يدل الا على العقل

اليه فلما ذكر الله تعالى تفصيل تلك الاحوال لاجرم قال هل اتيك حديث الغاشية اي حديث الداهية
الغاشية على حذف الموصوف قوله تعالى وجوه مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اي ذليلة
يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب
وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر في الوجه حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر في الوجه لانه ضد الكبر الذي محله الراس والدماغ
قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة نا
صبة وذلك من صفات المكلف لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلق بالوجه لذلك انتهى الخشوع و
الخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يتزين الانسان من الذل والخزي والهوان
يقال خضع الانسان اذا امال راسه الى الارض او دنا منها قوله تعمل ما تتعب فيه اشارة
الى ان ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة على انه خبر بعد خبر وان ناصبة في المعنى لتقييد العمل بانه
من قبيل ما تتعب الوجوه فيه فان الناصبة بمعنى التعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من
باب علم وعلم اذا تعب في العمل واذا كان كل واحد منهما خبرا بعد خبر يكون قوله يومئذ ظرفا للكل
واحد من الاخبار الثلثة ويكون الاخبار باسرها حاصلة في الآخرة فان الكفار لما تكبروا في الدنيا
عن عبادة الله تعالى والانقياد لحكمه يكونون يوم القيمة خاشعين اي ذليلين وعاملين في النار
عملا لا يتعبون فيها وهو جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا وخوضهم في النار كما تخوض الابل في الوحل بحيث يرتقي عنه تارة ويغوص فيه اخرى و
الوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار في يوم كان مقداره خمسين

الف سنة والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهدة المكان المطمئن والجمع وهد
ووهاد والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة قوله اوعملت ونصبت في اعمال
لا تنفعها يومئذ اشارة الى جواز ان يكون بعض تلك الصفات حاصلا في الآخرة وهو الخشوع
والذلة وبعضها في الدنيا وهو كونها عاملة ناصبة اي انها خاشعة في الآخرة مع انها كانت في الدنيا
عاملة ناصبة والمعنى انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا لكون ذلك العمل والنصب في غير طاعة الله
ولا يمتنع وصفهم ببعض الاوصاف العارضة لهم في الآخرة ثم ان يذكر بعض اوصافهم في الدنيا
ثم يعاد الى ذكر احوال الآخرة اذا كان له وجه صحيح ومعنى معقول فكانه تعالى وجوه يوم القيمة
خاشعة لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله تعالى فهي اذن تصلى نارا حامية في
الآخرة فالوجه على هذا المعنى ان يكون قوله تعالى عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف والجملة في موضع
الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة تعبة في الدنيا فيما لم ينفع به يوم اذ غشيت الدا
هية الكبرى قوله بلغت اناها اي ناهيتها من الحميم يانى انى اي انتهى حره والانى نهاية الحر
قيل الضريع بمعنى المفعل كالاليم والبديع بمعنى المولم والمبدع والمعنى الا من طعام يحملهم على ان
يفتدوا ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وقيل الضريع يبيس
من الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو
سم قاتل قال الشارح الشبرق الريان فاذا ذوي وعاد ضريعا عاد عنه النعم ود
النعم تخوض وهو الحايل من الابل والاتان وعن ابن عباس رضي يرفعه الضريع شيء في النار
يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال تعالى في سورة الحاقة

فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال ههنا ليس لهم طعام الا من ضريع والجواب
ان احد الحصرين ينافي الآخر بناء على ان الضريع غير الغسلين وان كلا منهما غير الزقوم الذي في قوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم ويمكن ان يقال ان النار دركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي واهلها
فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم
من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم واشار المصنف
الى هذا الجواب بقوله ولعل طعام هؤلاء الخ ثم اشار الى جواب ثان بقوله او المراد الخ يعني
ان المقصود بهذه الآية حصر طعامهم المقيد المخصوص بانه مما يكرهه الابل ولا تتناوله لمرارته
وخباثته في الضريع وذلك لا ينافي ان يكون لهم طعام من جنس آخر كالزقوم والغسلين روي ان
كفار قريش قالت الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت قوله لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلوا
ما يتفوهوا بذلك الكلام كذبا فرد الله تعالى قولهم وكذبهم بذلك واما ان يصدقوا فيه فيكون المعنى
ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع
قوله ذات بهجة وحسن على انه فاعل من نعم الشيء بالضم نعومة ان صار ناعما لينا ويكون
نعومة الوجوه اغضاضتها ونضارتها كناية عن تنعمها وطيب حالها او على ان ناعمة للنسب بمعنى ذات
النعمة مثل لابن وتامر ثم يراد بالنعمة لازمها وهو الحسن والبهجة فيكون هذه الآية في المعنى نظير قوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او يراد بها حقيقة النعمة فيكون ناعمة بمعنى منعمة قوله رضيت
بعملها اشارة الى ان المراد بسعيها ما سعى فيه وهو عملها وان اللام في لسعيها متعلقة براضية
اي قد رضيت في الآخرة بسعيها وهو عملها في الدنيا لما رأت من العاقبة الحميدة والتقرير راضية

راضية سعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل قليلا فجيء باللام تقوية لعمله فهذه اللام
مؤكدة لعمل الفعل وناصرة على العمل ويجوز ان يكون لام التعليل اي لاجل سعيها في طاعة الله
تعالى راضية جزاءه وثوابه قوله عليه المحل على ان يكون عالية من العلو في المكان فان
الجنة درجات بعضها اعلى من بعض قال صلى الله عليه وسلم والدرجة مثل ما بين السماء والارض او
من العلو في القدر والشرف لكمال ما فيها من النعيم قوله لا تسمع مخاطبة على ان يكون
المنون في لا تسمع ضمير انت والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب كقوله تعالى واذا رأيت
ثم رأيت نعيما وقوله واذا رأيتهم حسبتهم وقول الشاعر اذا انت اكرمت الكريم ملكته
قوله واذا رأيتهم المنون فيه ضمير هي والتاء لتانيث الوجوه للخطاب قوله التاء نافية
لتانيث لفظ لاغية والياء لان التانيث غير حقيقي او لان اللاغية بمعنى اللغو على انه مصدر
بمعنى لغى يلغو لغوا واللاغية كالعافية قوله او كلمة ذات لغو على ان يكون لاغية بمعنى النسبة
مثل تامر صفة لموصوف مؤنث وهو الكلمة او النفس فاللاغية للحدوث لا بمعنى النسبة
قوله فان كان اهل الجنة الذكر الحكم وذلك لان المجالس الشريفة في الدنيا يصان من
اللغو فكيف لا يصان منه اشرف المجالس في جوار رب العالمين مع ان اهلها انما نالوها
بالجد والادب وبالبعد عن اللغو وسوء الادب فلما نالوا احسن ثواب سعيهم واوجبهم رضوانه فكان
ذلك مقتضى طباعهم السليمة قوله والتنكير للتعظيم ومن رفعة شأنها انها تجري على وجه
الارض من غير اخدود وتجري لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا ويذهب من قلبه الغل

والغل والغش والحقد والعداوة والبغضاء قوله رفيعة السمك اي عالية في الهواء
فان السمك هو الامتداد والاخذ من اسفل الشيء الى اعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها في
الهواء وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك
ورفعة قدر تلك السرر حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها واوصافها
قوله بالفتح والضم فان فتح نون نمرقة وضمها لغتان والراء مضمومة فيهما قال الكلبي نمارق
مصفوفة اي وسائد موضوعة بعضها الى جنب بعض كما يشاهد الذي جعل صفا انا اراد
ان يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند الى اخرى ووضع راسه وصفاه كانها من الياقوت
والريحان قوله افلا ينظرون نظر اعتبار حتى يستدلوا به على كمال قدرة صانع العالم و
كمال علمه وحكمته فيثبت عندهم اقتداره على البعث والجزاء فلا ينكروهما فانه تعالى لما حكم
اولا بمجيء الغاشية وهي يوم القيمة وحكم بان بعض اهلها اشقياء يعذبون وبعضهم
سعداء متنعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ان العالم له صانع حكيم قادر على جميع
الممكنات فلذلك اتبع امر المعاد بذكر ما يدل على الافكار مع ترك النفس النظر الى انواع
المخلوقات والحث على النظر والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه فان من
نظر الى هذه المخلوقات على هذا المعان والاحكام تيقن بان خالقها متصف بصفات الكمال
منزه من سمات العجز والامكان ثم انه لما خلق الناس متمدنا تحتاج بعضهم الى البعض
في امور معاشه فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه الا بان يجتمع مع بني
نوعه ويكون كل واحد منهم وذلك الاجتماع يستدعي ان يوضع بينهم قانون الشرع

الشرع وتكليفهم بالانقياد له بحيث يشتمل ذلك القانون على الوعد والوعيد حتى يكون
اجتماعهم على سنن العدل والاستقامة وذلك يستدعي البعث والقيمة وخلق الجنة والنار
فثبت ان النظر الى انواع المخلوقات يؤدي الى القول بصحة البعث والقيمة قوله ناقة
بالحمل الباء للتعدية اي رافعة اياه وناهضة اي قام وناء ينوء نوءاً اي نهض بجهد و
مشقة وناء بالحمل اذا نهض به مثقلا والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار لحمل واحد
يعني ان الحكمة في طول اعناقها اقتدارها للقيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها
الى جانب قدامها من الارض يتوجه الثقل الى رفع القدام فيسهل عليها رفع ساقها
ثم اذا رفع عنقها وامالها الى جانب الخلف يسهل عليها قدامها قوله وقيل المراد بها السحاب
تشبيها للسحاب بالابل في كثرة ما ينتظر به من حاجة الناس كالابل فلذلك اطلق اسم الابل
المشبه به عليه مجازا او قرينة والمجاز ذكره في جانب ذكر السماء والجبال قوله
الى عشر ما بين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر في الصيف قوله
وعن الكسائي بالسين على الاصل وهكذا في اكثر النسخ والصواب وعن هشام وهو
ممن يروي قراءة ابن عامر الشامي فانه قرأ لمسيطر بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد
وبين الصاد والزاي ان تخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما
حرف ليس بصاد ولا زاي والخلط المذكور ان خلط حرف بحرف احد معاني الاشمام
في عرف القراء والباقون بالصاد خالصة والكسائي منهم الجوهري سيطر يسيطر سطرا
كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء يشرف ويتعهد احواله ويكتب عمله

واصله من السطر لان الكتاب مسيطر والذي يفعله مسطر ومسيطر انتهى والمعنى انك ما امرت الا با
الانذار والتذكير فاما ان يكون مسلطا عليهم تحملهم على الايمان جبرا وتدخله قلوبهم كرها فلا قيل لكن
لست الان مسلطا عليهم تقاتلهم على الايمان وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر به فنسخت آية
القتال والاستثناء منقطع فعلى هذا يكون من في من تولى شرطية والجزاء هو الاخبار بالتعذيب في
الآخرة والمعنى لست بمستول عليهم لكن من تولى منهم واعرض عن اجابتك وكفر بالله وآياته
فان الله الولاية والقهر يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم قالوا وعلامة كون الاستثناء
منقطعا ان يحسن دخول ان في المستثنى كما في هذه الآية فانك تقول الا ان من تولى وكفر فيعذبه
الله واذا كان الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان الا درهما فلا يدخل عليه
ان قيل وقيل متصل على انه استثناء من الضمير في عليهم اي لست عليهم بمسيطر الا على من تولى
من الايمان ودام على الكفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك من قتل وسبيه واسره ولما اشتهر ان
ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فالتسلط على احد باكراهه على الايمان يكون بالجبر على القلب
لان محل الايمان وذلك ليس في وسع البشر اذ لا استيلاء على القلب احد غير الله تعالى اجاب عنه
بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم الذي هو من الاسباب المؤدية الى الايمان بمنزلة الاستيلاء
على الايمان قوله وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا اشارة الى جواب الشبهة فكيف يصح حمل الكلام
على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت متسلط على من تولى من الايمان ودام على ا
الكفر منهم ومحصول الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه السلام باذنه للقتال
ووعيد الكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بالتسلط في الحال قوله ان فذكر الا من تولى و



على الكفر فاستحق العذاب الاكبر الظاهر ان من على هذا موصولة وان فيعذبه معطوف على كفر ومعلوم
ان عذاب جهنم غير معقب الكفر فلذلك حمل قوله فيعذبه على انه استحق العذاب الاكبر والمراد
من الكفر هذا المصر المعاند لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليهم فلذلك استثنى من
جملة من امروا بتذكيرهم قوله ويؤيد الاول وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله
هو المسيطر عليهم يعذبهم وقوله من تولى من وضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بسبب استحقاقهم
تعذيب الله تعالى ووجه التأييد ظاهر وهو توافق المعنيين في بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا
على احد الوجهين فان قراءة الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام على انها حرف التنبيه لا تتوافق المعنى
ومن على هذه القراءة شرطية والجواب قوله فيعذبه الله بتقدير فانه يعذبه الله ولا بد من
هذا التقدير لانه لو كان الجواب الفعل الذي بعد الفاء لعمل فيعذبه بالجزم قوله وقرئ بالتشديد
والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر كصيام وقيام من آب يؤوب اوبا واوبة و
وايابا اذا رجع كصيام يصوم صوما وصياما وقام قياما اصلهما صواما وقواما قلبت
الواو ياء فيهما لانكسار ما قبلها والمتابعة في الفعل ووجه قراءة التشديد بوجهين الاول مصدر
على وزن فيعال من ايب على وزن فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا اصله ايواب
لما اجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فصار ايابا
والثاني انه مصدر على وزن فعال من اوب نحو كلم كلاما واصله اواب قلبت الواو الاول
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دوان فصار ايواب ثم فعل ما مر قوله من
الاياب تارة ومن الاوب اخرى للحن والتفنن في العبارة لما ان الاوب والاياب كلاهما مصدر

آب يؤب اجو فاداه باقوله و تقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان تعالى ان ايابهم
ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب
على النقير والقطمير سورة الفجر قوله اقسم بالصبح او فلقه الاول على ان يكون الفجر اسما للصبح
وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق والثاني على ان يكون مصدرا بمعنى خروج الصبح
بفلقه الظلام اي شقه يقال فلقت الشيء فلقا شققته روي عن ابن عباس رض ان الفجر هو الصبح
المعروف من كل يوم وقيل هو الفجر الصبح الصادق او الكاذب اقسم الله تعالى به لما يحصل به من انقضاء
الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الارزاق
وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تامل فان الشيء انما يقسم به اذا كان فيه فايدة دينية
مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء او نحوهما او فايدة دنياوية توجب
البعث على الشكر او مجموعهما والفجر مشتمل على مجموع تلك الفوايد قوله او بصلوته بان يراد بالفجر ما يقع
فيه مجازا مرسلا اقسم بصلوة الفجر لانها صلوة في مفتتح النهار واولها تجتمع ملائكة الليل وملائكة
الليل والنهار لاستماع ما فيها من القراءة كما قال تعالى ان قران الفجر كان مشهودا اي تشهده ملائكة الليل
والنهار لاستماع القراءة فيه قوله عشر ذي الحجة اقسم به لانها ايام الاشتغال بنسك الحج و
اعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما من ايام العمل الصالح فيه افضل
من الايام العشر ولما فسر الليالي العشر بعشر ذي الحجة قيل المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر
عرفة او فجر يوم النحر ثم قيل اقسم بفجر يوم عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحاج الى جبل عرفات
للوقفة ويقفون فيه متوجهين في الى رب العزة متضرعين اليه فهو مظنة اجابة الدعوات

دعوات وفي الحديث الحج عرفة واقسم بفجر يوم النحر لانه يوم عظيم ياتي الانسان فيه بالقربان كانه يريد
ان يتقرب بذبح نفسه فلما عجز عنه فدى نفسه بالقربان كما قال تعالى وفديناه بذبح عظيم ويقع فيه
الطواف المفروض والحلق والرمي ويروى ان يوم النحر يوم الحج قوله او عشر رمضان عطف على
عشر ذي الحجة اقسم الله تعالى بها لشرفها وفيها ليلة القدر اذ في الخبر اطلبوها في العشر الاخر
من رمضان وكان عم اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ اهله وكف ومن الحلم
وامر اهله بالتهجد قوله وتنكيرها للتعظيم جواب ما يقال ما بالها منكرة من بين ما اقسم به
وتقريره انها ليال مخصوصة بفضايل عظيمة لا تحصل في غيرها على ما اشرنا اليها فنكرها للدلالة
على تلك الفضايل العظيمة قوله على ان المراد بالعشر الايام لم تجعل الاضافة بيانية لان
الاصل في الاضافة المغايرة بين المضاف والمضاف اليه وهي انما توجد اذا فسر العشر بالا
يام واما اذا جعلت الاضافة بيانية وفسر العشر بالليالي فلا توجد في الكلام في وجه
تانيث العشر على تقدير ان يراد بها الايام وهو مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام قوله
الاشياء كلها شفعها ووترها على ان يكون الشفع والوتر معا كناية عن جميع الاشياء من حيث
ان شيئا ما من الاشياء الاجناس والانواع واصنافها واشخاصها جواهرها واعراضها لا يخلو
كونه خاليا منهما فالقسم بهما قسم بجميع الاشياء بهذا الطريق وكذا اذا جعل الشفع كناية عن
جميع المخلوقات لانه تعالى خلق من كل شيء منها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا عالما و
جاهلا قادرا وعاجزا حارا وباردا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وجعل الوتر
كناية عن الخالق لانه فرد لا تعدد فيه وقال بعض المتكلمين لا يجوز ان يقال الوتر هو الله عز وجل

لانه تعالى لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره ومن ورد انه
سمع من يقول الله ورسوله فقد اهتدى فقال قل الله ثم رسوله فقط ومن فسرهما با... لعنا
والافلاك الا فقط هو جهة للشك جواب ما يقال من ان المفسرين اكثروا القول في تفسير الشفع
والوتر فان منهم من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من
فسر الوتر بما كان وترا من الصلوة كصلوات المغرب والشفع بما كان شفعا منها ومنهم من فسر
الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام ذي الحجة التي هي ايام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة لانها
تاسع تلك الايام وكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك حيث قال
العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ومنهم عمم الصلوة بعضها الشفع
وبعضها وتر ومنهم من فسرهما بغير ما ذكر مثل ان يفسر الشفع باليومين بعد يوم النحر والوتر
باليوم الثالث ومن ذهب الى هذا القول قال حمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملهما على
يوم النحر وعرفة لان يومي النحر وعرفة دخلا في عشر ليال اذا فسر بعشر ذي الحجة فحمل الشفع
والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما يحصل في هذه الايام التي
بعد يوم النحر فحمل لفظ الشفع والوتر عليها يفيد القسم بجميع ايام اعمال المناسك وفيه بحث
لان دخول يومي النحر وعرفة في عشر ليال لا ينافي تخصيصهما بالذكر بلفظ الشفع والوتر
تنبيها على مزيد شرفهما على باقي الايام العشر مع ان حمل اللفظ عليهما ورد مرفوعا كما ذكرنا
فالنص فالحمل عليهما اولى ومثل ان يفسر الشفع بادم وحوا حيث شفع بزوجته والوتر
بمريم او الشفع بالعيون الاثني عشر التي فجرها الله تعالى لموسى عم والوتر بالايات التسع

التسع التي اوتيها موسى عم كما قال تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات او الشفع
بايام عاد والوتر بلياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما او الشفع
بالشهر الذي يتم ثلثين يوما والوتر بالشهر الذي يتم تسعة وعشرين يوما او الشفع با
لاعضاء والوتر بالقلب قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه او الشفع بالشفتين
والوتر باللسان قال تعالى ولسانا وشفتين او الشفع بالشفتين والوتر باللسان قال تعالى
ولسانا وشفتين او الشفع السجدتين والوتر بالركوع او الشفع بابواب الجنة لانها ثمانية
والوتر بابواب النار لانها سبعة او الشفع بدرجات الجنة وهي ثمانية والوتر بدركات
النار وهي سبعة او الشفع بصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة و
الكراهة والحيوة والموت والوتر بصفات الحق جل ذكره وجود بلا عدم حيوة بلا موت
علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل او ان يفسر الشفع والوتر بنفس العدد لانه اما
شفع او وتر فكانه تعالى اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه فهو بمنزلة الكتاب والبيان
الذي من الله به على العباد اذ بالحساب يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور
وقال بل الشفع هو الايام والليالي والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة
وقيل الشفع كل نبي له اسمان مثل محمد واحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون
والوتر كل نبي له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهيم وهذا تفصيل اقوال المفسرين
في الشفع والوتر ولا اشعار للفظ بالشفع والوتر بتخصيص هذه التفاسير تعيينه
ولفظ الشفع والوتر انما يدل على معنى كلي متناول لهذه الانواع لا على خصوص شيء منها

فاقوال المفسرين في تفسيرها لا تخلوا من التخصيص بلا مخصص فلم يثبت في شيء منها خبر من الر
سول صلى الله عليه وسلم او اجماع من اهل التأويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت يجب
ان يحمل اللفظ على الكل لان الالف واللام فيهما للاستغراق فلا اقل من ان لا يقطع في حمل
اللفظ على شيء منها بخصوصه بل يذكر كل واحد منها على طريق الجواز والاحتمال وتنوير
الجواب ان تفسيرها ببعض الوجوه لم يرد انحصار مدلولها في ما ذكره بل لعل الحامل عليه
انه افرد بالذكر من انواع مدلول الشفع والوتر ما هو اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر
والافلاك والبروج والسيارات او مدخلا في الدين كالصلوات شفعها ووترها او
مناسبة لما قبلها كيوم النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين
واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى
الا بربها المنافع الفصول الاربعة فانها لا تعد ولا تحصى وان ثبت من الشارع ما
تفسيرها ببعض هذه الوجوه فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل
انه وارد على طريق التمثيل بما ان في تخصيصه بالذكر فائدة مقيدا بها من الفوائد المذكورة
فيجوز للمفسر ان يحمل اللفظ على بعض آخر من محتملات اللفظ لفائدة اخرى وفي تيسير
القراءة قرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل الفتح لغة اهل الحجاز
والكسر لغة تميم فصل والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة
ووفور النعمة فان اصل الدلالة عليهما يحصل بمجرد ذكر الليل من غير التعرض لانقضائه
وزواله بمجيء ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق

الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس اية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة
للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرض بانقضاء الليل وتعاقب
النهار عليه تتقوى تلك الدلالة فان اية الليل اذا عقبت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط
اية النهار وشيوعها برهان قاطع على كمال القدرة واحسان شامل لجميع الحيوانات فكانهم احيوا
الجميع بعد الموت وتنبهوا بذلك لطلب الارزاق الممدة للحيوة الدنيوية التي يتوسل بها الى
سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في
والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي او يسرى
فيه فيكون من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اي صام هو فيه وصلى المقام اي صلى
هو فيه والتقييد بذلك على هذا التوجيه لان السرى في الليل حافظ للسائر من حر الشمس فان السير
مع مقاساة حر النهار اشد على النفس ومن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم
في الليل اكثريا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحاج يسرون فيها الى المزدلفة
بعد الافاضة من عرفات والعامل في اذا معنى القسم اي اقسم به اذا يسرون فيه او اذا سار
وذهب وانقضى كما قال تعالى والليل اذا ادبر قتاده وحذف الياء الى هنا ثلث قراءات الاولى
حذف الياء وقفا ووصلا والثانية حذفها وقفا لا وصلا والثالث عدم حذفها في الحالين وجه الحذف
مطلقا التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء على دلالة كسرة الراء عليها ووجه الاثبات
مطلقا ان الياء لام الفعل ولام الفعل لا تحذف في الفعل في الوقف فضلا من الوصل يقول هو
يقضي وانا اقضي وانما تحذف من الاسماء نحو قاض ورام وغاز ووجه الحذف في الوقف وصلا

الفواصل دون الوصل لانه لام الفعل وهو لا يحذف في الوصل فان قيل لم اخر حذفها في الوقف لمراعاة
الفواصل وقد مر لان لام الفعل لا يحذف في الوقف من الفعل قلنا الفواصل في موضع الوقف
والوقف تتغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والاسكان وروم الحركة فيها فتغير هذه الحروف
الشبيهة بحروف الزيادة بالحذف اولى قوله تعالى وقوله يسر بالتنوين فان تنوين الترنم يلحق
القوافي في الاسم والفعل والحرف بدلا من حرف الاطلاق اي من حروف المد واللين لترك الترنم
لان الالف والواو والياء في القوافي يصلح للترنم بما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قصد
الانشاد بترك الترنم لخلو التنوين من المد فان قيل ما فايدة قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي
حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا نعم وهي الزيادة التاكيد والتحقيق كمن ذكر حجة
باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان كان ذا لب وعقل يعلم ان ما اقسم الله تعالى
به من هذه الاشياء فيه عجايب كثيرة ودلايل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم
به لدلالته على خالقه وقيل هذه الآية يدل على ان المراد الاقسام برب هذه الامور لان هذه
الآية دالة على ان هذا ابالغة في القسم ومعلوم ان المبالغة في القسم لا يحصل الا بان
يقسم بالله رب العالمين قوله تعالى سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي والحجر بالفتح المنع من الشيء يقال
حجرا اذا منعه من التصرف في ماله قوله تعالى والمقسم عليه محذوف اعلم ان في جواب هذا
القسم قولان الاول انه هو قوله ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض والثاني انه محذوف
وهو لنعذبن الكافرين يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط
عذاب واختار المص هذا القول لانه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب

فلا ادخل في التخويف فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين دل على ان المقسم عليه اولا
هو ذلك وقوله تعالى الم تر بمعنى الم تعلم لا من رؤية البصر وهو ظاهر وانما عبر عن العلم
بالرؤية لان اخبارهم كانت معقولة بالتواتر وهو يفيد العلم الضروري الجاري مجرى الرؤية
في الجلاء والخطاب فيه وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل
من علم ذلك ليكون زجرا للكفار عن مثل ما اداهم الى الهلاك وحثا للمؤمنين على الثبات
على الايمان قوله تعالى يعني اولاد عاد يريد ان لفظ عاد ههنا اسم للقبيلة المنتسبة
الى عاد بن عوص كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الا
ولى قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى وللمتاخرين عاد الاخرة وارم اسم لجد عاد وفي ارم
منه في هذه الآية اقوال احدها ان المراد به المتقدمون من قبيلة عاد فانهم كما يسمون
بعاد الاولى فكذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم البلدة منهم
التي كانوا يسكنون فيها ثم قيل تلك المدينة هي الاسكندرية وقيل هي دمشق وقيل
عليهم ان منازل عاد كانت بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف
كما قال تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واما الاسكندرية ودمشق
فليستا من بلاد الرمال والثالث ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة
المنارة وعلى هيئة القبور وارم سواء كانت قبيلة او اعلاما لا ينصرف للتعريف
والتانيث فان جعلنا اسم قبيلة كان قوله ارم عطف بيان بعاد ايذانا بانهم
عاد الاولى القديمة وان جعلناه اسم البلدة او الاعلام كان التقدير بعاد اهل ارم

ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى واسئل القرية وهذا ان كون ارم
عطف بيان لعاد بان يكون اسمين للاوائل من قبيلة عاد هو الذي اشار اليه المصنف
بقوله وقيل سمي اوائلهم ارم عطف بيان لعاد وهم عاد الاولى من غير تقدير المضاف
وهو الاسبط واما اذا كان ارم على اصله وصفه وهو كونه اسما لجد قبيلة عاد فانما
يكون عطف بيان لعاد بتقدير السبط قوله ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة يصلح ان يكون وصفا لارم و
واسم قبيلة اما وصفه بذات البناء الرفيع فلانهم اصحاب المدينة وهي بناء رفيع قيل انهم
كانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها
القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع
آية تعبثون اي علامة وبناء رفيعا واما وصفه بذات القدود الطوال فلما اشتهر من انه
كان قد احدهم اثنى عشر ذراعا واكثر من ذلك وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل
منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم ياخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي فيهلكهم واما وصفه
بالرفعة والثبات فلرفعة قدودهم وثبات اعمادهم وسعة ارزاقهم وقوة اجسادهم
واما على تقدير كون ارم اسم بلدة فالصالح لان يكون وصفا له هو ذات البناء الرفيع قيل ان
مدينتهم كانت ذات الاساطين اي ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانة ويصح وصفه
ايضا بالرفعة والثبات لا بذات القدود الطويلة قوله فلما تمت قال الامام تمت في ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وبنى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة و

والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم
بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله انه جاء ولم يدخل ارم لا هو ولا احد ممن كان
معه ولم يقدر عليه احد حتى الساعة غير ابن قلابة والقصة مستوفاة في التيسير الا انه
قال وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع الى جنة شداد فحمل ما قدر عليه مما
هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى
عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل
انتهى كلامه وفي قوله بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا بحث لان قوم عاد هلكوا بالريح
وقوم صالح هلكوا بالصيحة لقوله تعالى في سورة الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية و
اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا — فعصوا
رسول ربهم فاخذناهم اخذة رابية اي زائدة في الشدة كزيادة اعمالهم في القبح بين الله
تعالى في تلك السورة ما اجمل في هذه السورة بقوله فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث بين
كيفية ما صب عليهم من العذاب اللهم الا ان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديدة الصوت
قوله والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة فالمعنى على الاول لم يخلق مثل هذا القوم
في البلاد في عظم الجثة وطول القامة وشدة القوة كما مر من ان طول الرجل منهم يكون ار
اربعمائة ذراع وكان يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الجمع فيهلكهم والمعنى على الثاني لم يخلق مثل

مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقيل ضمير مثلها راجع الى العماد ان لم يخلق مثل تلك الاساطين
في البلاد ولم يلتفت المص اليه لان السوق يقتضي وصف ارم بتلك الصفات ومدحها وتفخيم
شانها لا تعظيم اساطينها والمقصود من ذكر هذه الحكاية زجر الكفار فانه تعالى لما بين انه
اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع اختصاصهم بما لهم من وجوه القوة والشدة فكانه
قال ايها الكفرة لا تكونوا خائفين من مثل ما نزل بهم اذا اقمتم على كفركم مع كونكم اضعف منهم
من كل وجه اولى واحرى قوله قطعوه فان معنى الجواب القطع يقال جبت البلاد ا
جوبها جوبا وزاد الزجاج جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
قوله او التعذيب بالاوتاد كما روي عن ابن عباس رض ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لان
امراة خازنه حزبيل كانت ماشطة فرعون وكان حزبيل مؤمنا يكتم ايمانه مائة سنة وكذا
امراته فبينا هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت
تعس من كفر بالله عز وجل فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك
واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك
قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك
له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك او اقري باني الهك
قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله
عز وجل والا اعذبك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت به

به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفري بالهك والا ذبحت الصغرى
على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على الارض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فاتى بابنتها فلما
اضجعت على صدرها واراد ان يذبحها جزعت المراة فاطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت
وهي من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في
الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها
الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها اسية
بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني ان اصبر على
ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينا هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس
قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك
الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح
الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها واسكنها الجنة قوله صفة لما
ذكرن فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا
عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني يحتاج الى حذف العامل
وهو ابلغ والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدا فاختاره المص احسن بحسب اللفظ
واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعني لكونه صريحا في الذم والمقام

مقام الذم فهو احسن نظرا الى المعنى قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد بيان الوجه طغيانهم في البلاد
فان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع
اقسام الاثم من الكفر والظلم فمن يجبر على امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد معتد ومن
الحد الذي حد له قوله ما خلط لهم من انواع العذاب فسر سوط العذاب بانواع العذاب الملتف
بعضها ببعض التفات لما ان السوط الذي يضرب به وجعل العذاب بمعنى المعذب به وجعل اضافة
السوط اليه بمعنى من ويحتمل ان يكون العذاب بمعنى التعذيب والاضافة بمعنى اللام والمعنى صبا
عليهم الانواع الملتفة مما يعذب به للتعذيب فان قيل قوله تعالى في السورة الحاقة فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديد الصوت او البرد عاتية الى قوله
العصف وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم الله
اخذة رابية اي زائدة في الشدة كزيادة اعمالهم في القبح يدل على انه تعالى صب على كل واحد
منهم نوعا من العذاب لا الانواع المخلوطة المشبهة بالسوط ولذلك قيل في تفسير سوط
عذاب نوعا من العذاب صبه عليهم قلنا المذكور في تلك السورة صريح في ان ما عذب به كل واحد
منهم لما اهلك به الاخرون بنوع خصوصية فيه وذلك لا ينافي ان يكون ما ارسل على كل واحد
منهم مشتملا على الانواع مما عذب به واقله ان تختلط ما ذكر في تلك السورة من نحو
الطاغية وريح صرصر والاخذة الرابية بالعذاب الروحاني من التحسر على عدم الامتثال
والهموم والاحزان فان قيل الشيء ان قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما
ترك عليها من دابة يقتضي تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين ما بين الآيتين قلنا

بينهما
قلنا انه تأخير تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافي ان يعجل شيء من ذلك في الدنيا فان الواقع في الدنيا
شيء من الجزاء ومقدمة من مقدماته قوله الحد المضروب ان المنصوب المفعول وهو يترقب
فيه الرصد وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس ويكون مصدرا ايضا كالرصد بالسكون
يقال رصده يرصده رصدا مثل رقبه يرقبه رقوبا ورقبة والترصد الترقب وصيغة مفعال قد
يكون اسم مكان كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وقد
يكون للمبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان لمن يكثر منه هذه الافعال وههنا يتعين الاول للمبالغة
الدالة على الظرفية اي آية لها المكان الذي يترقب فيه السابلة ومن بعض العرب انه قيل له اين ربك
فقال بالمرصاد قوله تمثيل الارصاد في العصاة بالعقاب الظاهر ان الباء بالعقاب للتعدية
والمعنى تمثيل لاعداد العقاب للعصاة وجعل العقاب مرصدا لهم الجوهري عن الاصمعي يقال
ارصدته ترقبته وارصدت له اعددت له والكسائي مثله انتهى وههنا ما يدل الارصاد بنفسه
حيث قال الارصاد للعصاة بنصب العصاة معدى الى العقاب بالباء والحاصل ان قوله تعالى
ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها على
النقير والقطمير ولا محيد للعباد من ان يكون مصيرهم الا اليه بحال من قعد على طريق السابلة
يترصدهم ينظر بالجائي والآخذ المكس ونحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور الى ذلك الطريق ثم
استعمل هنا ما كان مستعملا هناك عن الكلبي انه قال لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت
من بالمرصاد شيء وفي التفسير من المفسرين من خص هذه الآية اما بوعيد الكفار او بوعيد
العصاة اما الاول فقال الزجاج يرصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب واما الثاني فقال

الضحاك بمرصد لاهل الظلم والمعصية وقول المصنف لا رقادة العصاة يدل على انه اختار قول
الضحاك وقال الحسن بمرصد اعمال بني آدم وقال الزجاج اليه المصير فالآية على هذين الوجهين نعم المؤمنين
والكافرين قوله فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد يعني ان كلمة اما المصدرة
بالفاء انما تقع بين الكلامين يرتبط احدهما بالآخر ويؤذن بالبون البعيد بين الامرين المتقابلين
والكلام السابق لما اذن بانه تعالى اعد لعباده موقف حساب ودار جزاء يعاقب فيها العصاة المنهمكين
بشهواتهم ويكرم فيها المحصل الثواب من الطاعة وعمل الصالحات كان محصوله انه تعالى لبالمرصاد في
الآخرة ولا يطلب من عباده الا ما يسعدهم فيها ولا يحذرهم الا عما يرديهم فيها فاما الانسان فانه
لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي اكرمني وان لم يجد
هذه الراحة يقول ربي اهانني فيرى الكرامة في وجود هذه الراحة والهوان والذل في عدمها
ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
قوله فلا يريد الا ذلك الظاهر ان المراد بالارادة الطلب والاهوان انه لا يطلب من عباده الا
الطاعة لان حقيقة الارادة متعلقة بجميع الكائنات خيرها وشرها ولا يامر الا بما هو خير ورشد
قوله اختبره بالغنى واليسر يعني انه سمى كل واحد من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لانه اختبار
للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر ام يجزع
فالحكمة فيهما واحدة قوله وهو خبر المبتدأ الذي هو قوله ليتوازن قسما جواب لما يقال ان اما
التفصيلية لا بد ان تقع بعدها جملتان او اكثر على حسب ما قصد تفصيله ويصدر كل واحدة منها بكلمة
اما ويكون في كل منها حاجتها ولا بد ان يكون تلك الجمل متوازنة متعادلة بحيث اذا كان الواقع

الواقع بعد اما في الفقرة الاولى اسما كان الواقع بعد اما الثانية اسما نحو قولك اما الكافر فكفور
واما المؤمن فشكور وان كان شرطا او ظرفا فشرطا او ظرف مثل قولك اما اذا احسنت الي زيد
فهو محسن اليك واما اذا اساءت اليه فهو مسيء اليك وفي الآية قد وقع بعد الاولى اسم
وبعد الثانية ظرف فلا توازن بينهما ومحصول الجواب ان المبتدأ مقدر بعد اما الثانية
لتتوازن الفقرتان وذكره في الاول دليل على ان المقصود بالتفصيل هو المحكوم عليه
لا الظرف فوجب ان يقدر في الثانية ايضا ليصح التفصيل فيكون قوله فيقول ربي اهانني
خبرا لذلك المقدر كالاول والتقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه بالفقر والتقتير فكانه
قيل واما الانسان فقائل ربي اهانني وقت ابتلائه بالفقر وبذلك يحصل التقابل والتوازن
بين القسمين جعل قوله فيقول خبر المبتدأ لئلا يتوهم انه جواب اذا واذا جعل جوابا
خبر المبتدأ فانه لا يبقى جواب اما بلا فاء قوله لقصور نظره تنبيه على ان حكاية قوليه ذم
له وتجهيل حيث حكم بان التوسعة في الدنيا تفضيل له واكرام والتقتير اهانة والشقاء مطلق
مع ان التوسعة قد يكون سببا لقصد الاعداء بالقتل والنهب والوقوع في انواع العذاب
والتقتير يكون سببا للسلامة عنها وايضا توسعة الدنيا سبب لالف النفس و
كثرة اشتغالها بها وممارستها معها وذلك سبب لتأكد حب الدنيا وحب الانكباب
لصعوبة الانقطاع عنها والاستغراق فيها ومن استغرق فيها تنغلق عليه ابواب عبودية
الله تعالى فيكون راحة الدنيا وتوسعتها سببا للحرمان من النعيم الدائم والراحة الباقية
بخلاف اهل التقتير فانه يسهل له الاشتغال بعبودية الله تعالى لارتفاع ما يمنع عنه في حقه

ومن كان لله كان الله له فحصل له كرامة الدارين وايضا من كان محبة للدنيا اشد كان تالمه لمفارقتها
عند الموت اتم واكثر فيكون التوسعة اذن سببا للالم الشديد بعد الموت فكيف يكون تفضلا
والكثر اما فثبت ان كل واحد من ذينك القولين جهل وخطا سواء اعترف قائلهما بالبعث
والجزاء او جاحدا كان او جسمانيا او لم يعترف القول بان التوسعة اكرام اما من المعترف
فلان التوسعة كما يؤدي الى قصد الاعداء في الدنيا يؤدي ايضا الى الانهماك في حب الدنيا وهو
سبب للاستغراق فيها وللالم الشديد لمفارقتها واما جهل من قال بان التوسعة اكرام و
هو ممن ينكر البعث فللوجه الاول وهو ان التوسعة قد يكون سببا للالم الشديد في الدنيا
بقصد الاعداء واما جهل من قال بان التقتير اهانة وهو معترف بالبعث فلان في التقتير خلاصا من
قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا وكذا ان كانت القائل به منكرا للبعث فان قلت
جهل وكيف لا وقد سلم بالتقتير عن قصد الاعداء في الدنيا وقد ذكر في بيان كون القولين
جهلا وخطاء وجوه اخر احدها ان سعادة الدنيا وراحتها مع شقاوة الآخرة و
عذابها ليست بسعادة وان عناء الدنيا وضيقها مع سعادة الآخرة وسعة دار
ليست بعناء وضيق فلا ينبغي ان يقال ان الاول اكرام والثاني اهانة فان قلت مع ان
قوله الاول مطابق لقوله تعالى اكرمه متعلق بقوله ذمه على قوليه او ولاجل ان التقتير
قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد يفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب
الدنيا ذمه على كل واحد من قوليه مع ان قوله الاول وهو قوله ربي اكرمن قول
صادق مطابق لما حكى الله تعالى من ذاته المقدس انه اكرمه وانما الجهل الصريح والاعتقاد

والاعتقاد الفاسد هو ظن ان قلة الدنيا وتقتيرها اهانة الا ان كلا قوليه لما نشا من قصور
نظره واعتقاده ان الكرامة والهوان انما يكون بوجود الدنيا وعدمها ذمه ورده على كل قوليه
ورده عنه ان من كل واحد منهما قوله ولم يقل فاهانه وقدره عليه عطف على قوله فاكرمه
او ولاجل ان التقتير قد يؤدي الى الكرامة الدارين لم يقل فاهانه فانه كيف يصح ان يحكي
الله تعالى من نفسه انه اهانه بالتقتير مع ان التقتير قد يؤدي اليها وهو متضمن لجواب ما يقال
من انه تعالى قال في القسم الاول فاكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول في القسم الثاني فاهانه
فقدر عليه لكنه لم يقل كذلك فما وجهه واجاب عنه بوجهين الاول ان التقتير ليس باهانة
بل قد يؤدي الى كرامة الدارين والثاني ان التوسعة تفضل فيكون قوله اكرمه حقا

بخلاف التقتير فانه ترك التفضل فلا يكون اهانة فانه اذا اهدى احد اليك هدية قلت
اكرمني فلان بالهدية واذا لم يهد اليك شيئا لا يقول اهانني قوله وقرا ابن عامر
فقدر بالتشديد بمعنى ضيق عليه بان جعله على مقدار البلغة والمخفف بمعنى قتر والتقتير التضييق
في النفقة حكى الامام عن ابن عباس رض انه قال معنى قوله تعالى كلا اني لم ابتله بالغنا
لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب اهل السنة فمن محض القضاء
والقدر والمشية والحكم الذي تنزه عن التعليل بالعلل واما على مذهب المعتزلة المعتزلة
فبسبب مصالح خفية لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على
المؤمن لا لهوانه قوله او بل فعلهم اسوء من قولهم اشارة الى ان بل في هذا الموضع لترك
الاول والاخذ فيما هو اهم وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوء تغليبا

للافعال على الترك ووجه القراءة بتاء الخطاب تقدير قل لهم يا محمد كذا وكذا او النكتة
في تقدير قل هي الاشارة الى انهم غير لائقين لخطاب الله تعالى ويجوز ان يكون من قبيل الا
لتفات للمبالغة في الذم على وجه ابلغ من الذم على الغيبة ووجه القراءة بالياء في قوله
بل لا يكرمون ولا يحضون على طعام المسكين ويأكلون التراث اكلا لما ويحبون المال حبا
جما اسناد هذه الافعال الى ضمير الانسان المتقدم ذكره، وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد
في قوله اما اذا ما ابتليه ربه واكرمه ونعمه فيقول من حيث ان الانسان مفرد لفظا وجمع معنى لان
المراد بالجنس فبالنظر الى الاول ارجع اليه ضمير المفرد وبالنظر الى الثاني جمع ضميره وترك اهانة
اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه اشار بقوله بل لا تكرمون اليتيم والثاني دفعه عن
الثابت له في الميراث واكل ماله ظلما واليه اشار بقوله وتأكلون التراث اكلا لما اذا
فسر بطالب الجمع بين الحلال والحرام فانهم لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون
انصباءهم ومن لا يحض غيره على المسكين فانه لا يطعمه بنفسه اولى قال المعنى الى ان يقال
ولا يطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه ومن قرأ ولا تحاضون اراد ولا تتحاضون
بتائين فحذف تاء تتفاعلون كراهة اجتماعهما والمعنى لا يحض بعضكم بعضا على طعام
طعام جنس المسكين فحذف المضاف وهو الطعام واقيم المضاف اليه مقامه ودو
قلبت واو وراث تاء لانضمامها اولا كما في تخمة وتجاه قوله الى ان جمع اشارة الى ان
معنى اللم في اللغة الجمع يقال كتيبة ملمومة اي مجتمعة مضموم بعضها الى بعض وانه مصدر
جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل اي اكلا لاما اي جامعا بمعنى ذا جمع مثل تامر ولابن



ولابن ثم ان الجمع يقتضي شيئين فصاعدا والمراد بهما في الآية الحلال والحرام قال قال
الحسن انهم يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم ويجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم
وايضا المال الذي يبقى من الميت بعضه حلال وبعضه حرام وبعضه شبهة فالوارث
يلم الكل في الاكل اي يضم البعض الى البعض ويأخذ الكل فيأكله وعلى التقديرين الكل
الوارث اكل ذو جمع بين الحلال والحرام والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما والمقصود
ذمهم بشأن ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الآخرة قوله كلا ردع
لهم عن ذلك اي الذي ذكر من الافعال والترك قوله وانكار اي لا ينبغي ان يكون الامر
كذلك في الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأت من حل وحرم
وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة
على ايثار الحيوة الدنيا على الحيوة الابدية قوله وما بعده وهو قوله اذا دكت
الارض الى قوله يا ايتها النفس المطمئنة وعيد على ما صدر منه من قوله وافعاله وتروكه
بانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلث فانه يحصل له الندامة على ما صدر منه
يتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجواب
الدك الدق وقد دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض
وقال الخليل الدك كسر الحائط والجبل وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط واندك
سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء اذا كانت كذلك فمعنى الدك على قول
الخليل كسر كل شيء على وجه الارض من جبل او شجر او تل او بناء وذلك حين زلزلت

الارض فلم يبق على ظهرها شيء مرتفع بل ينخفض جميع ما عليها او يصير هباء منبثا وعلى قول المبرد
معناه اذا استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وسائر ما عليها من الابنية و
الجبال والتلال والاشجار حتى صارت كالصخرة الملساء وهذا معنى قول ابن عباس رض
تمد الارض يوم القيمة وهذا الدك متأخر عن الزلزلة لان انكسار الجبال والتلال وانهدام
الابنية والاشجار على قول الخليل والاستواء في الانفراش على قول المبرد انما يكون اذا
زلزلت الارض زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك حتى ينخفض ما ارتفع عليها من
الجبال ونحوها وامتلاءت الاغوار وصارت ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا فحينئذ
ان ظهرت آيات قدرته وآثار قهره الحق لما ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال
لان كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يمتنع ان يكون ازليا امتنع حمل قوله تعالى وجاء ربك
على معناه الحقيقي فلذلك فسره بما هو معنى مجازي له بان جعل جاء بمعنى ظهر وقدر المضاف
والمضاف اليه مثل حالة تعالى في ظهور آثار قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان
اذا حضر بنفسه فانه يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لا يظهر بحضور وزرائه
وسائر خواصه وعساكره بالسوية فاستعمل في الحال الاول ما استعمل في الثانية و
ذكر الامام في تأويل الآية وجوها آخر منها ان التقدير وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة
بواسطة الملك ومنها جاء جلائل آيات ربك فان يوم القيمة يظهر فيه عظائم الآيات
وجلائلها فجعل مجيئها مجيئا تفخيما لشان تلك الآيات ومنها ان جاء ربك بمعنى ظهر ربك
لان معرفته تعالى تصير ضرورية في ذلك اليوم فصارت هذه المعرفة كظهوره وتجليه للخلق فقيل

فقيل وجاء ربك اي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك قوله تعالى والملك صفا صفا والظاهر ان
الملك الم من ملائكة السموات وتنزيله للاستواء وصفا صفا حال من الملك مصطفين يصطفون
يوم القيمة صفوفا بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف اهل الصلوة وقيل هو ملائكة السموات
السبع فاذا نزل اهل كل سماء يوم القيمة كانوا صفوفا محيطين بالارض ومن فيها من الجن وال
الانس فيكونون سبعة صفوف اهل كل سماء صف على حدة قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم تمام الحديث انهم
يجرونها حتى تنصب من يسار العرش فتشرد شردة لو تركت فالمراد وبرزت و
واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها انتهى والى هذا المعنى اشار المحشي بقوله
مجعوله وبرزت الجحيم فان قيل ما ذكر في الحديث من قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم يدل على انفكاكها من مكانها
قلنا هذا ايضا يجوز والمراد انهم يباشرون اسباب ظهورها قوله لئلا ينافي قضيها قبله
بتقدير المضاف فانه لو لم يقدر لكان بين قوله يتذكر وقوله وانى له الذكرى تناقض حيث اثبت
له التذكر اولا ونفى ذلك عنه آخرا وبتقدير المنفعة ارتفع التناقض قوله تعالى يتذكر معاصيه
ان يتذكر ان ما هو عليه في الدنيا من ايثار حظوظ الدنيا على راحة الآخرة وترك النظر في آيات
الله التي تهدي به الى سبيل السعادة كان ضلالا ومعصية على ان يكون المعاصي جمع المعصية
بمعنى العصيان لا بمعنى ما به يعصى وان تذكرها معرفة انها ضلال وعصيان وهذه المعرفة تستلزم
الندم عليها قوله تعالى او يتعظ اي يقبل التذكير والارشاد الذي بلغ اليه في الدنيا ولم يتعظ به
ولم يقبل في الدنيا فيتعظ به في الآخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا الاتعاظ
يستلزم الندم على تقصيراته واذا حصل الندم فقد حصلت التوبة ثم انه تعالى لما نفى كونه نفعه

الذكر والتوبة نافعة له بقوله وانى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة
قوله الحيوة في هذه يعني الحيوة الاخروية التي هي ابدية غير منقطعة ان يتذكر هذا الانسان يومئذ
متمنيا وقائلا يا قوم ليتني قدمت وقت حيوتي في الدنيا لحيوتي هذه وانما قال لحيوتي ولم يقل لهذه
الحيوة اشعارا بان الحيوة كانها ليست الا الحيوة في الاخرة كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي
الحيوان اي لهي الحيوة قوله او وقت حيوتي في الدنيا على ان يكون اللام في الحيوة بمعنى في كما
في قوله تعالى جامع الناس ليوم قوله اعمالا صالحة اشارة الى ان مفعول قدمت محذوف
وقوله تعالى يقول يجوز ان يكون في موضع الحال ان يتذكر قائلا ولا يكون عطف بيان لقوله
يتذكر فان قيل قوله فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى
يدل على ان الكفرة لا حيوة لهم في الاخرة فكيف يصح حمل هذه الحيوة على الحيوة في الاخرة مع ان
هذه الاية في حق الكفرة قلنا معنى الاية يا ليتني قدمت اعمالا صالحة لتحصيل حيوة في الاخرة فلا
اشكال على ان الحيوة المنفية في الايات المذكورة ليست اصل الحيوة بل الحيوة النافعة
على معنى ان اهل النار في الاخرة كانه لا حيوة لهم [illegible] في هذا التمني دلالة على استقلال
العبد بفعله الخ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على استقلال العبد في افعاله وانها
معلقة بقصدهم وارادتهم فقط بحيث لا مدخل فيها لقدرة الله وارادته وانما المستند
الى قدرة الله وارادته عندهم وهو نفس قدرة العبد لا الفعل المرتب عليها ومع انهم لو كانوا
مجبورين في الطاعات مجبرين على المعاصي كما ذهب اليه بعض اهل الهواء والبدع والا لما صح
التمني والتحسر وتقرير الجواب ان المجبور على الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه بان يقول يا ليتني

كنت ممكنا منه فافعل فانال حظه فاذا صح ذلك من المجبور فلان يصح منه ان يقول يا ليتني كنت
مستقلا في اثبات الاعمال الصالحة فاثبت بها في الدنيا لهذه الحيوة الاخروية قال الامام في جواب
استدلال المعتزلة وجوابه ان فعلهم ان كان معلقا بقصدهم فقصدهم ان كان معلقا بقصد
اخر لزم منه التسلسل وان كان معلقا بقصد الله تعالى فقد بطل الاعتزال انتهى كلامه وفيه بحث لان
القول باسناد قصد العبد وارادته الى ارادة الله تعالى لا ينافي مذهب اهل الاعتزال كما اشرنا
اليه في تقرير استدلالهم فان القدرة والارادة ليست من الافعال الاختيارية للعبد
عندهم لكنها اذا خلقها الله تعالى في العبد كانت هي كافية مستقلة في افعاله الاختيارية واستقلال ل
العبد في تلك الافعال لا يستلزم استقلاله في القدرة عليها فان التمكن والاقدار ليس
الا من الله تعالى بالاتفاق فعلى هذا لا يكون القول بكون قصد العبد معلقا بقصد الله
تعالى مبطلا للاعتزال قوله والامر يومئذ لله تعالى الخ لما ورد ان يقال كيف يصح ان يعود ضمير عذابه
ووثاقه على الله تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيمة معذب سوى الله لكنه لا يعذب احد مثل
عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى انه لا يتولى عذاب
الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله يومئذ له ولا امر لغيره اصلا فيكون الحاصل نفي
تولي العذاب مما سواه لا نفي مماثلة عذاب الغير بعذاب الله تعالى كما توهم فالعذاب والوثاق
اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق والمعنى لا يكل احد التعذيب والايثاق في ذلك اليوم
الا الله وحده والامر كله له فيه قوله وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول
وعن ابي عمرو انه رجع اليه في اخر عمره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراهما بالفتح

وضمير عذابه ووثاقه للانسان السابق ذكره وقيل هو ابي بن خلف ولهذه القراءة تفسيران
احدهما لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتوغله في كفره
وفساده والثاني انه لا يعذب احد من الناس عذاب الكافر كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم وصف الله تعالى حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى معرفته وعبوديته
فقال يا ايتها النفس وتقدير الكلام يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس فاما ان يكلمه اكراما
له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك قال الامام الاطمئنان هو الاستقرار و
الثبات وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه احدها ان تكون متيقنة بالحق فلا يخالطها شك
وهو المراد بقوله ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس الآمنة التي لا يستفزها ان لا يخالطها
خوف ولا حزن ويشهد لهذا قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة وهو
الراضية قد تحصل عند الموت عند سماع قوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة و
تحصل عند البعث وعند دخول الجنة لا محالة وثالثها وهو تاويل مطابق للحقايق العقلية
فنقول القرآن والبرهان تعالى تطابقا على ان هذا الاطمئنان لا يحصل الا بذكر الله اما القرآن
فقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان فهو ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى في
سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصل الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى
علة طلب العقل له سببا آخر فلم يقف العقل عنده بل لا يزال ينتقل من كل شئ الى ما هو اعلى
منه حتى ينتهي ذلك الترقي الى واجب الوجود لذاته مستغن مطلقا عن جميع ما سواه فيقف
العقل عنده واطمأن اليه ولم ينتقل عنه الى غيره فثبت ان القوة العاقلة كلما كانت ناظرة

ناظرة الى شئ من الممكنات ملتفتة اليه استحال ان يستقر عنده واذا نظرت الى جلال
واجب الوجود وعرفت ان الكل منه استحال ان تنتقل عنه فظهر بذلك ان الاطمئنان لا
يحصل الا بذكر واجب الوجود فقول المصنف فان النفس تترقى الى دليل لحصول
اطمئنان النفس بذكر الله قوله فيستقر دون معرفته ان عندها وقوله تستغني به
عن غيره ان لا يطلب له سببا آخر وقوله او الى الحق متعلق بقوله اطمأنت قال الزجاج
او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك وقوله او الآمنة ان او هي النفس
الآمنة قال الامام نقلا عن القفال قوله تعالى ارجعي الى ربك وان كان امرا في الظاهر لكنه
خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله قال الله لها فادخلي في
عبادي وادخلي جنتي انتهى ولعل وجه العدول عن الحقيقة الى المجاز ان الاطمئنان انما يكون
بالرجوع اليه تعالى على ما اشار اليه المصنف في الوجهين الاولين في تفسير المطمئنة ف
فالخطاب بارجعي يكون طلبا لتحصيل الحاصل قوله الى امره او موعده رد لتمسك
المجسمة بقوله تعالى الى ربك بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية فلما اول بان يقال المراد الى
امر ربك او حكمه او ثوابه او احسانه او نحو ذلك سقط التمسك والجواب الحقيقي
ما اشار اليه آنفا من ان القوة العاقلة بسيرها العقلي تترقى من موجود الى موجود
ومن سبب الى سبب حتى ينتهي الى حضرة واجب الوجود فهناك انتهاء الغايات
وانقطاع الحركات والحاصل انه شبه الحركة في الكيف بالحركة في الاين ثم استعمل في المشبه
ما وضع للمشبه به قوله وشبه ذلك لقول من قال الى اشارة الى جواب منا ...

الآية على ان النفوس ازلية وتقرير الاحتجاج انه لا يقال للنفس ارجعي الى ربك الا اذا كانت
موجودة قبل هذا البدن وتقرير الجواب انه انما يشعر بتقدم الارواح على الاجساد وذلك
لا يستلزم كونها ازلية قديمة كما ذهب القدماء اليه قوله بالموت متعلق بقوله تعالى ارجعي
واشارة الى ان هذا الخطاب يوجد عند الموت وكون الخطاب المذكور عند الموت يشعر بتقدم
الارواح على الابدان وان لم يكن صريحا فيه لاحتمال ان يكون المعنى ارجعي الى ما وعدته من
الثواب وقوله وبالبعث عطف على قوله بالموت فيكون الخطاب المذكور عند البعث والقيامة
والمعنى ارجعي الى موعد ربك وثوابه قوله في زمرة المقربين هذا تفسير ثان لقوله فادخلي
في عبادي والمعنى على الاول ادخلي في عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي
معهم ونظيره قوله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وعلى الثاني انضمي الى عبادي
المقربين فتكوني في حالة شريفة وهي انعكاس انوارهم اليك فان الارواح الشريفة كالمرايا
المصقولة فاذا انضم بعضها الى البعض يظهر في كل واحدة منها كل ما ظهر في كلها فيكون ذلك الا
الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلي جنتي اشارة الى السعادة
الجسمانية قال الامام ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق
السعداء فادخلي في عبادي بالفاء الدالة على التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية
لا تحصل الفور بها الا بعد قيام القيامة الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو لا بالفاء وفيه
بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فينسحب حكم الفاء عليه ايضا سورة البلد
اجمع المفسرون على ان ذلك البلد هو مكة وفضل مكة معروف فان الله تعالى جعلها حرما

حرما آمنا وقال في المسجد الذي فيه ومن دخله كان آمنا وجعله قبلة لاهل المشرق والمغ ب
وامر بحجه وجعله كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بازائه وغير ذلك من
الفضائل ولاجتماع هذه الفضائل وغيرها في مكة اقسم الله تعالى بها اظهارا لمزيد فضلها وقيد
الاقسام بها بحلوله عليه السلام فيها اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله فان المتمكن الشريف
يجعل المكان معبد الله تعالى بانواع العبادات ولا شرف للارض افضل منه فكما ان شرف
المكان مستند الى شرف اهله فشرف الاهل ايضا مستند الى كونه معظما لله تعالى عابدا خاضعا ضعا
له فيكون القسم بالمكان من حيث كونه موضع عبادة الله وتعظيمه لا من حيث هو فيكون
القسم بالمكان ابلغ في تعظيم الله تعالى من القسم بالله تعالى واختار المصنف ان كلمة لا في
قوله لا اقسم بهذا البلد صلة حيث قال اقسم سبحانه بالبلد الحرام ولم يجعلها نافية
لقوله تعالى وهذا البلد الامين فانه تعالى اقسم فيه بالبلد الحرام فكيف يجحد القسم به وقد
اقسم به فهي صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وقد قال في ص ما منعك ان تسجد و
وقال الشاعر تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع اي ان يتقطع ولا
صلة وقيل هي نافية والمعنى لا اقسم به وانت مقيم به نازل فيه حال به بل اقسم بك وا
واشار في تفسير قوله تعالى وانت حل الى ثلاثة اوجه الاول ان يكون الحل نعتا بمعنى
الحال كالسقط بمعنى الساقط وعلى هذا يكون الجملة حالية واشار اليه المصنف بقوله
وقيده فان الحال قيد لعامله والثاني ان يكون بمعنى الحلال من حل الشيء ويحل حلا وحلا لا
والمعنى اقسم بهذا البلد الحرام عند جميع اهل الاديان حتى ان المشركين ايضا يحرمون ان

يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شوكة ثم انهم مع ذلك ومع اكرام الله تعالى اياك يستحلون ايذاءك
فيه ولو تمكنوا منك لقتلوك اذا اخرجوك منه فانت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه
لغيرك والجملة على هذا اعتراضية اقسم الله تعالى بهذا البلد وبما بعده على ان الانسان في كبد
واعترض بهذه الجملة المشتملة التي خلق الانسان معمودا فيها ان مثلك مع عظم حرمتك يستحل
فيه كما يستحل الصيد في غير الحرم وفيه ايضا تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم وبعث له على احتمال ل
اذاهم والثالث ان يكون الحل بمعنى المحلل له قال قتادة انت حل اي لست باثم وحلال لك ان
تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله فاحل
ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة و
غيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام
الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث
والجملة على هذا ايضا معترضة اقسم ببلده مرح على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدايد
واعترض بينهما بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية وقال وانت حل به فيما يستقبل فان قوله تعالى وانت
حل في معنى الاستقبال لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة و
واين هي من وقت نزولها ونظير هذه الآية في كون اللفظ للحال والمعنى على الاستقبال قوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون وقولك لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو احسن في كلام الله تعالى
لان المستقبل عنده كالحاضر بسبب انه لا يمنعه عن وعده مانع قوله وما ولد ذرية اي ذريته
ادم كما هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراده



افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم اذ هم من العجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
والتدبير والتبحر في العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض
خلق لاجلهم وامر الملائكة بالسجود لادم وعلمه الاسماء كلها وقد قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم
وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من
اولاد آدم وكانوا بهائم في صورة البشر كما قال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
الثاني يحتمل ان يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون قسما باو
لاده المؤمنين ويؤيد الثاني انه شرع في التشهد ان يقال كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
وهم المؤمنون قوله او محمد صلى الله عليه وسلم اي او الوالد آدم وما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين اقسم ببلده وباول ابائه آدم وهو آخر اولاد
آدم من الانبياء او الوالد ابراهيم وما ولد محمد عليهما الصلوة والسلام اقسم بمكة وبانيها
بانيها ومحمد مطهرها من الاصنام والمشركين وخاتم الانبياء والمرسلين وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه قال الوالد الذي يلد وما ولد الذي لا يلد فيكون ما في قوله وما ولد للنفي فلا بد من
اضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وحذف الموصول وابقاء صلته لا يجوز عند البصريين
وقيل المراد كل والد ومولود وهذا معنى حسن لان حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام
قوله والتنكير اي التنكير في لفظ والد للتعظيم ووجه التعظيم ان اريد به آدم او ابراهيم عليهما
السلام ظاهر وان اريد به الذي يلد مطلقا فلانه ولد الانبياء ولدلالته على كمال القدرة
وتنكير الشيء وابهامه يدل على ذلك الشيء بلغ من الفضل والكمال الى حيث لم يتصور ان يعبر

عنه بما يدل عليه بعينه وخصوصيته وانما الممكن ان يعبر عنه باسم جنس فهذا وجه دلالة التنكير على
التعظيم قوله وايثار ما الخ لما كان ما ولا من العقلاء مقتضى التعبير المذكور كان الظاهر ان
يقال ومن ولد يدل ما الا انه عدل الى ما لدلالته على الوصفية وبلوغ الوصف الى اقصى الغاية
بحيث يكون الموصوف عجيب الشان يجب التعجب به فان ما تستعمل في الصفات فاذا اردت
ان تسال عن صفة زيد تقول ما زيد والجواب عنه طبيب ام فقيه واذا سالت عن ذاته
تقول من هو فالجواب انه زيد وفي شرح الرضي ويستعمل ما في الغالب في صفات العالم نحو زيد
ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون
وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه السلام رب السموات
الاية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب موسى ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه
تعالى لا يعرف الا بالصفات وماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقالوا في قوله تعالى فانكحوا ما
طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة في صفة من يعقل
ومن لا تستعمل على هذا الوجه ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذي دل بها عليه
بالغ الى اقصى الغايات فتفيد في مقام المدح تفخيم شان الموصوف بانه مما يكتنه كنهه في الصفات
بذلك كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت ان يعلم انها وضعت هو
ضوعا عجيب الشان بديع الاوصاف فكذا ههنا اي اقسم بهذا البلد وبوالد وباي شيء ولد
ذلك الوالد انه مولود عجيب الشان فليحفظ هذا الكلام فانه ينفعك في تفسير قوله تعالى والسماء
وما بناها في سورة والشمس قوله تعالى في كبد منصوب المحل على انه حال من الانسان اي مكابدا


مكابدا اما قال الامام وهو في اللام متعلق بان تقول انما انت تعبا والنصب وانما انت في العناء
والنصب وفيه وجه اخر وهو ان قوله في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف
بالمظروف والكبد في الاصل مصدر ومعناه تالم الكبد يقال كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا
وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة قيل الكبد هو الاستواء
والاستقامة ولهذا قال ابن عباس رض في كبد اي قائما منتصبا والحيوانات الاخر تمشي منكسا
فهذا امتنان عليه بحسن الخلقة وقيل الكبد شدة الخلق والقوة ويؤيده ما روي عن الكلبي
انه قال نزلت هذه الاية في رجل من بني جمح يكنى ابا الاشد بن كلدة ولم يتعرض المصنف
للوجهين الاخيرين لان المناسب بهذا الموضع هو الوجه الاول حتى يكون الاية تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من قريش ثم ان فسر الكبد بالتعب والمشقة
يحتمل ان يراد بها شدائد الدنيا فقط او شدائد التكاليف فقط او شدائد الاخرة فقط او الكل
والظاهر من كلام المص انه حمله على الكل حيث جعل مبدا الشدائد ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها
الموت وما بعده وما بينهما كما يتناول شدائد الدنيا من قطع سرته والنفافة بخرقة مجوسية الارى
الاعضاء ومكابدة الختان واوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة
شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم في جملة مصائب كثيرة
لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحوها يتناول ايضا شدائد
التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في اداء العبادات كالصوم والصلاة
والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض

على الكل الى حسب الآن يحصل له موضع الاستقرار اما في الجنة واما في النار قال الامام ليس في هذه
الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فاللذة عند الاكل هي الخلاص عن الم
الجوع وعند اللبس هي الخلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان الا الالم او خلاص عن الم وانتقال الى
آخر وهذا معنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد ويظهر منه انه لا بد للانسان من البعث والقيمة
لان الحكيم الذي دبر خلقة الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتألم ابدا فهذا لا يليق بالرحمة وان
كان مطلوبه ان لا يتألم ولا يلتذ ففي تركه على العدم كفاية في هذا المطلوب وان كان مطلوبه ان يلتذ
فقد بينا انه ليس في هذه الحيوة الدنيا لذة وانه تعالى خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد ومحنة فا
اذن لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى لينال الانسان فيها ما خلق لاجله من اللذات و
والكرامات قوله لبعضهم ان البعض هنا يريد قريش قوله او يغتر عطف على يكابد لما سأل
الرسول صلى الله عليه وسلم وحمله على ان يصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان
في كبد اخذ في وعيدهم كان عليه السلام يكابد منه اكثر المكابدة او يغتر هو بقوته اشد الاغترار
صواب لما
او في وعيد كل واحد منهم فانهم كانوا متواطئين على انكار البعث والقيمة فلذلك كانوا يغترون
على ايذائهم فقال على سبيل الاستفهام الانكاري ايحسب ان لن يقدر عليه احد على ان يكون
ضمير يحسب لبعضهم او لكل واحد منهم اي ايظن ان الشان لن يقدر على بعثه ومجازاته احد
وارجاع ذلك الضمير الى الانسان على تقدير ان يفسر الكبد بالشدة في القوة ظاهر لان المراد
بالانسان هو البعض المعهود الذي كان هو يكابد منه اكثر المكابدة فيكون المعنى كما اذا رجع الى
بعض صناديد قريش واما اذا فسر الكبد بالمحنة والمشقة فيكون المراد بالانسان الجنس



الجنس ويكون المعنى ايظن ذلك الجنس مع انه خلق للامتحان والمشقة ان الشان لن يقدر على
بعثه ومجازاته بسوء افعاله احد بل يقدر على ذلك من خلقه كذلك ولما كان قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد تسلية له عليه السلام باعتبار كونه من جملة افراد الجنس المذكور كان قوله
ايحسب ذلك الجنس ان لن يقدر عليه احد تعريضا بالتقريع والتوبيخ للاشقياء المغترين
بقوتهم وكثرة اعوانهم بالعناد وخوضهم فيه ايضا وان في قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره
مخففة من الثقيلة بتقدير انه لن يقدر وهي بجملتها تسد مسد مفعولي الحسبان قوله والمراد ما
انفقه سمعة او مفاخرة اي انفقت فيما زعمت انه خير وتفضل ولم يكن الا سمعة او من مفاخرة او
معاداة او كل واحد ممن يؤذونه من ذلك المتوغلين في الايذاء سمى الانفاق اهلاكا من حيث
ان الانفاق لما لم ينفع كان انفقه هالكا ضايعا فان قيل كيف يجوز ان يرجع ضمير يحسب الثاني الى
جنس الانسان وانه يستلزم ان يرجع ضمير يقول اليه ايضا والجنس في الحكم الجميع وبعضهم
لم ينفق مالا اصلا او انفق مالا قليلا لا كثيرا قلنا لا نم الاستلزام المذكور لجواز ان يكون في
القائل بعضهم لا كلهم قال الامام ابو الليث يعني ابا جهل بن هشام يقول انفقت مالا
كثيرا في عداوة محمد عليه الصلوة والسلام فلم ينفعني ذلك وهو انه ضمن مالا لمن يقتل
النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انفق ماله يوم بدر ثم قال تعالى ايظن انه لم يره الله تعالى
سوء صنيعه ولا يعاقبه عليه قوله او بعد ذلك فيسأله عنه من اين كسبه واين
انفقه اشارة الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بعض نبيه لن يقدر عليه قوله
يعني ان الله يراه ويجازيه بمحصول انكار حسبانه انه لم يره احد حين الانفاق ولم يقل

ان الله رآه فيجازيه مع انه هو الظاهر 2 بل قال يراه لقصد الاستمرار والدوام دون قصد التجدد
فيحاسبه عليه بحصول الكفار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولن يوجد ذلك في كتابه
الذي كتبه الكرام الكاتبين اي بل يرى ذلك منه ويجده في كتابه يوم العرض والحساب فيحاسبه عليه
قال الامام قوله تعالى ايحسب ان لم يره احد فيه وجهان الاول قال قتادة ايظن ان الله لم
يسأله عن ماله من اين كسبه واين انفقه والثاني قال الكلبي كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله
تعالى ايظن ان الله تعالى ما راى ذلك منه فعل او لم يفعل انفق او لم ينفق بل رآه وعلم منه خلاف
ما قال قوله ثم بين ذلك ان يبين انه قادر عليه فانه تعالى لما حكى من ذلك الكافر حسبان ان احدا لا
يقدر عليه وانكر على ذلك الحسبان اقام الدليل على كمال قدرته بقوله الم نجعل له عينين الى قال
الحسن اهلكت مالا لبدا فمن الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على ان يخلق لك هذه الاعضاء
قادر على ان يحاسبك فان من قدر على ان يخلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قوولا وساير
الاعضاء السليمة والقوى القوية فهو على اهلاك ما خلق قادر وبما يخفيه المخلوق عالم فما
العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه فما الحجة في الكفر بالله مع تظاهر نعمه وما العلة في التعذر على الله
وعلى انصار دينه بالمال وهو المعطي له والممكن من الانتفاع به قوله واصل النجد المكان المرتفع وسمي
طريقا الخير والشر نجدين لانه لما وضحت الدلائل الدالة على تينك الطريقين صارتا كالطريقين
المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل كوضوح الطريق العالي للابصار
فسميا بالنجدين لذلك واليه ذهب عامة المفسرين قوله اي فلم يشكر تلك الايادي فان الشكر
انما يكون بمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الانس والجن بان يكون في جميع



جميع ما يفعله من الافعال البدنية والمالية وبتركه تابعا لامر الله وامر رسوله طالبا لمرضاته ومجتنبا
من سخطه لا بان يهلك مالا لبدا رياء ومفاخرة ومعاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
استعارها لما فسرناه به من الفك والاطعام الظاهر ان الفك والاطعام في الآية ليس تفسير النفس العقبة
بل لاقتحامها على ان يكون تقديره قوله وما ادريك ما العقبة وما ادريك ما اقتحام العقبة بتقدير
المضاف فان الفك والاطعام وان كان نفس العقبة ان طريقا صعبا للترقي من عالم الحس والخيال الى
عالم الانوار الالهية الا ان نفس العقبة اذا فسرت بهما فما اقتحامها فينبغي ان تفسر نفس
العقبة بمجاهدة النفس والشيطان وترك متابعتهما واقتحام العقبة هو الاعمال الصالحة المؤدية
الى تلك المجاهدة قوله وتقدير المراد بها الى جواب لما يقال من انه فلا لو وجد لا الداخلة على الماضي لا
مكررة تقول لا ابنك ولا خرجك وقال تعالى فلا صدق ولا صلى وفي هذه الآية ما جاء التكرير
فما السبب فيه وتقرير الجواب ان المراد بالعقبة متعدد لانها عبارة عن الفك والاطعام و
واذا تعددت العقبة بحسب المعنى تعدد اقتحامها لا محالة فيحصل بذلك دخول لا على اقتحم بدلا لم
وان لم يوجد التكرير لفظا والفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما من الآخر كفك القيد والغل
وفك الرقبة التفرق بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية وفك الرقبة قد يكون بان ينفرد الرجل
في عتق الرقبة وقد يكون بان يعطي مكاتبا ما يصرفه الى جهة فكاك رقبته ويحتمل ان يكون
المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه بان يشتغل في الاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة
وهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار فيكون قوله او اطعام الخ من قبيل التخصيص بعد
التعميم اشارة الى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث خرج به عن ان يتناوله اللفظ السابق

مع عمومه قوله مقبلات ان كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة من سغب يسغب اذا
سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع مجوعا جوعا او مجاعة وذي مسغبة
اي ذي مجاعة وقرب في النسب قربا ومقربة وترب الرجل اي افتقر كانه لصق بالتراب
تربا ومتربة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت
اثقل على النفس واوجب للاجر وهو كقوله واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى وقيد اليتيم
بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتيم والقرابة
فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم وقوله او مسكينا ذا متربة معناه مسكينا
قد لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه واحتج
الشافعي بهذه الآية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيئا والا لكان تقييده بقوله ذا متربة
تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين ويكون الفائدة
في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذي لا يجوز
هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل قوله وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما قال الامام حاكيا عن الفراء ان هذه القراءة
اشبه الوجهين بقانون العربية وذلك لان الكلام في قوله تعالى ثم كان فعل فاذا قرئ فك واطعم
على لفظ الفعل ايضا كان عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او
اطعام كان عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان قراءة
الرفع لا يستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون ثم كان في تلك القراءة معطوفا

معطوفا على اقتحم لا على فك وقد اشار المصنف الى جوابه في قوله الآتي عطفه على اقتحم او فك قوله
عطف على اقتحم فيه اشارة الى جواب آخر عن الاشكال الذي اجاب عنه آنفا بقوله والتعدد المراد
بما حسن وقوع موقع لم وتقرير الجواب الآخر ان لا الداخلة على الماضي وان لم يتكرر لفظا فهي
متكررة معنى لان قوله ثم كان من الذين آمنوا مع سابقه في معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن لكونه معطوفا
على اقتحم فلفظة لا الداخلة على اقتحم يكون داخلة في الذي عطف على اقتحم ايضا فتحقق التكرير
بحسب المعنى قوله لتباعد الايمان من العتق والاطعام في الرتبة يعني ان كلمة ثم لتراخي الايمان
عنهما في الرتبة والفضيلة لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من
الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها وقيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم
كان في عاقبة امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على
الايمان شرط الانتفاع بالطاعات قوله بالرحمة على عباده اي واوصى بعضهم بعضا
ان يرحم المظلوم او الفقير او يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه فان كل ذلك داخل في الرحمة
وهذا يدل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
والمحن التي يبتلي بها المؤمن ويمنعه من سلوك طريق الشر ما امكنه وبالجملة فقوله وتواصوا
بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على
خلق الله ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وفيه تحريض على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقيل الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع الخلق قوله
او بموجبات رحمة الله على ان يكون المرحمة مصدرا بمعنى الرحمة ثم يراد بها ما يوجب

رحمة الله تعالى للمغفرة وعدٌ مجازًا بطريق اطلاق اسم المسبَّب على السبب تنبيهًا على كمال
السببية والرحمة بهذا المعنى اعمّ من الرحمة بالمعنى الاول وهو الشفقة لمن يستحقها
من العباد ووجه العموم ظاهر وانّما اتم ايضًا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله
وتواصوا بالصبر على طاعة الله لان المراد بالطاعة الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة
الله تعالى كما يتناولها يتناول السنن والآداب المندوبة والمستحبة فلذلك لم يكتف بذكر التواصي
بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله ايضًا تكميلًا للترغيب في جميع ما هو من
معالم الدين وتحريضًا على التعاون في جميع ذلك قوله اليَمين او اليُمن يعني ان المراد باصحاب الميمنة اما
اصحاب اليمين وهم الذين يُعطَون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة وقد
وصفوا امثالهم في سورة الواقعة بانهم في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء
مسكوب الآية او اصحاب اليُمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال وهم الذين
يُعطون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالًا الى النار واما بمعنى اصحاب الشؤم
والشر والشقاوة وقد وصفهم الله بانهم في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك قوله
وتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة الموضوعة للاشارة الى الحاضر المشاهد وذكر الكفار بضمير
الغائب شأن لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عند الله في مقام
كرامته وفي كون اسم الاشارة للبعيد اشارة الى علو درجاتهم عن درجة الكفار لان درجة
من حضر عنده تعالى عالٍ من درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب اشارة الى انهم

باغين في سموم وحميم وظل الى انهم غُيّب عنه تعالى وفي درجة نازلة من درجة المؤمنين لان
درجة من غاب عنه تعالى نازلة من درجة من حضر عنده بلا شك قوله من اوصدت الباب
اذا اطبقته او صدا افعل من المعتل مثل اوصل يوصل واأصد ايضًا افعل الا انه من المهموز
الفاء مثل آمن يؤمن وهما لغتان بمعنى اغلقه واطبقه يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته
فمن قرأ مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت
ولكنه همز الواو الساكنة لضمة ما قبلها على لغة من يتخذ مذهبًا ويقول مؤسى حملته قراءة
من قرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر راوي عاصم يهمز الهمزة في هذا الحرف ويقول
لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته وكانه لم يحفظ من شيخه
الا ترك الهمزة وقد حفظ حفص عنه بالهمزة وهو اضبط الحرف من ابي بكر على ما نقله القراء
وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت كما
يقال من اوعد هو موعد وذلك موعد ويحتمل ان يكون من آمن آصد مثل آمن لكنه قلبت
همزة الساكنة واوًا لضمة ما قبلها للتخفيف كما خففت في يؤمن تقلبها واوًا قوله من او
صدت الباب اشارة الى ما قال مقاتل من ان الايصاد مما يتعلق بالباب فقوله تعالى عليهم نار مؤصدة
معناه عليهم نار ابوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد
الا انها جعلت صفة للنار وشعارًا باحاطتها بهم كما قال احاط بهم سرادقها فاصل التركيب
مؤصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانها تبعًا فيبان والوجه ان يكون
نار مبتدأ متخصصًا بالصفة وهي مؤصدة وعليهم خبر ان نار مطبقة كائنة عليهم انا نار

لا فرجة فيها فلا يخلص البشر ردّ ولا يخفف عنهم كرب سورة والشمس اقسم الله تعالى بعجائب
الاشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيبا في تزكيتها بالعلم والطاعة وتحذيرا من تضييعها بالجهل والمعصية
قوله وضحاها اذا اشرقت اي طلعت وانبسط نورها يقال اشرقت الشمس وشرق شروقا
اي طلعت واشرقت اي اضاءت قال مجاهد والكلبي ضحى الشمس ضوؤها اي نورها المنبسط على
وجه الارض وهو نقيض الظل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعيد
الطلوع والضحى فوق ذلك واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحى والضحوة مشتقان من
الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفي الحديث لا يقعدن احدكم بين
الضح والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت يدل عليه اضافة
الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اي وقت اشراق الضوء وقد يتلو طلوعه طلوع الشمس
الظاهر ان يقول بدل هذه العبارة تلا اخذه بغروب الشمس وذلك في ليلة الهلال فان تبعية
القمر للشمس في الطلوع لا يظهر نحسن لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب
فانها ظاهر مشاهد روى عطا عن ابن عباس ان القمر يتبع الشمس في الاضاءة فانه اذا غربت
الشمس في النصف الاول من الشهر يبقى القمر طالعا تابعا في الاضاءة ثم ابتدأ بالقسم بشمس النهار
ثم ثنى بالقمر الذي ينير بالليل قوله فانها تجلى اذا انبسط النهار النهار ضوء الليل فكما ان الليل
في الحقيقة ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل فكذلك النهار في الحقيقة
هو نور الشمس الذي يفسح ظل الارض ويمحو ظلمة الليل فكلما ازداد نور الشمس انبساطا و
وانتشارا ازدادت الشمس انجلاء الموثر وظهورا ولما كان زمان انتشار الاثر وهو زمان



زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء الشمس وكان الانجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه
اسنادا مجازيا مثل صام نهاره والا فليس النهار في الحقيقة مجليا ومظهرا للشمس وكذا الكلام
في اسناد تغطية الشمس الى الليل فان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها ما دام
وقوع في الليل صار الليل كانه حجبها وغطاها فاسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك قوله
ولما كانت واوات العطف الخ جواب لما يقال من انه لا يخلو من ان يجعل الواو والاولى
هي التي للقسم وما بعدها للعطف كما هو مذهب الخليل وصاحبه سيبويه فيلزم العطف على
معمولي عاملين مختلفين وذلك لان النهار المجرور في قوله والنهار اذا جلاها معطوف على
معمول واو القسم الجارة وهو الشمس والظرف الذي فيه معطوف على معمول فعل القسم الناصب صح
لاذ الاولى ولا يخفى انه عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين او يجعل كل واحد من الو
اوات المذكورة للقسم فيلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل
وسيبويه على استكراهه وقالا انما استكرهناه وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه
القسم الا وقد كان كل واحد من القسم على مقسم عليه على حدة وحاصل الجواب اختيار كون
ما بعد الواو الاولى للعطف ومنع لزوم العطف على معمولي عاملين مختلفين بل هو من
قبيل العطف على معمولي عامل واحد كما في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فان الواو فيه
ربط بكرا وخالدا على معمولي ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هاهنا وذلك لان الواو والاولى
القسمية كما تعمل الجر لنيابتها من الباء القسمية فكذلك تنصب الظرف الذي بعدها لنيابتها
فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر واثبت الواو مقامهما

فقدت مستدهما معًا فكذلك كانت جارة ونابة معًا فكان المجرور والظرف اللذين بعدها معمولي عامل واحد واذا عطف بالواو العاطفة عليهما لم يلزم العطف على معمولي عاملين فلا اشكال وهذا الجواب لا يجري فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما في قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو وهنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج الى جواب اخر مطرد وهو ان يقال لا نم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم او للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب حالا كان او استقبالا بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم من نحو العظمة فان الاقسام بالشيء تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحيها وبعظمة القمر اذا تلاها والقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف في قوله والصبح اذا تنفس معطوفان على معمولي عامل واحد فان قيل ماذكرته في تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم ينصب الظرف بها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم في الحال فلا يعمل في اذا لانه ظرف مستقبل والفعل الحال لا يعمل في الظرف المستقبل لان كون الفعل حاليا ينافي كونه مستقبلا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبا له قلنا فرق بين قولنا اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرق غدا والذي لا يجوز هو الاول لا الثاني فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس في المستقبل وسائر ما ما يترقب وجوده بعد زمان القسم قوله انما اوثرت ما على من لاراده معنى الوصفية لم يرد

ان كلمة ما يوصف بها نعتا نحويا كما يوصف بالذي فان ما ومن الموصولتين لا يوصف بهما بخلاف الذي بل المراد ان كلمة ما قد تستعمل في صفة من يعقل كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فالمعنى فانكحوا الطيب من النساء وكلمة من تستعمل على هذا الوجه وقوله القادر الذي بناها اشارة الى الصفة التي استعملت فيها ما وقد مر هذا البحث في ما يتعلق بتفسير قوله تعالى وما ولد في السورة المتقدمة فليرجع اليه قوله ولذلك افرد ذكره من بين المخلوقات ولم يكتف بالقسم بما هو خالق جميع الممكنات فهو نظير قوله تعالى والشفع والوتر على تقدير ان يفسر بالخلق والخالق فانه جواب عما يقال من ان قوله تعالى وما بناها ان كان قسما بخالق السماء فكيف يصح ذكره مع مخلوق في قرن بل ان يؤخر في الذكر عنه فانه تعالى لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره وقد روي انه عليه الصلاة والسلام نهى من قال الله ورسوله عنه وقال له قل الله ثم رسوله وتقرير الجواب ان افراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق جل ذكره عليه والاقسام بهما ليس لاستوائهما في استحقاق التعظيم تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل النكتة في ذلك الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته وينظر العقل بادراك جلال الله تعالى وعظمة شانه حسب ما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية منغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التي هي اكبر من الشمس واعظم منها فقد نبه على عظمة شانهما لما تبين ان الاقسام بالشيء تعظيم له ومن المعلوم انهما

حداب لما

لكلانها الوضعية وتغير احوالها من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالها واوصافها الى كبرياء صانعها فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى بقاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية فسبحان من عظمت حكمته وجلت كلمته وذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشياء الثلثة وهي السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانية وهو قسمان العلوية واليه الاشارة بقوله والسماء والسفلية واليه الاشارة بقوله والارض والمركب وهو اقسام واشرفها ذوات الانفس واليه الاشارة بقوله ونفس والطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبي بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة وان حملنا النفس على الجسد فتسويتها تعديل اعضائها بعضها ببعض على ما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احوال وبعض تلك القوى محركة وهي اثنتان القوة الشهوانية والغضبية وبعضها مدركة وهي عشرة الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لا محركة ولا مدركة وهي سبعة الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة

قوله تجرد الفعل عن الفاعل اي تجرد المنويّ في انّهما عبارة جميع هو اليه فان المراد آث التي في قوله وما بناها وطحاها وما سواها ان كانت مصدرية لا يكون المذكور الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بها من المعاني المصدرية وهي البناء والطحو والتسوية وشيء منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في ضمير السماها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله تجرد الفعل من الفاعل والشاهد الى ان سبق الذكر ليس بشرط في ارجاع الضمير اذا كان المرجع اليه لنباهة شانه

التناتع ما / ادتنبع من / الارض

شانه مما لا يغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها اي الارض قوله ويخل بنظم قوله فالهمها بقوله وما سواها فانه على تقدير ان يكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم ويكون التقدير ونفس وتسويتها فالهمها ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لا بعد في ان يجعل ما مصدرية ويكون فالهمها عطفا على سواها فيكون هو ايضا في تاويل المصدرية على معنى وتسويتها فالهامها فجورها فيكون الهمها كالافعال السابقة وهي بناها وطحاها وسواها في تجردها عن الفاعل فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ فيخل انتظام الالهام المصدرية بالفاء بما قبله على تقدير ان يكون ما مصدرية قلنا التسوية تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ بحكم الشرع والالهام عبارة عن بيان كيفية استعمالها في النجدين في هذا المحل وهذا البيان والتوقيف لا يتراخى عن التسوية بذلك المعنى نعم يزداد الالهام والبيان بحسب ازدياد القوى كيفية وذلك لا ينافي ترتبه على التسوية بلا مهلة قوله والهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وتوقيف حالهما من ان احدهما حسن والآخر قبيح والتمكين من اختيار ما شاء منهما وهو كقوله وهديناه النجدين وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من اكابر المفسرين ومطابق لمذهب المعتزلة حيث لم يفسر الهام الفجور والتقوى بايقاعهما في القلب وخلقهما فيه وقيل المعنى انه تعالى الهم المؤمن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره قال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختاره الزجاج والواحدي ذلك وهو صريح في انه تعالى خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره وقد ثبت

روي انه عم اذا قرأ هذه الآية وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها

من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما يعمل الناس ويكدحون فيه شيء قضي عليهم ومضى فيهم من
قدر سبق وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها
وعن زيد بن ارقم انه عم قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
ومما قد سبق ان الآيات الثلاث ذكرت للدلالة على كونه سبحانه وتعالى مدبرا للا
جسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة فلم يبق شيء مما في عالم المحسوسات الا
وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره وبعد ذلك لما اختلج في القلب ان
افعال الحيوان الاختيارية هل هو بقضائه وقدره وداخل تحت ايجاده و
تعرّفه فبين سبحانه وتعالى بقوله فألهمها فجورها وتقواها ان ذلك ايضا منوط بقضائه
وقدره فحينئذ ثبت ان كل ما سوى الله تعالى فهو واقع بقضائه وقدره وداخل تحت ايجاده
وتعرفه قوله انماها بالعلم والعمل الى غيرها واظهرها وشهرها بالفضائل العلمية والعملية
فان اصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع اذا علا وكثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد
لانه يرفع من قدره بالتعديل فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار
طاعاتهم ومعارفهم الخالصة الى الملأ الاعلى ويلازمون مواضع الطاعات ومحافل الخيرات
بخلاف اهل الفسق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سمات
يشهد وذلك بين عباد الله المقربين ويستعمل التزكية بمعنى التطهير ايضا وقد فسرت الآية
حيث قيل قد افلح مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل الطاعات ومجانبة
المعصية قوله وهو جواب القسم لم يجعل قوله كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يكون به

يؤكد به الوعد او الوعيد وهو ليس منهما بخلاف قوله قد افلح وقد خاب فان الاول وعد لاهل
التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم بالخسران وظهر بذلك ان المقصود من هذه السور
الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي قوله واصل دسى دسس من التدسيس وهو
الاخفاء ودسس مبالغة في دس ان اخفى قال تعالى ام يدسه في التراب واجتماع الامثال لما
اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء كما في تقضى البازي وما ذكره المصنف في تقرير الامام
النحوية والتوفيق يدل على انه جعل المنوي في زكاها ودساها راجعا الى من والمسند لكل واحد من
التزكية والتدسيس الى العبد لكونهما قائمين به كما يقال حيي ومات وغيرهما لكن مع
انه لا مدخل له في ايجادهما وقيل المنوي فيهما راجع الى الله تعالى والضمير المنصوب فيهما راجع
الى من وانث حملا على المعنى كانه قيل افلحت نفس او فرقة زكاها الله وقد خابت من
دساها ان اجهلها واخفاها في المعاصي من سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي ان
المعنى قد افلحت وسعدت نفس زكاها الله واصلحها وطهرها والمعنى وفقها للطاعة قال
الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسار من خذله لئلا يظن ان المرء يتولى ذلك من غير
قضاء سابق وقيل وقد خاب من دسيها ان دسى نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قوله
بسبب طغيانها اشارة الى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما
كان اشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان اشهر من الاول والى ان الباء
فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب
طغيانها ومجاوزتها الحد في الكفر ويحتمل ان يكون كذبت منزلا منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول

على معنى انما فعلت التكذيب بطغيانها وهذا هو القول المشهور وهناك قول آخر اشار اليه بقوله
او بما اوعدت به فيكون الطغوى اسماً للعذاب الذي اهلكوا به والباء للتعدية ومتعلق بالتكذيب
اي كذبت بعذابها اي بالعذاب الذي اهلكوا به ولم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم به من العذاب
وعبّر عن ذلك العذاب بالطغوى للمبالغة في كونه مجاوزاً عن القدر المعتاد فان الطغيان لغة
مجاوزة القدر وكان عذابهم صيحة مجاوزة للقدر المعتاد جعلت نفس المجاوزة للمبالغة
او بتقدير ذي اي بعذابها ذي الطغوى كما عبّر عنه بالطاغية في قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا با
لطاغية وهي صفة بمعنى النسب اي بصيحة ذات طغيان قال تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالعذاب الذي حل بها ثم قال واما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب
طاغية بمعنى ذي الطغيان قوله واصله طغيان يعني انه مصدر من المعتل اللام اليائي وهذا
على من يقول طغيت طغيانا بالياء وهنا لغة اخرى وهي ان يقال طغوت طغوانا فالواو
في الطغوى على هذه اللغة اصلية وفي الصحاح الطغوان والطغيان واحد قوله تفرقة بين الاسم
والصفة وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسماً قلبت ياؤه واوا وان
كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا
صفة بمعنى المستحيي من خزي الرجل اذا استحيى وريا من روي يروى وهو ريان وهي ريا و
صديا من صدي يصدى صدى اي عطش فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى
وزنا ومعنى وتقول في الاسم تقوى وبقوى في اسم الابقاء والانتظار من تقيت الله تقيا
فاذا وبقيته اي انتظرته وابقاء الياء على حالها في الصفة اولى لخفتها بعض السطاء بكونه

في ابقائها في الصفة الاسم
لان الصفة اثقل من الاسم
والياء اخف من الواو
وان قولكم



يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الآن قلب ياءه واوا لم يكون مخالفا للقياس اذ القياس
بقاؤها على حالها لكونها صفة قوله حين قام اي حين قام وانتهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من
بعثه اليه فان انبعث مطاوع بعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل والمعنى
كذبوا نبيهم بسبب طغواهم او كذبوا بذي طغواهم حين قام اشقاهم لعقر الناقة واختلف
في الاشقى الذي هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن
سالف ويضرب به المثل فيقال اشأم من قدار وهو اشقى الاولين ومن ذهب الى الثاني قال
انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر

والمؤنث تقول هذا افضل الناس وهؤلاء افضلهم والقول الثاني يؤيده قوله تعالى فكذبوه
فعقروها وكان يجوز ان يقال انبعث اشقوها كما يقال افاضلهم ويؤيد الاول قوله تعالى في سورة
القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان المباشر واحد معين قوله ومن مالاه اي
صاحبه وعاشره معه ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة يقال ملاك الله حبيبك اي متعك به ولعله — واعاشر معه بيان
معه زمانا طويلا وفي بعض النسخ ومن والاه اي صادقه وهو من الولي بمعنى الصديق قوله
لتوليهم العقر فانهم لما باشروا العقر وتعاونوا عليه كانوا اسوة شيئا وثبت من غيرهم وهم الذين
بعثوا هؤلاء المباشرين ورضوا بعقرهم فان درجة مجرد الرضى والبعث ادون من
درجة المباشرة قوله اي ذروا ناقة الله اشارة الى ان ناقة الله منصوب على التحذير
وان لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل وهي ان يذكر المحذر ثم يذكر بعده ما هو المحذر
منه اما بدوا والعطف نحو اياك والاسد او من ظاهرة نحو اياك من الاسد واياك من ان تحذف

او مقدرة نحو اياك ان تحذف بتقدير متى او يكون المحذر منه مكررا نحو الطريق الطريق والنوع
لا يكون على احد هذه الصور فلا خفاء في انه لا يجب فيه حذف العامل والمعنى ذروا عقرها واحذروا
او سقياها يعني شربها وهو نصيبها من الماء وقد تقدم ان تلك الناقة كان لها شرب يوم معلوم
ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك في امر مواشيهم فهموا بعقرها وايذائها
على صالح عليه السلام ما عزموا عليه قال لهم هي ناقة الله وآية الدالة على وحدانية الاله
وكمال قدرته وعلى نبوتي فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها
وان تستأثروا بها عليها وكان صالح يحذرهم حالا بعد حال من عذاب ينزل بهم ان اقدموا على
ذلك وكان هذا المعنى على هذا التفصيل والبيان متصورة في نفوسهم ومعلومة لهم بما حذرهم
بعد اولى فلذلك اقتصر وهم في بعض مرات تحذيره على ان قال ناقة الله وسقياها لان هذه
الاشارة كافية مع ما تقدم من البيان ثم ان الله تعالى بين ان القوم كذبوا نبيهم فيما حذرهم
منه وهو نزول العذاب عليهم ان مسوها بسوء وعقروها واسند الفعل الى الجميع لانه كان
برضاهم ومعاونتهم ولم يمتنعوا من عقر الناقة وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها وقول
المصنف فيما حذرهم منه اشارة الى ان قوله ناقة الله وسقياها انشاء لا يحتمل ان
التكذيب يرجع الى ما دل عليه الكلام فان معنى قوله اتركوا ناقة الله واحذروها انكم
ان لم تتركوها وحالتها تعذبوا فكذبوه في هذا الاخبار المدلول عليه بفحوى الكلام يقال د
ممت الناقة بالشحم اي طليت به واحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم تمسها الشحم ثم
كررت الدال للمبالغة في الاحاطة **قوله** او ثمود بالاهلاك يعني ان ضمير سواها يحتمل ان يعود



ان يعود الى ثمود باعتبار تأويلها بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار ويحتمل ان
يعود الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما في قوله اعدلوا هو اقرب فقوله فدمدم عليهم
الى يتبين احاطة العذاب بهم بحيث لم يتخلص عنه احد منهم الا انه اكد هذا المعنى بقوله
فسواها بمعنى اي لم يتخلص من تلك الدمدمة والاحاطة احد منهم فان هلاكهم كان بصيحة
جبريل عليه السلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا فاستوت على صغيرهم وكبيرهم **قوله** اي
عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود يعني ان ضمير فسواها ان رجع الى الدمدمة يرجع ضمير
عقباها ايضا اليها وان رجع الى ثمود فكذلك يرجع اليها ضمير عقباها الا انه لا بد من تقدير ما
يضاف اليه العقبى **قوله** فيبقي بعض الابقاء اي فيترحم بعض الترحم الجوهري ابقيت على



فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علي والاسم منه البقيا وكذلك
البقوى بفتح الباء وقال ايضا تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته قوله والواو
للحال فقوله ولا يخاف عقباها في محل النصب على انه حال من المنوي في فسواها الراجع الى
الله جل ذكره اي فسواها غير خائف عقباها صنع بهم من الاهلاك اي عاقبتها وتبعتها كما
يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل ما فعل بهم بحق وحكمة وكل من كان فعله على مقتضى الحكمة
فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل نفي خوف العاقبة عليه تعالى كناية عن الاستقصاء في مجازاته اتم
والمبالغة في الاستيصال لانه لا يلزم لعدم خوف عاقبة التعذيب وقد تحقق منهم
الآن ما يوجب تعذيبهم وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها
ومتوقفا عليها **سورة والليل** قوله اي يغشى الشمس او النهار بظلمته وبستره فاي

انه اقسم بالليل ثم بالنهار لما في تعاقبهما
من مصالح لا تحصى ولو كان الدهر كله
ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله
نهارا لبطلت الراحة فالمصلحة
في تعاقبهما على ما قال عز وجل من قائل
جعل الليل والنهار خلفة الآية

كان المفعول المقدر ليغشى احد الامرين كان عدم ذكره للعلم به فان قوله في السورة
المتقدمة والليل اذا يغشاها يدل على ان المفعول المقدر هنا هو وقوله الشمس يغشى الليل
النهار يدل على انه هو النهار وان كان كل ما يستره الليل بظلامه كان عدم ذكره للتعميم
قوله ظهر بزوال ظلمة الليل هذا المعنى على تقدير ان يكون المغشي النهار او كل ما يستره
الليل بظلامه وقوله او تبين بطلوع الشمس وهذا على تقدير ان يكون المغشي الشمس قوله
والقادر الذي خلق مبني على ان يكون كلمة ما عبارة عن صفة العالم وانما لتواغلها في الابهام
افادت ان الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ الى اقصى درجات القوة والكمال بحيث
كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام
صادق وقيل ما مصدرية اي وخلقه الذكر والانثى قوله ان سعيكم لشتى اشارة الى وجه
الاخبار عن السعي وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وبيانه ان
السعي مصدر جنس يشتمل لجميع افراده لا سيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع في المعنى فكانه قيل
ان مساعيكم الا مجال سعيكم بمعنى اعمالكم لشتى وهو جواب القسم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء
على ان اعمال عباده لشتى اي مختلف في الجزاء فمنكم مثاب بالجنة على اعماله ومنكم معاقب بالنار
او مختلف في نفسه متباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلال وبعضه هدى فمنكم مؤمن
ومنكم كافر ومطيع وفاجر والشتيت المتباعد المتفرق وشت الامر شتا وشتاتا تفرق
وامر شت وشتيت اي متفرق وقيل المختلف لشتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه ويقرب
من هذه الآية قوله تعالى لا يستوي اصحاب واصحاب الجنة أفمن كان مؤمنا كمن كان
النار

كان فاسقا لا يستوون وقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و
عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قوله تفصيل مبين لشتيت المساعي اي المساعي بيان
لتباعد الاعمال بحسب تباعد اجزائها المختلفة وعاقبتها المحمودة والمذمومة التي عبر عنها
باليسرى والعسرى قوله والمعنى من اعطى الطاعة والمعصية اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات
هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الاعطاء
جميع ما يتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية والمكافئ بما بذل النفس
بما ذا اتيانها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان ملابسة معصية وكل ذلك لما لم ينفع مع الكفر عقبه
بقوله وصدق بالحسنى اي بالكلمة الدالة على التوحيد والنبوة وهو كقوله او اطعام في يوم ذي
مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا قوله للخلة التي تؤدي الى يسر اشارة الى ان تأنيث
اليسرى لتأنيث موصوفها المحذوف وهو الخلة او الفعلة والخلة بالفتح الخصلة وبالضم
المودة والصداقة والاول انسب هنا ومثل الخصلة اليسرى بدخول الجنة لانه يؤدي
الى يسر وراحة والعسرى بدخول النار لتأديته الى العسر والشدة والاشارة الى ان
تسمية احدى الخصلتين باليسرى والاخرى منهما بالعسرى باعتبار مؤداهما وعاقبتهما
ان كل ما ادت عاقبته الى الراحة والامور المحمودة فذلك اليسرى ودخول الجنة كذلك
وكل ما ادت عاقبته الى التعب والردى فذلك العسرى كدخول النار فالمعنى من آمن بالله
تعالى واطاعه في ما امر به ونهى عنه نجعله متهيئا لدخول الجنة قيل دخول السين في قوله
فسنيسره على سبيل ترفيق الكلام وتلطيفه وهو من الله تعالى قطع ويقين والظاهر انه

للدلالة على ان الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية معظمه يكون في الآخرة التي هي امر متراخ
منتظر فادخلت السين وهي حرف التراخي ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر قوله نفي او
استفهام انكار واذا كان ما نافية يكون مفعول يغني محذوفا اي ليس يغني عنه ماله شيئا
وان كانت استفهامية لا يغني شيئا قوله هلك اي مات يقال ردي يردى ردى من باب
علم اي هلك وارداه غيره وتردى تفعل منه للمبالغة ويقال ايضا تردى في البئر وتردى
فيه اذا سقط فيها تهور من جبل ومنه المتردية ومعنى الآية اذا يسرناه لدخول النار
وتردى فيها فما يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شيء منه الى الآخرة التي
هي موضع فقره وحاجته يعني ان الذي ينتفع به الانسان هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء
الاموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه على ورثته قوله انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم شتى في العو
وبين ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى اخبرهم بانا اذا خلقنا الخلق للعبادة وجب
علينا بمقتضى الحكمة ان نبين لهم وجوه التعبد ونشرح ما يكون المتعبد به مطيعا مما يكون به عا
صيا اذ كنا انا خلقناهم لننفعهم ونرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا
في الحكمة وقضينا ما علينا من البيان والدلالة والترغيب والارشاد في التمهيد وذلك
قوله تعالى ان علينا للهدى وقد استدلت المعتزلة بهذه الآية على انه يجب التعبد على الله
شيء بناء على ان كلمة على للوجوب اشار المص الى جوابه بقوله بموجب فضلنا او بمقتضى
حكمتنا قوله او ان علينا طريقة الهدى على معنى ان من سلك الطريقة المبينة بالهدى والارشاد
اليها فانه يصل الينا ومن اراد الله فعليه قصد السبيل اي مستقيمه يقال السبيل قصد

وقاصد اي مستقيم فالهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثاني بمعنى الطريقة
المبينة بالهداية سميت باسم ما بينتها مجازا مرسلا قوله فنعطي في الدارين ما نشاء لمن
نشاء فيكون قوله تعالى ان لنا للآخرة والاولى في معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما
يلزم من الضمان لثواب الاهتداء في الآخرة فان من توحد بالمالكية في الدارين يملك ارشاد
الانام الى الحق في الدنيا وذلك انما يتم على الاهتداء في العقبى قوله او ثواب الهداية للمهتدين
فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه في الاولى الى الحق وان نثيبه على
اهتدائه في الآخرة وان سبقت الآية المذكورة للتفريع عليها قوله فلا يضرنا ترككم الاهتداء يكون
تعليلا للمقدر تقديره علينا ان نهديكم الى طريق مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
اساء فعليها لا تعود منفعة اهتدائه ولا مضرة تركه الاهتداء الينا لانا علينا وان اهتداكم لا يزيد
في ملكنا شيئا لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه الارتباط بين قوله ان
لنا للآخرة والاولى وبين ما قبله لا لبيان معناه لانه معلوم قوله لا يلزمها ملازمة
لما دل ظاهر قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا
الحصر يرده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلي النار على لزومها
والخلود فيها بمقابلة لشدتها وحرها بناء على ان لزومها هو كمال الصلي فيحمل عليه الاطلاق
ولا شك ان الصلي بهذا المعنى منحصر في الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشية الله تعالى
فاما ان لا يدخلها او يدخلها ولكن لا يلزمها بل يخرج منها وجعل حمل صلي النار على لزومها
وسيلة الى دفع ما يتوهم من ان منطوق قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى يخالف مفهوم

قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصليها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلي النار بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود في الكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم وهو ظاهر قوله يتزكى يقول يتزكى المستدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل صرفه في مصارف الخير فان التزكي سواء كان بمعنى الطهارة من الذنوب او بمعنى التزايد في الخير لا يكون الا لصرفه في مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له وان كان حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتيه متزكيا اي متطهرا من الذنوب او متزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله لا للرياء والسمعة قوله استثناء منقطع لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فهو منصوب على الاستثناء المنقطع والا بمعنى لكن اي لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه ان لا ابتغاء وجهه ولطلب التوجه اليه فهو في الحقيقة مفعول له وما اوتي من المال مكافاة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله تعالى امر به وحثه عليه قوله او متصل من محذوف وتقدير الكلام لا يؤتي ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فيكون المستثنى داخلا في المستثنى منه حقيقة على هذا المعنى وانما بني الكلام على الحذف والتقدير مع انه خلاف الاصل لاقتضاء المعنى ذلك فانه لما قال اولا



قال اولا يؤتي ماله متزكيا طالبا كونه زكيا عند الله او متطهرا من ذنوبه بناء على ان الحسنات يذهبن السيئات ونزه بذلك كون الايتاء للسمعة والرياء ثم اتبع ذلك بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فكانه قيل لا للمكافاة نعمة احد عنده ثم قال بعد ذلك الا ابتغاء وجه ربه تنبيها على ان يكون المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه فيكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له في هذا المعنى فيكون منع العلة مع المعلل المحذوف تاكيدا وتقريرا لمفهوم الكلام السابق قوله حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون اي كانوا متولين على تعذيبهم على الايمان يعني ان العبد المؤمن الذي اشتراه ابو بكر رض واعتقه ليتخلص عن ايذاء المشركين وتعذيبهم اياه على ايمانه ليس بمنحصر في بلال بل هم جماعة وبلال واحد منهم وكان بلال لا شيخ اي نخوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع عليه المشركون فاخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر ابو بكر رض ببلال وسيده امية بن خلف يعذبه فقال اتعذب عبدا على الايمان فاشتراه فاعتقه ثم اعتق معه على الاسلام قبل ان يهاجر ستة نفرا وبلال سابعهم فلما اعتقه قال المشركون ما اعتقه ابو بكر رض الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى فوعد الله تعالى بانه يرضيه في الاخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى وهو كقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة الضحى قوله الضحى اي لا بوقت ارتفاع الشمس بقرينة عطف الوقت عليه بقوله والليل وفسر في قوله والشمس وضحيها بضوء الشمس ونورها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة الضحى الى الشمس بمعنى وقت ارتفاع الشمس اليها لا معنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسر ثانيا بالنهار كلها ولفظ الضحى مجاز في هذا المعنى من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل وقرينة المجاز

مقابلة بقوله والليل اذا سجى فان المراد به الليل كله فناسب ذلك ان يراد بالضحى النهار كله كما فسر
الضحى بالنهار في قوله تعالى أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل
القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة بياتا اى بائتين
داخلين المنازل قوله سكن أهله اشارة الى ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى
زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال في اسناد سكون الظلمة في الليل اليه يقال ركد الشيء
اى سكن وثبت وكل ما ثبت في مكان فهو راكد فيه فسكون الليل اما عبارة عن سكون
اهله او عن استقرار ظلامه وكونه بحيث لا يزداد بعد ذلك قوله وتقديم الليل في
السورة المتقدمة الى ان لكل واحد منهما اثر عظيم في صلاح العالم فاقسم به الليل
فضيلة السبق والاصالة لان النهار انما يحدث بطلوع النيرة وبغروبه يعود الهواء الى
الحالة الاصلية فلذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور كما ان للنهار فضيلة الشرف
والاستنارة فقدم هنا والنهار وقدم الليل اخرى كالركوع والسجود في قوله اركعوا
واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين فان قيل ما السبب في انه ذكر
الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب عنه بانه وان كانت
ساعة من النهار لكنه يوازي جميع الليل كما ان محمدا عليه السلام يوازي جميع الانبياء عليهم السلام
وبان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان
هموم الدنيا أدوم من سرورها فان للضحى ساعة والليل ساعات روى ان الله تعالى لما خلق
العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا أمطر فاجيبت ان أمطري الهموم و
والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد
ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا أمطر فاجيبت ان أمطري السرور
ساعة فلهذا السبب ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور ساعة قليلا ونادرا
قوله لترك الاستثناء روى ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر محمد عليه السلام
فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة
اهل الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه
المشركون فسألوه عنها فقال عليه السلام ارجعوا سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه
الوحي الى ان نزل جبرائيل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا ولم تقول
الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى و
روى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله عليه السلام عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه
ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى رسول الله عليه السلام ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه
ففعل ذلك ثلثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان عليه أسائل انت يا فلان
ام تاجر فتأخر عنه الوحي اياما لذلك و روى ان خولة كانت تخدم رسول الله عليه السلام
فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي عليه السلام اياما لا ينزل
عليه الوحي فقال عليه السلام يا خولة ما حدث في بيتي ان جبرائيل عليه السلام لا يأتيني قالت خولة
فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله عليه السلام ترعد لحياه وكان اذا نزل

عليه الوحي استقبلته الوعود فقال يا خولة ما دثرتيني فانزل الله هذه السورة فلما نزل
جبرائيل عليه السلام سأله النبي عليه السلام عن سبب تأخره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا
صورة واختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي قال ابن جريج اثني عشر يوما وقال الكلبي
خمسة عشر يوما وقال ابن عباس خمسة وعشرين يوما وقال السدي ومقاتل اربعين
يوما فان قيل ما ذكرت من الروايات يدل على ان احتباس الوحي عنه كان عن قلة فما
وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الافضل و
الاولى فلا يصير عليه السلام بذلك ممقوتا ولا مبغوضا وروي انه عليه السلام قال لجبرائيل عليه السلام
ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبرائيل عليه السلام كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل
الا بامر ربك قوله قراءة الجمهور بتشديد الدال من ودع على انه من التوديع واصله عند الوصل
اي ما قطع عنك وحيه قطع التارك وانما اخر لحكمة والتوديع اصله الودع وهو الترك
وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ما ودعك
بالتخفيف وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي يدع ويذر قال المبرد لا يكادون يقولون
ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك وقد استعملوا اضطرارا
لعدم التغير قوله كأنه لما بين انه عليه السلام لا يزال يواصله بالوحي والكرامة ذكر في وجه
اتصال هذه الآية بما قبلها امرين الاول انه لما نزل قوله ما ودعك ربك وما قلى وكان
ذلك في معنى ان ربك لا يزال يواصلك بالوحي وانواع الكرامات في الدنيا وحصل له عليه السلام
بهذا تشريف عظيم فكأنه استعظم هذا التشريف فقيل له عليه السلام وللآخرة خير لك من

من الاولى اي هذا الشرف عظيم لكنه وان كان عظيما الا ان ما لك عند الله في الآخرة
خير واعظم والثاني ان يكون المعنى لا يظن ان ربك ودعك وتركك فلذلك قطع عنك وحيه
اياما بل كل حال تأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية
فان من جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي مدة بعد تواتره وتعاقبه فقال الاعداء فيك
ما قالوا وقلنا في ردهم مؤكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه الكرامة الموعودة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتعاقبه فالآخرة
في هذا الوجه ليست من الآخرة المتعارفة المقابلة للدنيا كما في الوجه الاول بل هي بمعنى
الحالة الآتية كأنه وعده بانه يؤتيه كل يوم عزا الى عزه وشرفا وجلالا خيرا
مما كان في اليوم السابق وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان انقطاع الوحي لا يجوز
ان يكون مبنيا على انه تعالى تركه وعزله عن النبوة غاية ما في الباب ان انقطاع الوحي
يدل على الموت بناء على حصول الاستغناء عن امر الرسالة لبلوغ الحكمة فيها الى غايتها فان
فهمت منه قرب الموت فالموت خير لك واللام في قوله وللآخرة خير لك من الاولى
لام الابتداء المذكورة المضمون للجملة وكذا اللام في قوله ولسوف يعطيك ربك الا ان
لام الابتداء لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف
يعطيك وليست بلام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد
هكذا قال الزمخشري قوله لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد قد استثنى منه
النحاة صورتين احديهما ان لا يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس كما في الآية
وكقولك والله لسأعطيك والثانية ان لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كما في قوله تعالى
لإلى الله تحشرون فاذن يجوز ان يكون كلا اللامين لام جواب القسم بان اقسم

على اربعة اشياء اثنان منفيان وهما نوديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان وهما كون الآخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ربه ويرضيه قيل على الزمخشري كيف يكون اللام لام الابتداء ولام الابتداء اذا دخلت على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس واجيب بانه نص في ترجمه ان اللام قد تخلع منها دلالتها على الحال وتكون مجردة للتاكيد و اقول كيف يصح ان يقال ان اللام هنا داخلة على المضارع وقد ذكر ان تقدير الاية لانت سوف يعطيك **قوله** وعد شامل والشموم مستفاد من حذف المفعول (؟) لما عطيت **قوله** ويجدك من الوجود بمعنى العلم اي الم يعلمك الله يتيما فآوى اي جعل لك مأوى تأوي اليه يقال آوى فلان الى منزله يأوي اويا على فعول وآويته انا ايواء والمأوى كل مكان يأوي اليه شيء ليلا ونهارا يقول الله كم حين كنت ضعيفا غضا ما تركك بل ربيناك ورقيناك الى حيث صرت مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لما خلقت الافلاك اتظن انا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك وكان يتيما ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفي وام رسول الله حامل به ثم ولد رسول الله عم فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله عم ابن ثمان سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عم ابا طالب كانا من ام واحدة وكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله عم بعد جده الى ان بعثه الله تع للنبوة فقام بنصرته مدة مديدة ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله عم يتيم البتة فاذكره الله تعالى هذه النعمة **قوله** عن علم الحكم والاحكام اي وجدك غافلا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين وروي

روي انه عم خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس عليه ما يستحق فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة يقال عال الرجل يعيل عيلة وعيولا اي افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اي من ينفق عليهم فيكون العائل ذو العيال على الطلوع على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل هنا الفقير ويؤيده ما وجد في مصحف عبد الله ووجدك عديما فاغناك اي اغناك بما حصل لك من ربح تجارة سفر الشام مع ميسرة وبمال خديجة وبتربية ابي طالب وبمال ابي بكر رض ثم امره بالجهاد فاغناه باعانة الانصار ثم امره بالجهاد فاغناه بالغنائم **سورة الم نشرح لك** الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اي واسع وفسح له في المجلس اي وسع له وتفسحوا في المجالس اي توسعوا **قوله** فكان غائبا حاضرا استدل على انشراح صدره المطهر عم فانه لما توسع صدره بعد ما كان ضيقا متحيرا لمناجاة مولاه متجردا عما سواه كان حاضرا في بساط قربه مستفيضا لما اوحي اليه من ربه وغائبا عنه من حيث تصدره لدعوة الخلق وتكميل الناقصين وافاضتهم من استفادة من عالم القدس فكان بلوغه عم الى غاية القصوى في كل واحد من معاني الاستفاضة والافاضة نتيجة انشراح صدره لتحمل ما يتعلق بالنبوة في الجهتين وعلى قوله او الم نفسح او دعا فيه اي يكون انشراحه نتيجة اكمالها بعلوم النبوة بان يكون اتساع المحل كناية عن كثرة ما حل فيه وتضييقه كناية عن قلة بعض طرقه عنه وكذا على قوله او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك

ولو ابين للحضور والغيبة بالنسبة الى الخلق لكان اظهر كما قيل كاينين بالجثمان في اوطان الحدثان وباينين عنها بقلوبهم على معنى انهم كان غائبا عن الخلق بقلبه حاضرا بينهم بجسمه وظاهره فكان النبي عم الى الخلق يدعوهم لا يعوقه عن الانفراد بلذة المناجاة والاستسعاد بما فتح له من المعاملة بمولاه فهو ابدا في مقام المعية والحضور وانما وصف بالغيبة نظرا الى التفاته الى الخلق ظاهرا منه

فان توسيع الصدر يكون بتيسير تلقي الوحي والغشي فان صدره عم كان يضيق عن تلقي الوحي
في بادئ الوحي ويتولى عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني ودثروني فشرح الله
صدره بتيسير ذلك عليه قوله وقيل انه اى قوله الم نشرح لك صدرك اشارة الى ما روى
ان جبرائيل عم اتى رسول الله عم في صباه اى حين كان عند حليمة في السنة التي اعادته فيها الى عبد المطلب
وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما فيه من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب
قد ملئ علما وايمانا ثم وضعه في قلبه فوضعه في صدره قوله او يوم الميثاق ان الظاهر
ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج فانها ليلة اوحى الله تع فيها الى عبده ما اوحى ووصاه
بما شاء ويؤيده ما روى ان هذا جرى ايضا بالبراق ليلة المعراج والقاضي عبد الجبار
طعن في هذه الرواية من وجوه احدها ان هذه الواقعة انما وقعت
في حال صغره عم وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم وثانيها ان تأثير الغسل في ازالة
الاجسام والالطاف والمعاصي ليستا من قبيل الاجسام فلا يؤثر الغسل فيها وثالثها انه لا يصح
ان يملأ القلب علما بل الله يخلق فيه العلوم والجواب عن الاول ان تقدم المعجز
على زمان البعثة جائز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول عم كثير واما
الثاني والثالث فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول عم
علامة لميل القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبة
صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوى الطبيعية اليها
فكان ذلك كلون تجرد الملائكة عن القوى النفسانية والطبيعية علامة دالة على عصمتهم
وايضا فان الله تع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد كذا في التفسير الكبير والمص اشار الى الجواب عن

عن طعن القاضي في هذه الاية بما حاصله ان المراد من المروي ليس ظاهره بل هو
رمز في توسيع الصدر وتوسيعه تعالى ولعله بما روى اشارة الى نحو ما سبق من تفسيح الصدر
قوله مبالغة في اثباته وجه المبالغة ان الانكار في معنى النفي ونفي النفي اثبات فكان المعنى قد
شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفي انتفائه اثبات له بدليله فكان ابلغ من اثباته ابتداء قوله
ولذلك عطف عليه قوله ووضعنا اى ولاجل ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه ووضعنا لانه
بهذا الاعتبار يكون عطف الجملة الخبرية على مثلها والجنث بالكسر الحنث ووصف الحمل بانه انقض ظهره
فانه مثل في ثقله لانقض اى صوت ونقيض الرحل صريره عند تداعي اجزائه الى الانفكاك
ووضعه حطه وعفوه فهو كقوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيكون الوزر
استعارة والوضع ترشيحا لها اشبه ما وقع منه قبل البعثة من فرطاته الواقعة سهوا ا
وخطأ ومن ترك الافضل باتيان الفاضل بدله بالعبء والثقيل فاطلق عليه اسم المشبه
وهو الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحطة لعل قوله تع الذي
انقض ظهرك يدل على عظم الذنب فكيف تحمله على ترك الافضل والاولى سهوا وخطأ
قلنا زلات الانبياء عليهم السلام وصفت بهذا التعظيم مع كونها ادنى درجة من الصغائر
الذي ارتكبها الامم لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها فان خجلتهم
بورود العتاب عليهم في ذلك يثقلها عليهم بحيث الدرجة ويؤده عليهم من المشقة
قوله او جهله بالحكم والاحكام عطف على قوله ما نقل ولعله اراد بالحكمة العلم المتعلق
بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية
وفي التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار (اليه)
بقوله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح (الاعمال)

والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليه حسن
انتظام احوالهم ووضع هذا الجهل عنه بان علمه ما لم يكن يعلم قوله او حيرته اي والمراد
من الوزر والثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك انه عم كان ينظر بكمال عقله الى
عظم نعم الله عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحيوة والعقل و
انواع النعم فيثقل عليه نعم الله وكان ينقض ظهره من الحياء لانه عم كان يرى ان نعم الله
لا تنقطع وما كان يعرف انه كيف يطيع ربه فلما جاءت النبوة والتكاليف وعرف
انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه في كل حياته وسهلت عليه تلك الاحوال فان
اللئيم اذا اسبغ عليه النعم المتظاهرة لا يستحي من عدم مقابلتها بالخدمة بخلاف
الانسان الكريم النفس فانه اذا ذكر الانعام عليه ولم يقابلها بنوع من انواع الخدمة
فانه يثقل عليه ذلك جدا بحيث عيبه الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل عليه ذلك
وطاب قلبه قوله او بتلقي الوحي او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع
في اول ملاقاة جبرائيل عم حين اخذته الوعكة فكاد يرمي نفسه من الجبل من شدة
الفزع ثم ان الله تع وضع عنه ثقل الهيبة وقوى قلبه حتى الفه وصار بحالة كاد
يرمي نفسه من الجبل لشدة اشتياقه اليه قوله او من ابرامهم وتعديهم في ايذائه
وكان ذلك يثقل عليه جدا في الاوائل حتى كاد ينقض ظهره ثم خف الوطأة من ذلك
بتقوية الله تع حتى صار بحيث كانوا يؤذونه في وجهه وهو يقول اللهم اهد قومي
قوله فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك اشارة الى وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها
فانه تع لما ذكر نبيه عم ما فعل به في ابتداء امره من شرح صدره ووضع وزره ورفع
ذكره فانه عم في ابتداء امره كان غير عالم بشيء مما يعلمه الآن فوسع صدره بما اودع فيه

بما اودع فيه من الحكم وكان عليه من الاوزار ما ثقل عليه فوضعها عنه وكان خامل
الذكر فرفع ذكره اتبع ذلك بقوله فان مع العسر يسرا اي فتيقن على ذلك بان الاحوال
وتيقن بان كل حال من الاحوال الصعبة لها انجلاء وانكشاف كما ان لكل زمهرير
له ربيع واعتدال فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك فقوله تع فان مع
العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في الاستدلال بالجزء والكل كما تقول
اما ترى الى الانسان والفرس والغنم كلها يحرك فكه الاسفل عند المضغ فاعلم بذلك
ان كل حيوان يفعل ذلك قوله والمعنى بما في ان من معنى المصاحبة المبالغة في معاقبة
اليسر للعسر فانهما متضادان لا يجتمعان فلا بد من توجيه كلمة مع في هذا المقام قوله
تكرير للتاكيد او استيناف اي يحتمل ان الجملة الثانية وهي قوله ان مع العسر يسرا يحتمل ان
تكون تكريرا للاولى كقوله ويل يومئذ للمكذبين فيكون الغرض من تكريره تقرير معناها
في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في مثل جاءني زيد زيد لذلك ويحتمل ان تكون
الجملة الثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر آخر وذلك ان الاسم اذا ذكر معرفا
ثم اعيد ذكره معرفا كان الثاني هو الاول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين
وذلك العسر المعهود الذي كانوا فيه او جنس العسر الذي يعلمه كل احد والنكرة
اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تع كما ارسلنا الى
فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول
وكذا الثاني هنا منكر يحتمل ان يكون عين الاول والحال ان الحمل كان ايضا هو الاول
فيكون قوله تع ان مع العسر يسرا تكريرا للاول او كررا له وان يكون غيره فيكون الكلام استئنافا
مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسرين والاستيناف ارجح لما علم من فضل التاسيس على التاكيد

وقد ذكر التنكير للتعظيم كانه قيل
ان مع العسر يسرا عظيما اي يسر

ولذا قيل اذا ضاق بك الامر ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا فكرته فافرح

وكلام الله تعالى محمول على ابلغ الاحتمالين واوفقهما والمقام مقام التسلية والتأنيس
فالحمل عليها اولى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت
يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكذا قرأ هذه الآية وقوله تعالى متعلق قوله
فاذا فرغت فانصب بما قبله انه تعالى لما عدد عليه النعم السالفة ووعده بالنعم
الآتية لا جرم بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة قال الحسن في تفسيره
اذا كنت صحيحا فانصب يعني اجعل فراغك نصبا في العبادة ويدل عليه ما روي
ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال الفارغ ما امر بهذا انما قال الله تعالى
فاذا فرغت فانصب وبالجملة امره الله تعالى ان يواصل بين بعض العبادات وبعض
وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى سورة
التين قوله المراد بهما جبلان لا نفس هاتين الثمرتين قال ابن عباس رضي الله عنه هما جبلان
من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين
والزيتون وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس
ولما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم
اكتفى بذكر التين والزيتون وقيل المراد بالتين والزيتون بلدان فقال كعب
التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل التين الكوفة والزيتون الشام
وسينين وسيناء اسمان للبقعة التي حصل فيها الجبل المسمى بالطور وهو الجبل
الذي كلم موسى عليه السلام اضيف ذلك الجبل الى البقعة التي حصل هو فيها اي وجبل الموضع
المسمى بسينين امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما
يحفظ الامين ما يؤتمن عليه وقيل من حفظ ان الله تعالى يحفظ العبد واحسن به والتقويم

والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في التأليف والتعديل يقال قومه تقويما
فاستقام وتقوم وذكروا في حسن تقويمه انه تعالى خلق كل ذي روح منكبا على وجهه الا
الانسان فانه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده وقيل انه تعالى خلقه في الكمال
عقل وفهم وادب وعلم وبيان والظاهر ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة
والثاني الى الصورة الباطنة وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر التقويم بحسن الصورة
فانه حكي ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من
القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم قال لا يحنث فقال خالفت شيوخك
فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال
فاعطنا في الآخرة احسن الفعال وهو العفو عن الذنب والتجاوز عن العيوب
وقيل كان ان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها
يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه
وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر
واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر
قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليه فانه كان ساكتا فقال له
المنصور ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا
شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك
وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك كذا في تفسير القرطبي

قوله ونظاير ساير الممكنات اي وبان خص بالسماء عدمثال كل ممكن لان مقابله
الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد بالاحاد فلذلك قالت المعتزلة الفلاسفة انه العالم
الاصغر اذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه قوله بان جعلنا من النار يعني ان قوله
ثم رددناه الخ كناية عن جعله من اهل النار لان اقبح الصور صورة اهل النار وقوله
اسفل حال من الضمير المنصوب في رددناه والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة
تلك الخلقة الحسنة ان رددناه اي صرفناه عن طريقه في حسن صورته حال كونه اسفل خلقا
وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار قوله اوالى اسفل السافلين
وهو النار على ان يكون اسفل صفة لمكان محذوف اي الى مكان هو اسفل امكنة السافلين
وعن مجاهد ثم رددناه الى النار والنار اسفل سافلين وعلى الوجهين الاستثناء
في قوله الا الذين امنوا متصل والمستثنى منه الضمير المنصوب في قوله ثم رددناه
لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد به الجنس وقيل هو اي اسفل سافلين
ارذل العمر على معنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين في اسفل
من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس ظهره و
بصره وسمعه فالاية على هذا نظير قوله ثم نرد الى ارذل العمر وحاصل المعنى
على الاول ان الكفار تتغير صورهم في النار وعلى الثاني تتغير صورهم بالشيخوخة
والهرم ويكون الاستثناء على الثاني منقطعا لانه لم يخرج بالا احد من المذكورين
قبل من الحكم الذي اثبت لهم بل اثبت للمؤمن بعد الا حكم لم يثبت للواقع قبله لكن
الا بمعنى لكن والذين امنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر خبره ودخول
الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والفاء على الوجه الاول للتعليل اي لا تتغير صورهم في النار

في النار لانهم مثابون في الجنة قوله فاي شيء يكذبك فيما اخبرت به من البعث والجزاء
بعد ظهور هذه الدلايل الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان من الماء المهين وحسن
ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى
ان يبلغ الى ارذل العمر لا شك انه قادر على البعث والحساب والجزاء بل كونه احكم الحاكمين
يقتضي ذلك فانه ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز من الحكيم وان خلقها
لحكمة عايدة اليه يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه خلق
الانسان لحكمة عايدة اليهم وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها دار بلاء وامتحان لا دار
الراحة والجزاء فتبين انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى وبعد هذه الحيوة من نشأة
اخرى يثاب الانسان باحسن ما كانوا يعملون فالقول بوجود الاله الكريم الحكيم القادر يوجب

على العاقل ان يقطع بالبعث والجزاء كما تقرر مرة قوله فالمعنى فما الذي يحملك على هذا
الكذب ايها الانسان المصر على انكار الحشر فان من اخبر عن الواقع بانه لا يقع فهو كاذب
في انكاره واخباره والاستفهام لتوبيخ الانسان الكاذب بسبب تكذيبه بالبعث والجزاء
قوله كصنع لما سبق من انه خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر تقرير لله تعالى
البر الذي فعل ذلك باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا اي اليس ذلك بالغ اتقانا للامور
من كل متقن لها على ان الحكيم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل
العلم ومن ذا شأنه كيف يستبعد منه البعث والجزاء او المعنى اليس الله باقضى
القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل تعالى حكم بينهم اي ففي الآية
وعيد للمكذبين **سورة العلق** زعم اكثر المفسرين ان صدر السورة
اول ما نزل من القرآن واول ما نزل منها خمس آيات من اولها الى قوله ما لم يعلم

وقال آخرون الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وقيل اول ما نزل يا ايها المدثر
قوله اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه اشارة الى ان مفعول اقرأ محذوف وهو
القرآن حذف للعلم به اذ القراءة فى عرف الشرع لا يستعمل الا فيه وان محل قوله باسم ربك
نصب على الحال والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا به اى قل بسم الله
الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة التسمية
ابتداء كل سورة كما انزل الله تعالى وامر به وهذا حجة للامام الشافعى رح فى جهره
بالتسمية فى اول كل سورة مع ما جاء من الاحاديث المروية فى هذا الباب وان
قدر ان المعنى اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك فكأنه تعالى امره بجعل الاسم آلة
فيما يحاوله من امر الدين والدنيا كما فى قولك كتبت بالقلم وتحقيقه انه لما قال له اقرأ
قال لست بقارئ فقال اقرأ باسم ربك اى استعن باسم ربك واتخذه آلة فى
تحصيل هذا الذى عسر عليك قوله الذى له الخلق وجه عدم ذكر مفعول
خلق اولا بوجوه ثلثة الاول ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول
بناء على ان المقصود بيان انفراده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر ولم يتعرض
لبيان متعلق الخلق فالمعنى الذى حصل منه الخلق وتفرد به لا خالق سواه والثانى ان
ان يقدر مفعول ويكون بيان تعلقه بمفعوله مقصودا الا انه حذف قصدا للتعميم فانه تعالى لما كان خالق
كل شئ لم يكن بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض فقدر له مفعول عام اى الذى خلق كل مفعول عام ٤
شئ وقوله خلق الانسان من علق بعد ما تبين انه خلق كل شئ تخصيص للانسان بالذكر بعد التعميم
اظهارا لشرفه وانه منفرد فيه لغاية صار كأنه صنعة منفردة خارجة من عداه او ما سبق وذلك كتخصيص
جبرائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة والرسل عليهم السلام ولان المقصود من توصيف الرب بالخالقية تعليل

تعليل الامر بالقراءة الذى هو عين الامر بالعبادة فان قوله تعالى اقرأ فى معنى اعبد
ربك وتوصيفه بقوله الذى خلق للايماء الى ان كونه خالق الاشياء يقتضى ان يعبد ان يعبد ٤ ان يمجد ٤
ويعظم ويدل على وجوب ذلك والانسان لما كان اشرف مصنوعاته واظهرها صنعا
وتدبيرا كان خلقه تعالى اياه ادل على وجوب العبادة فلذلك افرده بالذكر بعد التعميم
قوله اظهر صنعا بمعنى اكثر اظهارا للصنع خالقه ومدبره والتفضيل لا يبنى من غير ومدبره ٤
الثلاثى من مزيد الثلاثى الا بزيادة اشد او اكثر ولعله انما ارتكب ذلك اختصارا
فى اللفظ مع ظهور المراد والثالث ان يقدر مفعول خاص ابتداء الا انه ابتداء اولا
الانسان اولا ثم فسره ثانيا بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان قوله لانه جمع لان الانسان
فى معنى الجمع والعلق جمع علقة كثمر وثمرة وهى الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح ومقابلة
الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد بالآحاد فافاد انه تعالى خلق كل واحد منهم من علقة
قوله ولما كان اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات معرفة الله تعالى او النظر فى معرفة
الله تعالى او القصد الى ذلك النظر على اختلاف المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد
ان يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا ان
يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله
ان يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم ولا بد
للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا
التدريج يقرون بانى انا المستحق للعبادة دون الاوثان لان الالهية موقوفة
على الخالقية ومن لم يخلق شيئا كيف يكون الها مستحقا للعبادة ومن الطريقة كما حكى
ان زفر رحمه الله لما بعثه ابو حنيفة رضى الله عنه الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم

وذكروا ابا حنيفة رض منعوتا ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابي حنيفة رض واخبره بذلك فقال
له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ ولكن ارجع اليهم واذكر في المسئلة اقاويل ائمتهم
ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم
نقل هذا قول ابي حنيفة رض فانهم حينئذ يستحسنون فلا يردونه **قوله** تكريره للمبالغة يعني ان
اقرأ الثاني تكرير للامر بالقراءة تاكيدا ومبالغة في الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثاني ويكون
ما بعده كلاما مستانفا بان يكون وربك مبتدا والاكرم صفته والذي مع صلته خبره و
علم الانسان ما لم يعلم بدل من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له **قوله** او الاول مطلق اي
امر بمطلق القراءة سواء كانت على طريق التعلم مما جاء به جبرائيل او على طريق تكرارها
لنفسه طلبا للثواب واقرأ الثاني امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ في
الصلوة **قوله** ولعله لم ينبه اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثاني جوابا لقوله عم
ما انا بقارئ على معنى اقرأ فان ربك الاكرم يعلمك القراءة وان لم تكن قارئا **قوله**
بل هو الكريم وصفه على الحقيقة قال الامام الرازي الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن ما ينبغي
من يهب السكين ممن يقتل به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى ثم طلب عوضا فهو ليس بكريم
وليس يجب ان يكون العوض عينا بل المدح والثناء والتخلص عن المذمة كله عوض
وقال الامام الغزالي قدس سره الكريم هو الذي اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا
اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا رفعت حاجة الى
غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن
الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك
هو الله تع وحده ومن كان على اضداد هذه الصفات فهو اللئيم المطلق انتهى كلامهما

كلاهما وذكر المصنف في بيان الاكرمية انه لا ينتفع بما انعم به الا لمحض الكرم بخلاف غيره
فانه يطلب به نفعا اما مدحا او ثوابا او تخلصا من المذمة وايضا انه تع يحلم ويعفو
وقت الجناية ولا ينقص بها شيئا من احسانه الذي حصل قبلها بل يزيد في احسانه بعد
الجناية كما قيل **قوله** ثم زدت تقصيرا تزد في تفضلا كاني بالتقصير استوجب
التفضل **قوله** لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد بيان لوجه كونه من الفوائد في تعليم
الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام اظهار كمال الكرم ومزيد الفضل والاحسان
على نوع الانسان والامتنان عليه فاختير ما هو اشرف آثار كرمه واحسانه عليه وهو
تعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد وقيل صاحب الحفظ
مغرور وصاحب القيد مسرور يعني من اعتمد على حفظه اغتر حيث نسي ما حفظه ومن
قيد وكتب فهو يجد ما كتبه بعد النسيان فيكون مسرورا بذلك والقلم وان كان لا ينطق
الا انه يسمع الشرق والغرب ولما دونت العلوم ولا قيدت الحكم وما ضبطت
اخبار الاولين ولا الكتب المنزلة الا بالكتابة ولولاها لما استقامت امور الدين
والدنيا ذكر الله سبحانه وتعالى نفسه اولا باسم الرب ورتب عليه خلق الانسان
من العلقة تنبيها على ان الايجاد والاحياء والاقرار والترزيق من باب الكرم والتربية
ثم ذكر بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط بالقلم وتعليمه ايضا غير
ذلك مما لم يعلم الانسان تنبيها على ان الاكرمية انما يكون باعطاء اجل المواهب
واعز المطالب وهو التكرم بافادة الفوائد العلمية وما يؤدي الى تقييدها وضبطها
وفيه تشريف بليغ لشان العلم فانه لو كان في جملة المطالب ما هو اشرف منه لكان ذكره
اولى في مقام بيان الاكرمية ولا مناسبة بحسب الظاهر بين ان وصف الله تع نفسه بانه

الذي خلق الانسان من علق وبانه الذي علم بالقلم لكنه في التحقيق في غاية الحسن والانتظام
وذلك لانه تع بيّن اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء وآخر امره وهو
صيرورته عالما بحقائق الاشياء قادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى
تعليمها وتبليغها الى امثاله البعيد وهو امتنان عظيم بنقله من اخس الاحوال
الى اعز المراتب واشرفها اي انه كان في ابتداء حاله ذليلا مهينا فاقتضى كرم الربوبية
الى ارتقائه ذروة العز والشرف بفضله ولطفه وايضا اولا الى ما يدل على
معرفته عقلا فان قوله تع باسم ربك الذي خلق الانسان من علق تدل دلالة عقلية
على معرفته تع بصفاته كالدلالة وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اشارة الى الاحكام التي يتلقى من الدليل السمعي
ومنها معرفة حال العالم بصفات كماله ونعوت جلاله وصفاته قيل من اول السورة
الى هنا هو اول ما نزل عليه واوحى اليه ثم نزل ما بقي السورة بعد ذلك بزمان والى
لعلمه الله تع فامرهم بوضعه في هذا الموضع لان تأليف آيات السور انما كان بامره تع
وبيانه الا يرى قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله انما نزل عند المدينة ثم هو
مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وقيل المراد من الكلية الانسان في هذه
الاية جنس الانسان وجبلته والقول الاول وان كان اظهر بحسب الروايات الا ان
هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه تع بين ان الله تع خلقه من علقة وانعم عليه بما ذكر
من النعم اذا اغنياه وذلك النعمة عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في
المعاصي واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر له عن هذه الطريقة ثم انه تع
اكد هذا الزجر بقوله ان الى ربك الرجعى وتحقيق الكلام في هذه الاية ان الله تع

ان الله تع لما ذكر في اول السورة دلايل على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث
يبعد من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها اتبعها بما هو السبب في
الغفلة عنها والاشتغال بالمال والجاه والترفه بالحظوظ العاجلة فانه لا
لعمي القلب في الحقيقة الا ذلك والمص اختار هذا القول حيث قال كلا
ردع لمن كفر بنعمة الله تع لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه فان
الكلام السابق دل على انه تع خلق الانسان من العلق ثم علمه
ورفعه من حضيض الخسة الى بقاع العلم والمعرفة وكذلك الكلام اللاحق
وهو التعليل بقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيقدر بعد قوله ما لم يعلم
ما يصح ان يكون كلا ردعا له كانه قيل خلقنا الانسان من علق وعلمناه ما لم يعلم
ليشكر تلك النعمة الجليلة فطغى وكفر كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي
ما ينبغي للانسان ان ينعم الله عليه بخلقه وتعليمه ثم هو يطغى اي يفرط في المعصية
واتباع هوى النفس لان رأى نفسه قد كثر ماله فاستغنى به عن غيره قال
الكلبي ليرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما وقال مقاتل
نزلت في ابي جهل عليه ما يستحق كان اذا اصاب المال زاد في ثيابه ومركبه و
طعامه فذلك طغيانه قال الاخفش معنى قوله ان رآه استغنى لان رآه
فحذفوا اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه
مفعول له غير ذلك واول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة
المال وكفى ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال **قوله**
واجنحة وهي اجنحة الملائكة ابصر اللعين ولم يبصر اصحابها فقال ثم الذي

وقيل معناه استغنى بماله صح

نفسي بيده لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً واول القصة ان اللعين
قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال لو رايته لا والعفر بالتحريك التراب وتعفير
الوجه كناية عن السجود على الارض وكان ابو جهل يكنى في الجاهلية با بي الحكم لانهم يزعمون
انه عالم ذو حكمة ثم سمي ابا جهل في الاسلام قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في
تقبيح النهي لان نهي العبد عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من افراد الانسان عن الصلوة
وتنكير لفظ العبد يدل على كونه كاملاً في العبودية فنهيه اقبح من نهي عبد ما اي عبد كان
فكانه قيل نهي اكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه قوله والشرطية مفعول له
الخ جعل ارايت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذي ينهى مفعوله الاول
وجعل الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهو قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى مع
جوابه المحذوف وهو قوله الم يعلم بان الله يرى ويطلع على ما يزعمه هذا انه على هدى
في نهيه عن طاعة الله وعبادته وآمر بالتقوى فيما يامره من عبادة الاوثان
وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني لان الشرط الثاني وهو قوله
ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول ~~مقابل للشرط~~ وهو قوله ان كان على الهدى
او امر بالتقوى فاذا اجيب الشرط الثاني بقوله الم يعلم بان الله يرى احواله علم
من ذلك ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضاً وجاز ان يكون لجملة الاستفهامية
وهي قوله الم يعلم الخ جواب للشرط كما جاز في قولك ان اكرمتك اتكرمني واحسن اليك
فلان هل تحسن اليه وجعل ارايت الثاني تكراراً للثاني للاول لاجل التاكيد وكذا
ارايت الثالث وصور المعنى بقوله والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله
الخ وحاصله ان نظم التنزيل يؤيد كلام المصنف وادخاء العنان حيث نظم من الجمل

من صح امره الحق بان عبر عنه بقوله عبداً ولم يقل نبياً بحيث صح تحقق ظهور الله تعالى
وقال المص في تفسيره ينهى بعض عباد الله وادخل حرف الشرط في الشرطية الاولى
لادخاء العنان صورة للقطع بان ذلك الناهي ليس من الهدى والآمر بالتقوى
في شيء وهو في الحقيقة تهكم به حيث انه ليس في النهي عبادة ربه والامر بعبادة
الاصنام على هدى البتة فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب في قوله ارايت للكل ممن
يصح ان يكون مخاطباً به ممن له ملكة او للانسان على الالتفات كما في قوله ارايت الا
ان كون الرجوع هذا اظهر واولى لا للنبي ولا للكافر الناهي لقوله اخبرني عمن
ينهى بعض عباد الله فان الناهي والمنهي خارجان عن موجه الخطاب فكانه يجعل المخبر
حاكماً بين اهل الحق واهل الباطل ويحضهم من قدر اهل الحق فيقول ايها الحاكم اخبرني
عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته وعبادته ويزعم انه على الحق في ذلك النهي وآمر
بالتقوى والمعروف في امره بعبادة الاوثان واخبرني ايضاً عما نقول نحن ان ذلك
الآمر والناهي كاذب على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح فما عملك في ذلك
الم يعلم بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك عمله
فتكون قوله الم يعلم الخ وعيداً لذلك الناهي قوله وقيل المعنى ارايت الذي الخ
يعني قيل ارايت كلمة تعجب عجب الله تعالى عباده من ابي جهل في منعه رسول الله
من ثلثة اوجه الاول انه ينهى عبداً من عبادة ربه والثاني ان المنهي عن الصلوة
مهتد بصلوته وتعظيمه ربه آمر غيره بتقوى الله بفعله والثالث ان
الناهي عن الصلوة تكذيب بالحق متولى عنه غير قائل به واشار المص
الى ان المعنى على التعجب بقوله فما اعجب من ذا فعلى هذا ضمير ينهى وكذب وتولى

للكافر الناهي وضميركان وامر للعبد المنهي وعلى الوجه الثالث واما على الوجه الاول فالضماير
كلها للكافر الناهي قوله ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ واجاب المص عن هذا
السوال اولا بان صلاته عم صلوة وعبادة في حق نفسه ودعوة بالفعل الى عبادة الله
وامر بالتقوى بالنظر الى غيره فان كل من يراه وهو في الصلوة كان يرق قلبه فيميل الى
الايمان والطاعة فكان فعل الصلوة دعوة وامرا بالتقوى بلسان الفعل وهي اقوى
من الدعوة بلسان القول فعلى هذا يكون النهي عن الصلوة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى
فاقتصر على ذكر الصلوة لحصول المقصود به واجاب عنه ثانيا بانه لم يقل ينهى عبدا عن الصلوة
فقط حتى يتوهم ان تعالى انه كان ينهى عن الصلوة نهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر
الصلوة بل قال ينهى عبدا اذا صلى ومن نهيا وان نهيه عنهما معا فليس في الكلام اقتصار على النهي عن
الصلوة فقط وعدم ذكر المفعول الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى عن
عامة افعال المنحصرة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة ومنه الاية وان نزلت في حق
ابي جهل لكن كل من ينهى عن طاعة الله تعالى فهو شريك ابا جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه
المنع من الصلوة في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلوة
وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لان ينهى عنه لا ينافي
مشروعية اصل الصلوة الا انه لشدة الاتصال بينهما بحيث يكون عن الوصف موهما للنهي عن
الاصل احتاط فيه بعض الاكابر فروى عن علي كرم الله وجهه انه راى في المصلى اقواما مطلب
يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله عم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم الانتهاء ٤
فقال اخشى ان ادخل تحت وعيد قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن
الصلوة احتياطا واخذ ابو حنيفة رض هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول المصلي

المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد
ولم يصرح بالنهي قوله ولنسحبنه بها الى النار وذلك في الاخرة ويحتمل ان يكون
ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بانه
تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه على وجهه اذا عاد الى النهي فلما عاد مكنهم
الله تعالى من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القران قال عم
من يقرؤها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رض وقال انا
يا رسول الله فاجلسه عم ثم قال ثانيا من يقرؤها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رض ثالثا الى ان
اذن له وكان عم يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم
فرآهم مجتمعين حول الكعبة الشريفة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق
اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي عم رق قلبه واطرق
راسه مغموما فاذا جبريل عم يجيء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك ويبكي مستبشرا ٤
ابن مسعود رض سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود رض
ان يكون له حظ في الجهاد فقال له عم خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق
فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور
فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله
سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه
بحيلة فلما راه ابو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود رض
الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي منه
في حال حياتي فروى انه عم لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى عم فانه قال

يعني ان الكلام سواء حمل على التوبيخ او التعجب فان تشمل على التوبيخ للامر بالتقوى كان شاملا على اداء الصلوة فكان كل واحد من التعجب والتوبيخ واقعا مقابلا لمجموع الامرين فان ما ادى الكلام على الوعيد فانه مفهوم الكلام على ما من نهى عن الصلوة فقط بانه سواء كان مكذبا او متوليا على التقوى والامر بالتقوى على ذلك او كان على علم ولم يتولى لابعاد على كونه تابعا على الامر بالتقوى مع انه مرتكب بذلك الذنبين فيجب ان يتوعد عليهما جميعا منه سلمه

آمنت وهو قد ازداد عتوا ثم قال لابن مسعود رض اقطع اقطع بسيفي هذا لانه
احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل
يجره الى رسول الله عم وجبرائيل عم بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن
الرأس هنا مع الاذن ولعل الحكيم سبحانه وتعالى انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على حمل
الرأس المقطوع لوجوه احدها انه كلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الاذن
فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر
تلك الرأس على مقدمها هذا ما روي في مقتل ابي جهل اورده هنا معنى لا لفظا ليتضح
تفسير قوله تعالى لنسفعا بالناصية والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية
ثم انه تعالى كنى بها هنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص الشعر بها ان اللعين
كان شديد الاهتمام بترجيل الشعر وتطييبها واللام في لنسفعا لام توطئة القسم
والقسم بعد مضمر اي لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه
النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ما قبلها تشبيها لها بالتنوين المنصوب وقد كتب
في مصحف عثمان رض بالالف على حكم الوقف وقرئ لنسفعن بالنون مكان الالف اي
يقول الله تعالى انا الذي انوي اهانته يا محمد ننظره هو الذي ايدك واللام في قوله
بالناصية بدل عن الاضافة اي لنسفعا بناصيته اكتفى بلام العهد عنها للعلم بان المراد
ناصية المذكور وكانه تعالى يقول بالناصية المعروفة عندكم ذاتها لكنها مجهولة عند
صفاتها وهي انها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصف الناصية بالكذب لانه
صاحبها كان كاذبا على الله تعالى في انه لم يرسل محمدا وكاذبا على رسوله في انه ساحر او
ليس برسول ووصفها بانها خاطئة لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولا خطاء اعظم

اعظم منه وقوله تعالى ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة
لانها وصفت بقوله كاذبة صاحبها فيتضح بذلك جعلها بدلا مقصودا بالنسبة والنكرة
الغير الموصوفة لا تبدل عن المعرفة لانه لا يصح جعلها مقصودا بالنسبة وجعل المعرفة
في حكم السقوط قوله اي اهل ناديه فحذف المضاف لان نفس المكان لا يدعى قوله ينتدي
فيه القوم اي يجتمع ومنه دار الندوة بمكة وكانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى
المكان ناديا حتى يكون فيه اهله قوله وهو في الاصل الشرط وهو جمع شرطة بالسكون
والحركة وهم خيار جند واول كتيبة تحضر الحرب وفي الصحاح الشرط بالتحريك العلامة
واشراط الساعة علاماتها واشترط ابله وغنمه اذا عدها شيئا للبيع واشرط فلان
نفسه لامر كذا اعلمها واعدها له ومنه تسمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة
يعرفون بها الواحد شرطة وشرطي وقيل سموا شرطا لانهم اعدوا انتهى
قوله او زبني على النسب اي على انه بناء للنسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع
على زباني ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التانيث من احدى
اليائين بعد حذفها كالاشاعثة في جمع اشعثي والمهالبة في جمع مهلبي الا ان
التعويض في زبانية ظاهر وفي الاشاعثة معنوي وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة
العذاب وهم الملائكة الغلاظ الشداد وقال مقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم في الارض
ورؤسهم في السماء سميت زبانية لانهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم في جهنم
قيل في الآية قولان الاول انه فليفعل ما ذكر من دعوة اهل ناديه وانصاره
واستعانته بهم في مناصبة محمد عليه الصلوة والسلام فانه لو فعل ذلك فنحن ندعوا
الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رض

لو دعا ناديه لأخذته الزبانية من ساعته عيانًا وقيل بل هذا إخبار بأن الزبانية
يجرونه في الآخرة إلى النار والقول الكل أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا أي لنسفعًا
بالناصية وسندعوا الزبانية في الآخرة وهو ناديه فليدعوه وحذف الواو من سندع
في الإمام اتباعًا للخط باللفظ فإن الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع الساكنين
سقطت في الخط أيضًا اتباعًا وكلمة ما في قوله أقرب ما يكون العبد لربه إذا
سجد مصدرية وأقرب مبتداء حذف خبره ويكون من كان التامة أي أقرب
وجود العبد إلى ربه حاصل وقت سجوده فإنه قد تقرر في النحو أنه يجب حذف خبر
المبتداء إذا كان المبتداء أفعل التفضيل مضافًا إلى المصدر المذكور بعده الحال أو
الظرف مثل أكثر شربي السويق ملتوتًا وأخطب ما يكون الأمير قائمًا والظرف
في معنى الحال وأورد الحديث لتأييد أن المراد بقوله واقترب وابتغ قرب المنزلة
من ربك وقيل المعنى واسجد يا محمد واقترب يا أبا جهل منه حتى تبصر ما ينالك من أخذ
الزبانية إياك. سورة القدر قوله شهادة بالنباهة أي بالشهرة في رفعة
القدر وكمال الشرف التي يقوم مقام تصريحه باسمه في إرجاع الضمير إليه يقال نبه
نبهًا ونبه أي مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة أي شرف واشتهر قوله
وإنزاله فيها جواب عما يقال القرآن لم ينزل جملة في وقت واحد بل أنزل منجمًا
مفرقًا بحسب الوقائع في مدة بين أوله وآخره ثلث وعشرين سنة فما وجه قوله أنزلناه
في ليلة كذا وأجاب عنه بثلثة أوجه الأول أن المراد ابتدأنا بإنزاله على طريق
على النبي ... التفسير في ليلة القدر بناء على أن البعثة كان في رمضان والثاني أن
السؤال إنما يرد أن لو كان المراد إنزاله إلى الأرض وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه الذي

الذي كان منجمًا في ثلث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد ما روي عن ابن عباس
أن جبرائيل عليه السلام نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا وأملاه
جبرائيل عليه السلام على السفرة ثم كان جبرائيل عليه السلام ينزله على النبي عليه السلام منجمًا مفرقًا على حسب المصالح
والسفرة جمع سافر بمعنى كاتب من السفر وهو الكتبة والسفرة الكرام البررة هم
الملائكة في سماء الدنيا والثالث أن السؤال إنما يرد أن لو كان ليلة القدر ظرفًا
للإنزال على معنى أن الإنزال وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى إنا أنزلناه
في فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافي كون الإنزال مفرقًا في
ثلث وعشرين سنة فإن قيل ينبغي أن على الوجه الثاني أنزلناه بتمامه إلى السماء الدنيا لأن
إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض من حيث أنه تعالى إذا شرع في أمر يتمه لا محالة وبين
حيث أن السماء الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة السفرة فهي لهم مسكن ولنا
سقف وزينة فإنزاله إلى هناك كإنزاله ههنا قوله وهي في أوتار
العشر الأواخر من رمضان الجمهور على أنها باقية مكررة في كل سنة مختصة
برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن مع قوله إنا أنزلناه
في ليلة القدر فإنهما يستلزمان أن يكون ليلة القدر في رمضان ولا يلزم الشافعي
ثم اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال فقيل هي الليلة الأولى من رمضان و
قيل هي الليلة السابعة عشرة منه وقيل التاسعة عشر وقيل الحادي
والعشرين وقيل الثالث والعشرين وقيل الرابع والعشرين وقيل
الخامس والعشرين وقيل أبي بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرين
وقيل التاسعة والعشرين والذي عليه معظم العلماء أنها ليلة السابعة والعشرين

وقيل إنها كانت على عهد رسول الله عليه السلام ثم رفعت قال الخليل من قال إن فضلها لنزول القرآن يقول انقطعت وكانت مرة

وذكروا فيه امارات ضعيفة احدها حديث ابن عباس رض انه قال ليلة القدر تسعة
احرف وهو مذكور ثلث مرات فيكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان
بن العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال
اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرين من رمضان وروي
الحسن عن النبي عم انه قال ليلة القدر من اماراتها انها ليلة بلجة سمحة
لا باردة ولا حارة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع بلجة نقية اي
اطمانت فقوله لا باردة ولا حارة بيان لما قبله وقال عبيد بن عمير كنت في
ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسا ومن قال
انها ليلة اخر من رمضان استدل بقوله عم ان الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان
عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة
رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره
وكان الليلة الاولى لمن ولد له ذكر فهي شكر والليلة الاخرة ليلة الرواح لمن
مات له ولد فهي ليلة صبر وقد علمت فرقهما بين الشكر والصبر فان الشكر
مع المزيد لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والصابر مع الله إن الله مع الصابرين
والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة كما اخفى رضاه في الطاعات
حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه في المعاصي ليجتنبوا عن الكل واخفى وليه
فيما بين الناس حتى يعظموا الكل واخفى المستجاب من الدعوات ليدعو بكلها
واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسماء واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا
على كل الصلوات واخفى وقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الاوقات قوله



قوله وتسميتها بذلك لشرفها على ان القدر بمعنى المنزلة والشرف نقل عن
الزهري انه قال ليلة القدر بمعنى ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر
عند فلان اي منزلة وشرف ويدل على هذا الوجه قوله ليلة القدر خير من الف شهر
ثم ان القدر والشرف يحتمل ان يرجع الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار
ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة في
تلك الليلة لها قدر وشرف زائد قوله او لتقدير الامور فيها عن الواحدي
ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشي على مقدار غيره من غير زيادة
ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام عن ابن عباس رض
ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة
الى مثل هذه الليلة من السنة الاتية ويسلم الى مدبرات الامور من الملائكة وهم
اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل
امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض في الازل بل المراد اظهار تلك المقادير
للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة
العلماء وعن ابي بكر الوراق سميت ليلة القدر لانه نزلت فيها كتاب ذو قدر
على لسان ملك ذي قدر على امة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه
السورة ثلث مرات لهذا السبب وقال الخليل سميت ليلة القدر اي ليلة الضيق
لانه تضيق فيها الملائكة فالقدر بمعنى الضيق كما في قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه قوله
وذكر الالف اما للتكثير فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة

بسئل الحسن بن الفضل البجلي فقال قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر معالم

كما في قوله تعالى تودّ احدهم لو يعمّر الف سنة يعني جميع الدهر او لما روي عن مجاهد انه
انه قال كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك
الف شهر فتعجب رسول الله عم والمسلمون من ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية لبيان
ان ليلة القدر لامتك خير من الف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح الف شهر
وهي ثلثة وثمانون سنة واربعة اشهر واعرابها انها تحذفت احدى النونات
كراهة اجتماع الامثال قوله وما ادريك ما ليلة القدر اي واي شيء اعلمك ما هي
اي انك لا تعلم كنهها ولم يبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها فانه اعظم
من ان تبلغها دراية احد وما مبتدا وما ادريك خبره وما في قوله ما ليلة القدر
مبتدا ثان وليلة القدر خبره ومحل الجملة النصب على انه مفعول ثان لادري
ومفعوله الاول الكاف وادري مع معموليه خبر ما الاولى كما مر ثم بين فضل تلك الليلة من
ثلثة اوجه الاول قوله ليلة القدر خير من الف شهر والثاني من فضايل هذه الليلة قوله
تنزل الملائكة والروح فيها والوجه الثالث من فضايلها قوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر
قوله وتنزلهم الى الارض هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة تنزلون
ساير الايام الى مجالس الذكر والدين فلان يحصل ذلك في هذه الليلة مع
علو شانها اولى ولان مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من السماء الى
الارض وقيل ان الملائكة تنزلون باسرهم الى السماء الدنيا في ليلة القدر
فان قيل ان الملائكة كثرة عظيمة لا تحتمل الارض كلهم وكذا السماء فانها
مملوة بحيث لا يوجد فيها موضع قدم الا وفيه ملك فكيف يسع الجميع
سماء واحدة قال عم اطّت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد

او راكع او قائم قلنا اذا وقع التعارض بين الكتاب وخبر الواحد نقضي بما يدل عليه الكتاب
مع انه لا تعارض ههنا لما روي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كاهل الحج
فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج
ولهذا السبب مدّ الى غاية طلوع الشمس الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزّل
الذي يفيد التدريج والمرة بعد المرة ثم من قال بانهم ينزلون الى الارض
اختلفوا في سبب نزولهم على وجوه فقال بعضهم انه تعالى وعد في الآخرة بدخولهم
عليهم من كل باب سلام عليكم ثم قال انك لو اشتغلت في الدنيا بعبادة لنزلت
الملائكة حتى يدخلوا عليك للتسليم والزيارة فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر
الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوه ومالوا اليه فكذا الملائكة
اذا رأوا في روحك صورة حسنة وهي معرفة الله وطاعته احبوك ورغبوا
في زيارتك وتمنوا لقاءك لكن كانوا ينتظرون الاذن كما قالوا وما نتنزل الا بامر
ربك وقال تعالى في هذه الاية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا اولا
فاذنوا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا
لنا فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه وقيل ان الله تعالى جعل فضيلة هذه
الليلة في الاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون الى الارض لتصير طاعتهم
اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب الى مكة شرفها الله لتصير طاعته هناك اكثر
ثوابا فيكون المقصود من الاخبار بنزولهم فيها ترغيب الانسان في الطاعة
ومن الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة وهم سكان سدرة
المنتهى وعن كعب ان سدرة المنتهى ملائكة لا يعلم عددهم الا الله يعبدون

بابه السلام عليكم

ومقام جبرائيل عم في وسطها ليس فيه ملك الا وقد اعطي الرافة والرحمة للمؤمنين ينزلون
مع جبرائيل عم ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو
للمؤمنين والمؤمنات وجبرائيل عم لا يدع احدا من الناس الا صافحهم وعلامة ذلك اقشعرار
جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبرائيل عم ومن قال في تلك
الليلة ثلث مرات لا اله الا الله غفر له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة
وفي الحديث انه عم قال اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى
وفيهم جبرائيل عم ومعه الوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس
ولواء على الكعبة في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع مؤمنا ولا مؤمنة الا
سلم عليه الا مدمن خمر واكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران واول من يصعد
الى السماء جبرائيل عم حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة
من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور
جناحي جبرائيل عم فيقيم جبرائيل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم
ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام رمضان احتسابا فاذا
امسوا دخلوا السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع اليهم ملائكة السماء فيسألونهم
عن رجل رجل وعن امرأة امرأة حتى يقولون ما فعل فلان وكيف وجدتموه فيقولون
وجدناه في عام اول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا وفلان كان في عام اول مبتدعا
وفي هذا العام متعبدا فيكفون عن الدعاء للاول ويشتغلون بالدعاء للثاني ويقولون
وجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا وفلانا ساجدا فهم كذلك في ليلتهم حتى يصعدوا
الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا الى السدرة فيقول لهم

لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله
فذكروا لها انهم يعدون لها الرجل والمرأة باسمائهم واسماء ابائهم ثم يصل ذلك
الخبر الى الجنة فتقول الجنة اللهم عجلهم الي والملائكة واهل السدرة يقولون
آمين آمين وذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات
والارضين كانت ذلك له لقمة واحدة وفي التيسير وينزل الروح في تلك
الليلة وهو ملك من تحت الارض ورجلاه في تخوم الثرى السابعة ورأسه تحت
عرش الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه
وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من
التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح
خرت ملائكة سبع سموات سجدا مخافة ان يحرقهم انوار افواهه وانما يسبح الله
غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عم بتلك
الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة الا ليلة
القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله يأكلون
ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه
عيسى عم لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عم وقيل انه
القرآن لقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لما قرئ لا
تيأسوا من روح الله بالضم كأنه تع يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في اثرهم
فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبرائيل عم وتخصيصه
بالذكر لزيادة شرفه كأنه تع يقول الملائكة في كفة والروح في كفة وقوله تع باذن

ربهم يدل على انهم كانوا يرغبون الى الدنيا فهو ويشتاقون في النزول الينا ر
فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبون الى الدنيا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لا يقفون
على تفصيل المعاصي روى انهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة
فاذا وصلوا الى المعاصي ارخى الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل
وستر القبيح ولانهم يرون في الارض من انواع الطاعات اشياء ما راوها
في عالم السموات احدها ان الاغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه بالطعام سالك
ضيافة للفقراء فالفقراء ياكلون طعام الاغنياء ويعبدون الله وهذا نوع من الطاعة
لا يوجد في السموات وثانيها انهم يسمعون انين العصاة وهو لا يوجد في
السموات وفي الحديث القدسي لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين
فيقولون تعالوا فنذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت
تسبيحنا وكيف لا يكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين
العصاة اظهار لغفارية رب العالمين ويجوز ان يكون الروح في قوله والروح
فيها مرفوعا بالابتداء وفيها خبره والضمير المجرور في فيها للملائكة ويجوز ان
ان يكون مرفوعا بالفاعلية عطفا على الملائكة وفيها متعلق بتنزل وضمير فيها لليلة
قوله من اجل كل امر قدر في تلك السنة من خير وشر وبما فيه صلاح المكلف في دينه
ودنياه على ان يكون كل امر لتعميم الدنيا والآخرة فان قيل من فسر الليلة المباركة
في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة بليلة القدر لما فيها من البركة والمنفعة للمؤمنين
يمكنه ان يفسر كل امر بما قدر في تلك الليلة لسنة من الارزاق والآجال ونحوهما
اذ لا يلزمه المخالفة بين هذه الآية وبين قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واما من

واما من فسر الليلة المباركة بليلة نصف شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فانه
يلزمه ان يكفر بقوله ان تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصايب ونحوها يكون
في ليلة النصف من شعبان لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة
المباركة وقد فسرت بليلة النصف فكيف يمكنه ان يفسر كل امر في هذه الآية بما قدر
في تلك السنة فانه يلزم القول بان تقدير المقادير يكون في ليلة النصف وفي ليلة القدر
قلنا يمكنه ذلك ايضا بناء على ان منها للتقدير اشياء الاول نفس تقدير الامور
والاحكام اي تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق السموات
والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان يكتبها في اللوح المحفوظ
وذلك يكون في ليلة النصف وثالثها اثبات تلك المقادير في نسخ وتسليم تلك النسخ
الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل
ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل
ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت هذا
ما لخصته من مواضع متعددة والله اعلم بحقيقة الحال وقيل تقدر في ليلة البراءة
الآجال والارزاق وفي ليلة القدر تقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة
وقيل تقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم
للمسلمين واما ليلة البراءة فيكتب فيها اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت
اشارة قوله ما هي الا سلامة الى قوله هي مبتداء وسلام خبره ومعناه السلامة
وقدم الخبر لتفيد الحصر كما في نحو تميمي انا اي لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور
والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في تلك الليلة

انما هي سلامة دون غيره و ضرر لا يستطيع الشيطان فيها سوءا وفي الحديث الشيطان لا يخرج
في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل او داء او ضرب من ضروب
الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر والكلام ليس نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت
بالسلامة للمبالغة لاشتمالها عليها كما يقال فلان جود وعدل والمراد انه ابدا مشغول
بهما ثم اشار الى احتمال ان يكون السلام بمعنى التسليم قال الجوهري السلام والسلامة
الاسم من التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر او الى وقت طلوعه
سلام اي يسلم فيها الملائكة على المطيعين فان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل
الى طلوع الفجر ولترادف النزول وكثرة السلام وتتابعها وصفت الليلة بانها سلام
لا نفس الا انه لكثرة وقوعه فيها صارت كانها نفس التسليم فوصفت به كما يقال رجل
عدل والخليل عليه السلام لما سلم عليه سبعة من الملائكة صار نار نمرود
بردا وسلاما عليه فلا يبعد ان تكون نار الله الموقدة ببركة تسليم الملائكة على
المؤمن بردا وسلاما حتى تقول جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي لكن
ضيافة الخليل لهم كانت عجلا مشويا وهم يريدون منا قلبا مشويا
قوله على انه كالمرجع في انه مصدر ميمي جاء على خلاف القياس فان قياس المصدر
الميمي من الثلاثي ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان المطلع بكسر
اللام اسم زمان طلوع يكون على خلاف القياس فان قياس اسم الزمان مما
يفعل بضم العين او ضمها ان يكون على مفعل بفتح العين فظهر ان مطلع الفجر
بكسر العين مخالف للقياس سواء حمل على المصدر او على اسم الزمان ولا يجوز ان
يكون المطلع بمعنى موضع الطلوع اذ لا معنى له هنا وفي الكشاف ان السلام بمعنى

يعني الشاعر اي مسلمة سواء كان بمعنى التسليم او السلامة ولا بد من هذا التقدير
ليصح ان يكون حتى غاية له ومتعلقا به لانه اذا حمل على المصدر لم يجز تعلق حتى به
لانه يلزم الفصل بين الصلة والموصول بالمبتدأ الذي هو قوله هي وذلك لا يجوز و
قيل جاز ان يتعلق الغاية بتنزل وفيه تعسف لان جملة سلام هي فصلت بين
العامل والمعمول وهي اجنبية عنهما الا ان يقال انها في موضع الحال من الضمير المجرور
في قوله فيها اي تنزل الملائكة والروح فيها ذات سلامة او سلام فلا يكون اجنبية
عن العامل وفائدة الغاية تعميم السلام والسلامة على التقديرين لكل الليلة
وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام
هي اي هي سلامة من كل امر يخوف من بلاء وآفة وكيد شيطان ثم قال حتى مطلع
الفجر اي ذلك الى طلوع الفجر سورة لم يكن قوله فانهم كفروا بالالحاد
في صفات الله تعالى بيان لوجه توصيفهم اي اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة نبينا عم وذلك
ان طريق الكفر غير منحصر في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكفر به ككفر اليهود
بتكذيب عيسى عم وانكار دينه وقد يكفر بانكار حكم من احكام احد الدين و
العدول فيه عن الحق ككفر النصارى قبل بعثة رسولنا عم بالالحاد في صفات
الله تعالى والعدول فيها عن الصواب لما قالوا في صفة العلم اقنوم من الاقانيم
الثلثة انتقلت الى بدن عيسى عم ونحو ذلك قوله منفكين عما كانوا عليه من دينهم
فان قيل كيف يصح ان يفسر قوله منفكين عن كونهم حتى تأتيهم البينة التي هي
الرسول عم وانه يقتضي انهم صاروا منفكين عن كونهم عند اتيان الرسول وانفكوا
عنه على الايمان واتباع الحق الذي جاء به صلى الله وذلك لان حتى لانتهاء الغاية

يقتضي ان يكون حالهم بعد الغاية مخالفة للحال التي كانت قبلها وقوله تع بعد ذلك و
ما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقتضي ان كونهم قد ازداد
عند مجيء رسول الله صلعم ولا يخفى ان هذا المقتضي مناقض لمقتضى الاية الاولى بالتقرير
المذكور ومعنى المناقضة انه لزمت من ذلك التقرير منفكين وترك التفرق حالا و
باطلا وجوابه ما اشار اليه صاحب الكشاف بحمل الاية الاولى على كونها حكاية من
الله تع لما كانوا يقولونه قبل بعثته عم وهو قولهم لا ننفك عما كنا فيه من ديننا
ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد المصطفى صلعم
وعلى اله واصحابه اجمعين فاذا بعث نتفق على تصديقه ونجتمع على قبول دينه
والدخول فيه قوله وما تفرقوا الا من بعد بعثته الزام عليهم بعد حكاية
زعمهم الباطل وكلامهم الزائغ على سبيل التوبيخ والتعيير اي كانوا يعدون
الاجتماع على الحق وقت بعثته ثم كان غرته انه ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا بعثته فاذا كانت الاية الاولى من باب حكاية كلامهم
لا اخبارا ابتداء بما هو واقع على حالهم وكانت الاية الثانية وهي قوله وما
تفرق الذين الخ اخبارا عن الواقع ارتفع الاشكال لان محصول الايتين
ان الذين وقع كان خلاف ما وعدوا واما اذا فسرت الاية الاولى بان
يقال لم يكونوا منفكين من الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الموعود
في التورية والانجيل فلا اشكال ولا جواب قوله ومن التبيين اذ ليس
المقام مقام بيانه قال بعض كل واحد من الوجهين يحمل على التبعيض
كما في قوله تع فاجتنبوا الرجس من الاوثان لان الكفار كانوا جنسين

جنسين احدهما اهل الكتاب كفرقتي اليهود والنصارى وكانوا كفارا باحداثهم
في دينهم ما كفروا به كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتاب الله ودينه
والثاني المشركون الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب الله تع فذكر الله تع الجنسين
بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين
وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو في محل النصب على انه حال من الواو في كفروا
اي كائنين منهم ومنفكين خبر كان من انفك الشيء عن الشيء اذا فارقه وانفصل
عنه فالمعنى ان قلوبهم ما خلت عن كفرهم الذين كانوا عليه الى وقت البعثة
والبينة الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق والباطل وذكر في تعيين المراد
بالبينة في هذه الاية احتمالات الاول انها هي الرسول صلعم فانه رسول الله
باعتبار ادعائه الرسالة وتبليغه عن الله تع وبينة واضحة على نبوته
باعتبار استجماعه مكارم الاخلاق الحميدة المرضية وبلوغه في ذلك الى
حد الاعجاز واقصى درجات الكمال بحيث افحم الحكماء المهذبين وعجزهم
عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه والثاني انها هي القرآن
والثالث ان المراد بها مطلق معجزاته عم وكون كل واحد منها حجة واضحة
على نبوته ظاهر من حيث ان كل واحد منها يفحم من هو بصدد المعارضة
ويعجزه عن ان يأتي بما يدانيه قوله بافحامه من تحدى بداء بالكلية
من طلب منه ان يأتي بمثل ما اوتي به من شواهد نبوته يقال افحم
الصبي بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى تنقطع صوته و
كلمته حتى افحمته اي اسكتته في خصومة او غيرها ويقال تحديت فلانا

اذا بادية وعارضته في فعل ونازعته الغلبة قوله بدل من البينة بتفسير من
غير تقدير مضاف فيكون بدل الكل وهذا على تقدير ان يراد بالبينة الرسول نفسه عم
وقوله او بتقدير مضاف مثل وحي رسول الله او كتابه على تقدير ان يراد
بالبينة القرآن او معجزة رسول من الله على تقدير ان يكون المراد بها المعجز وعلى
التقادير يكون من قبيل بدل الكل ويكون قوله يتلوا صحفا صفة رسول الله
وان جعل رسول منكرا مخصصا بقوله من الله يكون قوله يتلوا صحفا خبره
وان جعل مخصصا بقوله يتلوا صحفا يكون قوله من الله في موضع النصب على الحال
اما من صحفا او من المنوي في مطهرة ويكون خبر المبتدا محذوفا والتقدير رسول
يتلوا صحفا مطهرة كاينة من الله كفي بينة او عظم او جل او وضح بينة وقوله
فيها كتب قيمة مبتدا وخبر والجملة في محل النصب على انها صفة لقوله صحفا قوله
والرسول وان كان اميا جواب لما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى
رسول الله مع انه كان اميا لا يكتب ولا يقرا عن كتاب وانما يقرا ما اوحي
اليه عن ظهر القلب وتوضيح الجواب انه عم وان كان اميا يتلوا ما اوحي اليه
عن ظهر قلبه الا ان متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقا للصحف الاولين مطابقا
لها في اصول الشرايع والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين وكتبهم
فعبر عنه باسم الصحف مجازا او الصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب
ومحله ولذلك فسر الزمخشري بقوله قراطيس ونقل عن الراغب ان الصحيفة
اسم للمبسوطة من الشيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي يكتب فيها وجمعها صحايف
وصحف وقيل المراد من الرسول هو جبرائيل فلا اشكال في نسبة تلاوة الصحف اليه لانه

لانه ليس اميا قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه وهو كونهم
غير منفكين عن كفرهم بل ثابتين مستقرين متفقين على ما كانوا عليه من دينهم الى
وقت مجيء الرسول عم وما فارقوا عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان تفرقوا
فرقا بان صار البعض منهم مؤمنا وبقي الباقون على الضلال القديم وبان تردد
وتشكك وتحير في دينه ومعتقده الاول وفي ساير الاديان بعدما كان فريق
جازما بدينه معتقدا في حقيقته فاليهودي في يهوديته وكذلك النصراني و
عبدة الاصنام وبقي الباقون على الكفر انه جازما ما يكفر القديم واشار المص
بتفسير الاية على هذا الوجه الى دفع ما يتوهم من التناقض بينها وبين هذه
الاية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولون قبل بعثته عم بناء على
انه خلاف الظاهر اذ الظاهر انها اخبار من الله تعالى عن حالهم ووجه الدفع ان مقتضى
كلمة حتى ان يكون الحال بعد تحقق مضمون مدخولها بخلاف ما كان قبل ذلك ومقتضى
المخالفة حاصلة على هذا التفسير من غير احتياج الى حمل الاية الاولى على الحكاية
فان الحكم المغيا بالبعثة هو ثبات الجميع على الكفر الذي كانوا عليه وعدم انفكاكهم
عنه فاذا تفرقوا بعد البعثة بان آمن بعضهم او تردد في دينه فقد تحقق
مقتضى كلمة حتى من غير لزوم التناقض بين الآيتين للدلالة او جزما منه
وضع رموزه واشاراته قوله او عن وعدهم اي وما تفرقوا عن وعدهم
بان الرسول الموعود اذا بعث اجتمع على تصديقه واتباع دينه بسبب انه اخلفوا
الوعد واصروا على الكفر القديم قوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية
تفريع على الوجه الثاني ووجه المشابهة بين الآيتين اشتراكهما في كونهما

في كونهما مستوفيين لتوبيخ من كفر لمن صدقه وعظم قدره قبل فان من استفتح به ع م
اى طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته عند ربه بان يقول اللهم
انصرنا عليهم بحرمة نبيك الذى وعدتنا ببعثته ثم ان الله تعالى لما بعث
كفر به لا شك انه كفر بمن صدقه قبل فكذا كفر من وعد بانه تعالى اذا بعث نستفتح على عدوه
ثم كفر حين بعثته ع م قوله للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان
غيرهم بذلك اولى يعنى ان المقصود من قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
توبيخهم على التفرقة وتعييرهم بذلك والكفار لفعلهم واهل الكتاب اولى واحق
بهذا التعيير والتوبيخ لانهم كانوا على المذهب وحقية امره لوصف مناقبه
وصفاته في كتبهم فلذلك خصهم بالذكر فان جحود العالم اقبح واشنع من انكار
الجاهل مع ان تفرق المشركين يفهم من التنصيص على تفرق اهل الكتاب بطريق
الاولى لانهم اذا تفرقوا مع علمهم كان غير العالم بامره اولى بالتفرق قوله
اى في كتبهم على انها لكل واحد من حرفى الجر متعلق بامروا والوجه في تعذر
كل واحد من الظرفين لا يظهر الا بنقل كلام الامام بعبارته وهو قوله في قوله
وما امروا وجهان احدهما ان يكون المراد وما امروا في التورية والانجيل الا
بالدين الحنيف فيكون المراد انهم كانوا مامورين بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله
وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك الحكم كان مشروعا في حقهم فهو مشروع
في حقنا وثانيهما ان يكون المراد وما امر اهل الكتاب على لسان محمد ع م الا بهذه
الاشياء وهذا اولى لثلثة اوجه الاول ان الاية على هذا التقدير
يفيد شرعا جديدا وحمل كلام الله تعالى على ما يكون اكثر فائدة اولى وثانيها



وثانيها وهو ان ذكر محمد ع م قد تقدم ههنا وهو قوله حتى تأتيهم البينة وذكر سائر
الانبياء ع م لم يتقدم وثالثها انه تعالى ختم الاية بقوله وذلك دين القيمة فحكم بان ما
هو متعلق بهذه الاية دين قيم فوجب ان يكون شرعا في حقنا سواء قلنا بانه
شرع من قبلنا او شرع جديد مختص به بنبينا ع م انتهى كلامه المتعلق بان
المراد بالامر فيه هو الامر الوارد عليهم بالسنة انبيائهم او الامر الوارد
بلسان نبينا ع م محمد وعليهم الا ان المص اختار خلاف ما اختاره الامام
منهم جهين لما لا يخفى من ضعف كل واحد من الوجوه الثلثة التى ذكرها لبيان اولوية ما اختاره
وقال الامام في قوله الا ليعبدوا الله ان هذا اللام لام الغرض والمعتزلة لما كانوا يوجبون
تعليل افعال العباد واحكامه بالاغراض لا جرم اجروا الاية على ظاهرها فقالوا معنى الاية وما

امروا بشيء الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة واهل السنة لما احالوا ان يكون فعل
من افعال الله تعالى لغرض بناء على ان من فعل فعلا لغرض فهو ناقص في ذاته مستكمل بذلك الغرض تعالى
الله عن ذلك لم يلمح لهم حمل هذه الاية على ظاهرها فاضطروا الى تأويلها بان جعلوا اللام صلة و
اضمروا بعدها ان الناصبة والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا بمعنى ان يعبدوا وعن ابن عباس ابن مسعود
انه قراء كذلك قال الفراء العرب تجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرا قال الله تعالى في الارادة مطلب ان اللام للغرض
يريد الله ليبين لكم اى ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله وقال في الامر وامرنا لنسلم اى
ان نسلم يعنى ان نسلم والمص خالفه ايضا في الالتجاء الى هذا التأويل المذكور وحمل الاية
على ظاهرها حيث قدر قوله بما فيها لتكون المعنى وما امروا بما في كتبهم بشيء من الامور الا لاجل
ان يعبدوا الله بالاخلاص على ان يكون الاستثناء من اعم العام ولم يجعلها على معنى وما امروا
بشيء الا بان يعبدوا الله بالاخلاص حتى يكون المامور به مذكورا صريحا لكونه خلاف

الظاهر من حيث استنزامه لان تجعل اللام صلة واضمار ان والباء لجار قبلها خلاف ولعل
ذلك خلاف الظاهر وليدل الكلام على انهم انما امروا في كتبهم بما امروا لاجل عبادة الله تعالى
بالاخلاص ليكون اشارة الى ان الحكمة الاصلية في جميع ما يؤمر به هو العبادة بالاخلاص
لكنه توبيخا لهم على تحصيل من الحكمة وتوبيخا لهم على تعكيسهم فان اتفاقهم ما معهم
من الكتاب ومن القرآن المجيد على دين التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى يوجب الاجماع
على قبوله والتدين بدينه والتجنب عن محل الفتنة والتفرق عنه فهم قد عكسوا الامر
وتركوا طاعته وامتثال حكمه وامره على ان من اليهود من قال عزير ابن الله
ومن النصارى من قال عيسى هو ابن الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم
من قال ثالث ثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك مخالف للتوحيد و
مناف لاخلاص العبادة لله تعالى هذا اصح ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب
وعطف قوله والمشركين اولى السوق من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات
فان قيل كيف يتاتى للمص حمل اللام على ظاهرها وجعل فعل الله تعالى معللا بالغرض وهو لا
يقول به قلنا فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح
وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكم المترتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها
على الفعل بحسب الوجود قوله تعالى مخلصين حال من الفاعل في ليعبدوا وكذا حنفاء
حال اخرى على ان يجوز حالين من ذي حال واحد ومن المنوى في مخلصين على قول من لم يجوز
ذلك وفي حصر علة كونهم مامورين بما في كتبهم في عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما
امروا بما امروا الا لاجل ان يعبدوا الله اي لان يتذللوه ويعظموه غاية التذلل
والتعظيم ولا يطلبوا في امتثال ما كلفوا به شيئا آخر سوى التذلل لربهم وما لهم كثواب

كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ما ذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ما وجبت
لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد والنجاة عن عذاب النار بل لاجل انه عبد وهو
رب فلو لم يحصل في الدنيا ثواب ولا عقاب البتة ثم امر بالعبادة وجبت لمحض العبادة
ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى ان من عبد الله تعالى للثواب والعقاب
فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة ونعم ما قيل من آثر العرفان للعرفان
فقد قال بالثاني ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للموصوف فقد خاض في لجة الوصول
والعبادة هي التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطاء
لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم ولكن في الشرع صارت
اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة بهذا المعنى
لا يستحقها الا من يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يكن ان يصرف
اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية
التعظيم ولذا قيل صلاة الصبي ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله تعالى فلا يكون فعله
غاية التعظيم وثانيهما ان يكون مامورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية
التعظيم لانه غير مامور به فاذا لم يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود
لفقد الامر فكيف يكون فعل الناقص عبادة والحال انه لا امر به ولا تعظيم فيه
وههنا نكتة تتعلق بالموعظة والاخلاص ان ياتي بالفعل خالصا لداعية واحدة
ولا يكون لغيرها من الدواعي تاثير في الدعاء الى ذلك الفعل فكانه تعالى يقول عبدي لا تسع
في اكثار الطاعة بل في اخلاصها لاني ما بذلت كل مقدوري لك حتى اطلب منك
كل مقدورك بذلت البعض فاطلب البعض اطلب نصف مثقال من عشرين مثقالا

لما مر من ان العبادة في الشرع اسم للطاعة لان الطاعة لا بد ان تكون مسبوقة بالامر لانها عبارة عن امتثال الامر

لان الكافر غير مخاطب بفروع الايمان في حق المطالبة بها في الدنيا حيث لم يكن اهلا لثوابها

من الذهب وشاة من الاوبعين لكن العدد الذى فعلته لم ارد به بفعله سواك هو الذى خلق لكم
ما فى الارض جميعًا فلا نرد بطاعتك سواك واجعل جميع ما نفعله لاجلك وهو قوله تع وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وجعل جميع ما يأتيه من الطاعات فالصالوة ينافى ان يستثنى
شيأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار وان كان لا بد من ذلك وكالمباح
الذى يوجد منه فى الصلوة كالحك والتنحنح فان ذلك حظا استثناه لنفسه فانتفى به الاخلاص
فكيف اذا استثنى شيأ منها لغيره مثل ان يوجد به الرياء والسمعة فقالوا لو زاد فى العبادة
عبادة اخرى لاجل الغير ان يزيد فى خشوع الصلوة لان الناس يرونه لم يجز لانه ينافى
الاخلاص وكذا لا كوزد فى الركوع الى الوالدين والمولودين ولا للعبيد ولا للاماء
لانتفاء الاخلاص فاذا كان طلب صلة الوالدين والاولاد منضما الى نية اهل القربة
منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها حظ نفسك وقضاء شهوتك قوله
مايلين عن العقائد الزايغة اشارة الى ان اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف
الذى اقبلت احدى ابهامى رجليه على الاخرى وعن ابى زيد الحنف انقلاب ظهر القدم
حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها وقال الامام
المراد من قوله حنفاء مستقيمين والحنف هو الاستقامة وانما سمى مائل القدم احنف على سبيل
التفاؤل كقولهم للاعمى بصير وللمهلكة مفازة انتهى والمصنف جمع فى تفسير مفهوم
الحنف معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزائغة انما يكون بالاستقامة فيها
قوله دين الملة القيمة قيل لا بد من هذا التقدير لانه اذ لم يحمل على هذا كان من
قبيل اضافة الموصوف الى صفته بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه كما فى نحو صلوة الاولى ومسجد
الجامع فانه تقديرها صلوة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فحذف المضاف اليه واقيمت

واقيمت الصفة مقامه والملة والدين متحدان بالذات متغايران بالاعتبار
وان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تع تسمى ملة
باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال
دان له اى اطاعه والدين ايضا العادة والشان وايضا الجزاء والمكافات
يقال دانه دينا اى جازاه ولهذه المغايرة الاعتبارية بينهما جاز اضافة
احدهما الى الاخر وعن الراغب ان الدين اعم من الاسلام لانه فى الحق والباطل والاسلام
لا يستعمل الا فى الحق قال الله تع ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن تقبل منه انتهى وهو لا ينافى اتحاد الدين والملة بالذات غاية ان تكون الملة
ايضا اعم من الاسلام والمراد من القيمة اما المستقيمة او القائمة قال الزجاج
القيمة المستقيمة التى لا عوج فيها يتبين الحق من الباطل من قام يقوم اصله قيومة
فادغم كما فى سيد وهو كقولهم قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وعن الخليل
ان القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الاية وذلك دين القائمين لله
بالتوحيد وعن الراغب ان القيمة ههنا اسم للامة القائمة بالقسط المشار اليه
بقوله تع كنتم خير امة وقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله من قولهم قام فلان
بالامر يقوم به اذا اجراه على وجهه ومنه يقال للقائم بامر القوم القيم وبعض اهل
الاديان لما بالغوا فى باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى
والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم فى الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين
بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة
يقولون لا يضر المعصية مع الايمان فالله تع خطأ الفريقين فى هذه الاية وبين انه لا بد من
العلم والاخلاص فى قوله مخلصين ومن العمل فى قوله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ثم قال

وذلك المجموع كله هو دين القيمة اى الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن
واحد كذلك هذا المجموع دين واحد ثم القيم من يقوم بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح
نفسه فكانه سبحانه يقول القايم بتحصيل مصالحك عاجلاً وآجلا هو هذا المجموع قوله
يوم القيمة او في الحال يريد ان المراد بنار جهنم اما حقيقة النار واما ما يؤدى اليها
من العقايد الزايغة والاعمال الباطلة بطريق المجاز المرسل فاستغراقهم فيها على الاول
يكون يوم القيمة وعلى الثانى يكون في الدنيا وذكر كفروا بلفظ الفعل والمشركين بلفظ اسم
الفاعل تنبيها على ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتورية
والانجيل ومقرين ببعث محمد عم ثم انهم كفروا بذلك بعد مبعثه عم بخلاف المشركين فانهم
ولدوا على عبادة الاوثان وانكار الحشر والقيمة قوله واشتراك الفريقين في جنس العذاب
جواب عما يقال ان المشركين كانوا منكرين الصانع ومنكرين النبوة ومنكرين القيمة واما اهل
الكتاب فانهم كانوا معترفين بكل من هذه الاشياء الا انهم كانوا منكرين لنبوة محمد عم فكان
كفر اهل الكتاب اخف من كفر اهل المشركين واذا كان كذلك فكيف يجوز التسوية بين الفريقين
في العذاب وجوابه ان الفريقين لما اشتركا في اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات
وهو الخلود في نار جهنم فانها نار في موضع عميق مظلم هايل لا مفر عنه البتة يقال بئر
جهنام اذا كان بعيد القعر ولما كفروا طلبا للرفعة صاروا الى اسفل السافلين واشتراكهما
في هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه قوله وقرأ نافع البريئة بالهمزة
على الاصل لانه من براء الله الخلق بروءًا فهو البارئ اى الموجد والمخترع من العدم
الى الوجود وقرأ الباقون بغير همزة على التخفيف كالنبى وهى فعيلة بمعنى مفعولة و
القراءة بالهمزة وان كان هو القياس والاصل الا ان ترك الهمزة اجود من حيث ان جمهور
العرب قد استمروا على تخفيف الهمزة فيه وفي النبى فكانت القراءة بالهمزة كالشئ المرفوض

المرفوض المتروك المخالف للاستعمال وقيل من البرى وهو التراب لانها خلقت منه
ورد بان قراءة من قرأها بالهمزة يدل على فساد قول من قال انها من البرى الذى هو التراب
الا يرى انه لو كان كذلك لما جاز قراءتها بالهمزة البتة وتوسيط ضمير الفصل في قوله
اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق
لانهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق
على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال
فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب واسلم خرج من الوعيد
وقيل لا يجوز ان يدخل في الاية من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم واما الاية
الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم قوله وعملوا
الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى ذلك ان لا يلزم الواحد جميع الصالحات بل لكل مكلف
حظ فحظ الغنى الاعطاء وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة قوله جزاؤهم مبتداء
وجنات عدن خبره وفي الكلام حذف مضاف اى دخول جنات عدن وعند ظرف للجزاء وخالدين
حال ودخول الحال عاملة لما لهما مضمرين يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزونها خالدين ولا يجوز
ان يكون ذو الحال الضمير المجرور في جزاؤهم لما ذكره مكي محتجا بان المصدر هنا في تقدير
ان والفعل يلزم ان لا يفرق بينه وبين ما يتعلق به فانه انما يمتنع ان يفصل بينه
وبين ما يتعلق به اذا كان بمعنى ان فعل وان يفعل وليس الامر كما ذكر لان الاحداث
منها جعلت عاملة فلا بد من ان يكون في تقدير ان والفعل واذا كان كذلك يقع الفصل
بين المصدر الذى هو جزاؤهم ومعموله الذى هو خالدين بالخبر الذى هو جنات وذلك لا يجوز
عند جميع النحاة وابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اى لا يموتون فيها ولا يخرجون منها

نبه الله بعض البرية بنى آدم عم واخرج الملك منها لئلا يلزم تفضيل البشر على الملك ومن فسر البرية بالخليقة جعل في الآية دلالة على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة منه

قوله فيه مبالغات اي مبالغات في اعلاء قدرهم واجلال شانهم وتقديم مدحهم على بيان مصيرهم
ومآلهم مع ان الكلام مسوق لبيان مآل الفريقين وعاقبة امرهم مبالغة في اعلاء شانهم وانما قلنا ان
الكلام مسوق لبيان مآل الفريقين لانه ذكر حال الكفار بقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اولاً
ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله ثم اعاد في آخر السورة ذكر الفريقين فبدا
الكفار واجزائهم في نار جهنم واتبع هذا الاخبار ذمهم بانهم شر البرية ثم علم من ذلك ان الكلام مسوق
لبيان عاقبة الفريقين فكان المناسب له ان يقدم بيان عاقبة المؤمنين على مدحهم بانهم خير البرية فلما عكس
هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة في ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا
بانها هي النكتة فيه ودلالة جعل الجنات الموصوفة جزاءً لهم على تلك المبالغة ظاهرة لان جلالة
الجزاء تدل على جلالة شانهم بحيث اتصافهم بما وصفوا به من الايمان والعمل الصالح والحكم على ذلك
الجزاء بانه من عند ربهم يدل على علو قدرهم وعلو قدره يدل على علو قدر صاحبه قوله
وجمع فانه يدل على ان لكل مكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم
قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه انه يبكي من خوف الله تعالى وذلك
البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان من الاثنين فاستحق به جنتين من الجنتين فحصل له
اربع جنات لسبقه بالبكاء باربعة اجفان وقيل انه لما جعل الجمع بالجمع في قوله جزاؤهم
عند ربهم جنات وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى
تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشرات كذا ودرجة علو ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيراً
قوله وتقييدها اضافة فانه يفيد ان يكون المعنى جزاؤهم بساتين اقامة لا يخرجون منها ولا
يبغون عنها حولاً فان العدن بمعنى الاقامة بالمكان عدن اذا اقام قوله ووصفها بما يزداد
لها نعيمها فان نقصان البستان وعيبه قد يكون بانعدام الماء فيه وقد يكون بكثرة الماء فيه بحيث يخرج

يغرق البستان فيه ثم ان الماء الجاري ازيد لطفا وشرفا من الراكد فانه تعالى نفى النقصان
بانعدام الماء عنها بان وصفها بانها ذوات الماء ثم وصفها بما يزداد لها نعيمها بان جعل ماءها
جارياً ونفى نقصانها بكثرة الماء بقوله من تحتها الانهار والالف واللام في الانهار للتعريف فيكون منصرفا
الى الانهار المذكورة في قوله تعالى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفي توصيفها بالجري بعد
ما جعل الجنات الموصوفة جزاء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعة كانه تعالى يقول طاعتكم كانت
جارية ما دامت حيا على ما قال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فلذلك كانت انهار ذكره جارية الى
الابد ولعل المراد بالوصف في قوله ووصفها بما يزداد بها نعيمها الوصف المعنوي الذي
اعم من الوصف النحوي لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه
الدالة على المبالغة مع ان الخلود في الجنة خير من الجنة كما ان رضاء الله في الجنة خير من الخلود في
الجنة ولما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهد بهما في طاعة ربه اقتضت
الحكمة ان يجزى بما يتنعم ويتروح كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة
الروح هو رضاء الرب فلذلك استانف ببيان حصوله للمكلف في دار الكرامة بقوله رضي الله عنهم
سورة الزلزلة مكية اضافة الزلزال الى الارض لما دلت على اختصاصها و
تعرفه بسببها ولم يتبين ان ذلك المعنى المخصوص بها اي اضطراب هو بينه
المصراق لا بانه الاضطراب الذي قدر الله للارض عند احدى النفختين
فانه قد سبق في علم الله وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديداً عند النفخة الاولى
لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياءً من بطن الارض كما يخرج الولد
من بطن امه فقوله زلزالها مثل قولك لاعطينك عطاءك اي ما قدرت في نفسي ان اعطيك
اياه وبينه ثانياً بان يعرف الاضافة في زلزالها لافادة العموم والاستغراق
كتعريف اللام في قوله ان الانسان لفي خسر فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به العهد

يفيد العموم فمعنى زلزالها جميع ما يمكن فيها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب
ويتفرع ثالثاً بان تعريف الاضافة فيه للاشارة الى المعهود وهو القدر اللائق بها الحكمة وهو
الزلزال الشديد الذي يستحقه ويقتضيه كونها قاعاً صفصفاً بانقلاب جبالها وتلالها وتطيرها عليها
كالهباء المنبث حتى تمتد وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة مع جرمها
وصلابتها فانها لا تصل الى هذه الغاية الا بزلزال شديد يجيئها كذلك فكان ما سواه ليس
بزلزال بالنسبة اليها ونحوه قولك اكرم التقي الكرامة واهن الفاسق الاهانة تريد ما يستحقانه
ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال
بالفتح لا يوجد الا في المضاعف كالصلصال والقلقال وقد جاء نادراً في غيره قالوا ناقة خزعال اذا
كان بها ظلع وقسطال وهو الغبار وليس من المضاعف واما القهقار فلغة ضعيفة و
اللغة الفصيحة قهقر بتشديد الراء وهو الحجر الصلب واما بهرام وبسطام فعجميان
قوله الدفائن والاموات فمن قال المراد بهذه الزلزلة الزلزلة الاولى استدلالاً بقوله يوم
ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فان المراد بالرجفة فيه ما يكون عند النفخة الاولى
فهو يحمل الاثقال على الكنوز المدفونة في الارض ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية يفسر
الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تشبيه ما في جوف الارض من الدفائن بالحمل في البطن
واثقالها فعبر عنه بالاثقال مجازاً روي عن ابي عبيدة والاخفش انه اذا كان الميت في بطن
الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقيل للجن والانس ثقلان
لان الارض تثقل بهم اذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها اذا كانوا فوقها وقيل
اثقال الارض اسرارها فيومئذ تكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها
فتشهد لك او عليك قوله لما يبهرهم من الامر الفظيع الهائل اي يغلبهم اشار الى ان
الاستفهام في ما لها للتفظيع والتهويل فان من رأى تلك الزلزلة الهائلة سواء كان ممن



من آمن بالبعث والقيامة او كفر وانكره يجوز ان يقول هذا القول لما يغلبهم من الحيرة
وفرط التحير حين ما غشيهم وافزعهم زلزلة الساعة بغتة الا ان المؤمن يقوله ما تدارك
الامر ورجع اليه عقله وتذكر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فامره
ظاهر لا يعاش اعمى وحشر اعمى ولذلك قيل الكافر احمق الحيوة واحمق الموت وبهذا
ظهر ضعف استدلال من خص هذا القول بالكافر بان المؤمن يعلم ما لها ولا يجزع ولا يضطرب
بل يتيقن بانها مقدمة البعث الذي وعد الرحمن لان هذا اليقين لا ينافي الدهشة في اول
الوهلة وما لها مبتدأ وخبر ومن كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت هذه الزلزلة الشديدة
ولفظت ما في جوفها من الاثقال يقول متعجباً لما يراه من العجائب التي لم تسمع بها الآذان ولا
ينطق بها اللسان قوله تحدث الخلق اشار الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق
واخبارها مفعوله الثاني الا ان المقصود لما كان تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق اقتصر على المفعول
الثاني وانما قلنا ان المقصود ذلك لانه لما سئل عما لاجله زلزالها واخراجها كان المقام مقام
ان يبين جواب الارض وتحديثها بان السبب الذي حملها على هذه الزلزلة والاخراج ما هو
ويكفي في هذا البيان ذكر الاخبار التي حدثت الارض بها ولا حاجة الى ذكر الخلق الا ان الارض
لكونها جماداً لا فهم لها ولا تمييز لم يمكن تحديثها بلسان المقال لتوقفه على الطبع والعقل
بل لم يبق الا بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها
بسبب الزلزلة دل على ان الدنيا قد انقضت وان الآخرة قد اقبلت والمحاسبة والجزاء
قد دنا وقتهما فلذلك وقعت الزلزلة والاخراج ومن الدلالة اقيمت مقام التحديث
فعبر عنها به وقال الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيواناً عاقلاً ناطقاً يعرف جميع ما عمل عليها
ثم تشهد لمن اطاعه وعلى من عصاه وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قرأ هذه الاية فقال اتدرون

ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها
تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها وقال مقاتل تخبر بما عمل عليها تقول للمؤمن
وحّد الله عليّ وصلّى وصام وحجّ وزكّى ويقول للكافر كفر عليّ وأشرك وسرق وزنى فودّ
الكافر أنه يُسحب إلى النار قوله أو أمر عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب إذا الوجهين الأول
أنها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها فالعامل فيه هو العامل فيها والثاني أنها منصوبة
بمضمر نحو اذكر إذا زلزلت أو إذا زلزلت يظهر جميع أحوال الخلق فيجازى كل أحد بما يستحقه
ويدل على هذا المحذوف ما بعده من قوله يومئذ إلى آخر السورة في كلام صاحب يومئذ تحدث و
لكن فيه نظر فإنه أصالة لا بد لها من طرف آخر ولا يجوز أن يكون العامل في إذا نفس زلزلت
كما ذهب إليه مكي فيما نقل عنه وكما في نحو من تضرب أضرب وما تفعل أفعل فإن ما بعدهما
يعملان فيهما مما يعمل في إذا وأما قلنا إنه لا يجوز في إذا لأنه مضاف إلى الفعل الذي بعده والمضاف
مع المضاف إليه كالشيء الواحد فكما لا يجوز أن يعمل بعض الكلمة في بعض فكذلك لا يجوز أن يعمل
المضاف إليه في المضاف وليس كذلك أداة الشرط مع الفعل لأنها ليست بمضافة إلى الفعل
فاعرف الفرق بينهما قوله أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها بأن أحدث فيها ما دلت على الأخبار
إشارة إلى أن الباء في بأن ربك أوحى لها سببية متعلقة بتحدث وأن معنى إيحاء الله للأرض
تسخيرها وتذليلها بأن حملها على التحديث طائعة أو كارهة ثم إن تحديثها بلسان الحال فرجع
تسخيرها على التحديث هو أن أحدث فيها أحوالا دالة على الأخبار فمعنى تحديث الأرض هو دلالة
ما عليها من الأحوال المحدثة ومعنى الإيحاء إحداث تلك الأحوال الدالة فيها وإن كان تحديثها
بلسان المقال يكون معنى الإيحاء والتسخير إحياؤها وإنطاقها بها وأمرها بالتحديث قوله
إذ تعالى حدثت كذا وكذا جواب عما يقال كيف يكون بدلا من أخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عُدّي

عدّي إليه الفعل بلا واسطة الباء فأجاب عنه بأن كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدّي
إلى المبدل منه بنفسه وإلى البدل بواسطة الحرف جريا على كل واحد من الاستعمالين فكأنه قيل
تحدث أخبارها تحدث أن ربك أوحى لها أو تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها وعلى هذا الوجه كان
الظاهر أنه تعالى يومئذ تحدث خبرها بالإفراد لأن ما بعده لما كان بدلا عنه لزم أن يكون الخبر الذي حدثت
الأرض به إيحاء الرب لها وهو خبر واحد لا أخبار متكثرة إلا أن إيحاء الله إياها وإن كان
خبرا واحدا لكنه لتضمنه معاني كثيرة وفوائد عظيمة نزل منزلة أخبار كثيرة فعبر عنه بلفظ الجمع
لما ورد أنه تعالى أن فعل الإيحاء يتعدى بإلى كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل فلم تعدّى
في الآية باللام ولم يقل إليها أجاب عنه أولا بأن معنى أوحى لها أوحى إليها كما في قوله وشدّها
أي الأرض بالرواسي الثبت أوحى لها القرار فاستقرت وثانيا بأن اللام على أصل معناه
أي فعلنا ذلك لأجلها في توسل الأرض بذلك إلى التشفي من العصاة فقوله إذ لها في ذلك
تشفٍّ من العصاة بيان لوجه كون الإيحاء لأجل الأرض قوله من مخارجهم متعلق بقوله يصدر
يعني يتفرقون ويرجع فإن الصدر ضد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف
والناس قد وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها إلى موقف الحساب ليروا
أعمالهم في كتبهم أو يروا جزاء أعمالهم قوله متفرقين بحسب مراتبهم فإن بعضهم يذهب إلى
الموقف راكبا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي بين يديه هذا ولي الله وآخرون يذهب بهم
يذهب بهم بالذلة وسواد الوجه حفاة مع السلاسل والأغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا
عدو الله وقيل معنى أشتاتا أن لكل فريق من شكله اليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى
قوله ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب جواب عما يقال
إن حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة إما ابتداء وإما بسبب اجتناب الكبائر فما
معنى الجزاء بمثقال الذرة من الخير والشر وحاصل الجواب الأول أن حسنات الكافر وإن كانت محبطة

يعني انه لا يستحق ثوابا الا انه لا ينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينتقص جزاء عقاب كفره
بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المومن وان كانت مغفورة من حيث انه لا يعذب بها الا ان ذلك
لا ينافي ان يرى جزاءها بان ينتقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات فاحباط
تلك الحسنات والسيئات لا يكفر فادخلها في عموم هذه الاية وما هو الجواب بين الاخيرين ظاهر واجيب
عنه ايضا بان معنى الاية فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى
يلقى الاخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مومن فانه يرى عقوبته ذلك
في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى يلقى الاخرة وليس له فيها شر وقال ابن عباس رض ليس مومن
ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه فاما المومن فيغفر له سيئاته ويثيب بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته قوله والذرة النملة الصغيرة قال الكلبي الذرة اصغر
النمل وقال ابن عباس رض اذا وضعت راحتك اي يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق
بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى وزنه ذرة وقراء هشام باسكان الهاء في
الموضعين وصلا ووقفا وباقي السبعة يقرؤنها باشباع ضمة الهاء اي موصولة بالواو وصلا
وبسكونها فانه مرشد الى ان يكثر وتحذيرا من الشر والذنب وان كان قليلا فانه يوشك ان يكون
كثيرا ولهذا قال عم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة سورة العاديات
وهي جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء منقلبة عن
الواو لكسرة ما قبلها نحو الغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل
واجوافها اذا عدت وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا
ثلثة اوجه الاول انه مصدر موكد لفعل المحذوف اي تضبح ضبحا على ان يريد العاديات
بالجماعة او يضبحن جريا على لفظها وهذا الفعل المقدر في موضع النصب على انه حال
من العاديات والثاني انه مصدر موكد للعاديات لان الشرط في عامل المفعول المطلق ان


ان يتحد في [illegible] المعنى لا في اللفظ والاتحاد في المعنى حاصل هنا لان الضبح لكونه من لوازم
العدو صار مدلولا التزاميا له فكان قوله والعاديات في معنى والضابحات فصح انتصاب ضبحا به
على انه مفعول مطلق له والثالث انه حال من المنوي في والعاديات فقوله والعاديات ضبحا اي
ضابحة في العدو وعلى ارادة الجماعة او ضابحات على اللفظ فقوله ضبحا من باب رجل عدل
وكذا الكلام في انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا موكدا للفعل المحذوف اي يقدحن
قدحا والقدح الصك والضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرج
منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لانها بمعنى القادحات اي يدل عليها التزاما ويجوز
ان يكون حالا من المنوي في والموريات بان يكون المصدر بمعنى الفاعل اي قادحة وانتصاب
صبحا على الظرفية وهو ما اشار اليه بقوله اي هو في وقته قوله تغيرا هلها على العدو واسناد
الاغارة الى الخيل مجاز والمراد اربابها لانهم هم المغيرون على العدو وصبحا ها
لانهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين
للمدافعة والمحاربة واما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد
قوله فاثرن به واصله اثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا
فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقي اثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار
اذا هاج واثرته انا هيجته قوله غبارا او صياحا قال الامام في النقع قولان احدهما انه
هو الغبار وقيل انه ماخوذ من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمي نقعا لارتفاعه وقيل
هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل في الماء والثاني ان النقع الصياح
من قوله عم ما لم يكن نقع ولا لقلقة اي فهيجن في الاغارة عليهم صياح النوائح وارتفاع
اصواتهن واختار المص ان ضميره راجع الى الزمان الذي وقعت الاغارة فيه وهو الصبح
فتكون الباء بمعنى في وقيل انه يرجع الى المكان الذي وقعت الاغارة فيه وذلك المكان وان لم يجر

ذكره هنا الآن قوله فالمغيرات صبحا يدل عليه لان الاغارة لا بد لها من موضع فالباء ايضا
للظرفية وقيل انه راجع الى العدو المذكور بقوله والعاديات ضبحا واثرن بالعدو نقعا فالباء للسببية
وزاد في ضمير فوسطن به احتمال رجوعه الى النقع لوزن فذكروا على ان تكون الباء متعلقا بمحذوف
منصوب على الحالية من المنوي في قوله فوسطن روي عن ... ان رسول الله عم بعث سرية
الى حي من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فمكثت ما شاء الله ان تمكث ولم يأته
خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى بقوله والعاديات ضبحا الخ وبين بذلك
سلامتهم لا شتمهم وانهم توسطوا الجمع في وقت الصبح جماعة الاعداء فاغاروا عليهم
على خبر شاء المنزل ان المنافقين كاذبون في قولهم انهم قتلوا جميعا فان جعلنا الالف واللام
في والعاديات للعهد كان المقسم به خيل السرية وان جعلناهما للجنس كان ذلك قسما
بكل خيل عدت في سبيل الله تعالى واتصفت بالصفات المذكورة وعلى كلا التقديرين
فهي مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفة الشريفة    اقسم تعالى بها
اعتبارا واظهارا لشرفهن اللازم لجعلهن مقسما بها فان الاقسام انما يكون
بما فيه شرف وكمال وعدو من سار عليهن في الارتقاء الى درجات الكمال
الروحانية وضبحهن ما طرء عليهن من التعب بسبب اجتهادهن في مباشرة
اسباب ذلك الارتقاء وقوله اذا ظرف لقوله والمغيرات على الهوى
اي والمغيرات الماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان
طلع عليهم صبح العرفان وتجلى انوار مشاهدات صفات الجلال والجمال    تعا
لربه متعلق بكنود قدم للفواصل اي انه لكنود لنعم ربه عن الواحدي ان
الكنود منع الحق والخير والكنود الذي يمنع ما عليه والارض الكنود هي التي لا تنبت
شيئا ثم للمفسرين عبارات في تفسيره قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك

و الضحاك وقتادة الكنود هو الكفور قالوا ومنه سمي الرجل المشهور بكندة لانه كند اباه
ففارقه وعن الكلبي ان الكنود بلسان كندة العاصي لسيده وبلسان بني مالك البخيل
وبلسان مضر وربيعة الكفور وروى ابو امامة عن النبي عم ان الكنود الذي يمنع رفده    اي عطاءه
ويأكل وحده ويضرب عبده واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفورا او فسقا و
كيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين على ما روي انها نزلت في قرط
بن عبد الله وقيل نزلت في حباب وكان رجلا بخيلا وكان من بخله انه كان لا يوقد النار الا
اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفاها لئلا ينتفع بها احد وكان في عصر حاتم الطائي
المشهور بالسخاء واجتمع معهما في عصرهما ثالث يقال له الاشعب وكان مشهورا بالطمع حتى
اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن انه ينزع قميصه ليدفعه اليه وتوبيخ قوله تعالى افلا يعلم اذا
بعثر ما في القبور فانه لا يليق الا بالكافر المنكر لذلك الامر وان حملناه على الكل يكون المعنى
ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا اعصمه الله تعالى بلطفه ووفقه من ذلك قوله لظهور اثره
عليه اشارة الى انه ليس المراد حقيقة الشهادة لان قوله تعالى لشهيد ذكر مطلقا اي غير مقيد بزمان فيدل
على انه شهيد في عموم الاوقات وليس كذلك بل المراد من شهادته على نفسه بالكنود انه امر ظاهر لا يمكنه
ان يجحده وينكره فصار بذلك كانه شهد به على نفسه وقيل يشهد على نفسه بذلك في الآخرة و
يعترف بذنوبه قوله او وان الله على ان يكون ضمير انه لله جل ذكره بناء على ان الاصل في الضماير
ان يرجع الى اقرب ما ذكر مما يصح ان يرجع اليه والاقرب الاول في منع الآية هو لفظ الرب فيكون
الآية وعيدا وزجرا له عن المعاصي من حيث انه تعالى يطلع على اعماله وعلى الاول يكون تأكيدا لكونه
كنودا لنعم ربه ويؤيد الاول هو رجوع ضمير انه الى الانسان وان ضمير قوله وانه لحب الخير
لشديد راجع الى الانسان فناسب ذلك ان يرجع ضمير الآية التي قبلها الى الانسان ايضا ليحصل حسن

الانتظام ويكثر زمن تفكيك الضمائر قوله جمع محصلاً في الصحف كلمة في متعلقه بجمع بقرينة
ما في الكشاف من قوله ومعنى حصّل جُمع في الصحف اي أُظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج الشيء
المستور باطن المخلوط به واَضح منه كاخراج اللبّ من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن
والبرّ من التبن والدهن من اللبن ومن الدردي دلجي واظهار من لوازمه قوله
او ميّز وفي الكشاف ميّز بين خيره وشره ومنه قيل للمُنخُل المحصل اي أنه التحصيل
وتمييز الدقيق عن النخالة فانه لابدّ من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه
والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة في تمييز البعض وتخصيص كل واحد منها بحكم اللائق به
هو التحصيل قوله وتخصيصه لانه الاصل جواب عما يقال لم خصّ اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصّل ما
في الصدور واهمل اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا
الباعث والارادة في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك جعل الله تع القلوب اصلاً
في المدح والذمّ حيث قال وَجِلَت قلوبهم وقال آثم قلبه والعامل في الظرف وهو قوله
اذا بعثر لا يجوز ان يكون يعلم او بعثر او لخبير او مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير
لا يجوز ان يعمل فيه يعلم كما ذهب قوم لان الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وانما
يراد منه ذلك في الدنيا فلابد ان يؤول النظم على وجه يندرج قولنا فلا يعلم الانسان الآن
ان الله تع عالم به اي بجميع ما عمله برًّا وجهرًا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولا بعثر
كما ذهب آخرون لهذا الوجه ولان بعثر اضيف اليه اذا والمضاف اليه لا يعمل في المضاف
لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة في بعضها ولا خبير لان ما بعد انّ لا يعمل فيما قبلها واذا
كان كذلك ثبت ان العامل فيه مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي افلا يعلم الانسان الآن
في الدنيا ان الله تع يجازيه اذا بعثر او افلا يعلم علم الله تع اياه اذا بعثر فيكون المدلول
هذا

هذا المدلول الذي قدر عاملاً في اذا ساد اسيد مفعول يعلم ويمكن ان يتوجه لمن قال
ان العامل فيه يعلم بان ما ذكر من ان الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت انما يرد اذا
كان ضمير يعلم راجعا الى الانسان وذلك غير لازم لجواز ان يكون يرجع الى الله تع ويكون مفعولا
يعلم محذوفا والتقدير افلا يعلمهم الله عالمين بما عملوا اذا بعثر على ان يكون العلم كناية عن
المجازات والمعنى افلا يجازيهم اذا بعثر ويكون قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير تحقيقا وتقريرا
لذلك المعنى وتصريحا بالوعيد والتهديد وهذا معنى صحيح لا غبار فيه وقوله يومئذ معمول
لقوله لخبير وحيلولة اللام بينهما لا تمنع من ان يعمل فيما قبلها لان حكم منع اللام وصفها
ان يكون في اول الكلام كانّ لكنها اخّرت لاجل صلاة انّ على المبتدأ فلا يمنع فان قيل فان
كيف صحّ ان يكون يومئذ ظرفا لخبير مع انه يوهم اختصاص علمه بهم بذلك اليوم والحال انه تع
لم يزل عالما ويمتنع ان يسبقه جهل ما ابدًا قلنا العلم كناية عن الجزاء وهو يقع يومئذ
فاللازم اختصاص تمام الجزاء بذلك اليوم والامر كذلك قوله وانما قال ما في قال بعض الشراح
في الجواب عما يقال عبّر عن اهل القبور اوّلا بكلمة ما وهي في الاغلب لا تطلق الا على غير
اولي العلم واطلاقها على اولي العلم قليل نادر كما حكى ابو زيد سبحان ما سخّركنّ لنا
وسبحان من يسبّح الرعد بحمده وقال الله تع وما ملكت ايمانكم كذا في الشرح الرضي و
الظاهر ان المثالين الاولين من قبيل ما استعمل كلمة ما في صفات العالم كما قرّر في قوله تع
والسماء وما بناها وان المثال الثالث من قبيل قولهم ليس للنساء من الولاء الا ما
اعتقن او اعتق من اعتقن لحرمة عبّر بهم عن المعتق بفتح التاء بلفظها وعن المعتق
بكسر التاء بلفظ من الحاقا للرقيق الذي يتعلق به العتق بالبهائم من حيث انه محجور
عن التصرف فيها بخلاف المعتق بالكسر فانه لحريته عاد الى حالته الاصلية وهي الانسانية
فعبّر عنه بمن كذا افاده الشريف الجرجاني في شرح الفرائض ثم انه تع عبّر عن اهل القبور

بعضهم العقلاء حيث قال ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة في ذلك وجوابه انهم ما داموا
في القبر اموات وجمادات فعبر عنهم في تلك الحالة بما يعبر به عن غير اولى العلم وانهم يوم
القيمة احياء وعقلاء فعبر عنهم بصيغة من يعقل باعتبار تلك الحال توفية لكل من حقها

سورة القارعة مكية النوع الحرب بشرع واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة
من حوادث الدهر قارعة قال الله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
واتفقوا على ان القارعة اسم من اسماء يوم القيمة سمي بها اما لان الاجرام العلوية
والسفلية تصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب تلك القرعة سمي يوم
القيمة بالقارعة او لانه تقع فيه الحالة التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع والسموات
بالانشقاق والانفطار والشمس والقمر وساير الكواكب بالانتثار والجبال بالدك والارض
بالزلزال والتدمير والخسف قال المص في سورة الحاقة في تفسير قوله تع كذبت ثمود و
عاد بالقارعة اي الحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار قوله
القارعة مبتدا وما مبتدا ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدا ووضعت القارعة
موضع الضمير العايد الى المبتدا تفخيما لشانها وزيادة افادة لزيادة التهويل وتقرير
الكلام القارعة اي شيء هي ثم زادها تفخيما حيث قال وما ادريك اي اي شيء اعلمك ما
القارعة فانها حادثة عظيمة وحالة هايلة لا تحيط بها دراية دار وما الاولى وما
الثانية مبتدا ثان والقارعة خبر المبتدا الثاني والجملة في محل النصب على انها مفعول
ثان لادري ومفعوله الاول الكاف وادريك ما في خبرها في محل الرفع على انه خبر المبتدا
الاول فان قلت اذا اخبرت عن شيء بشيء فلا بد وان تستفيد منه علما زايدا وقوله وما
ادريك يفيد كونك جاهلا به فكيف يعقل ان يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا بهذا الخبر
علم زايد لانا كنا نظن انها قارعة كساير القوارع وبهذا التمهيد علمنا انها قارعة فايقة



فايقة القوارع في الهول والشدة والفراش جمع فراشة قال الزجاج هو الحيوان
الذي يتهافت في النار والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه شبه الله الخلق وقت
البعث في هذه الاية بالفراش المبثوث وفي اية اخرى بالجراد المنتشر ووجه التشبيه بالجراد
هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا
فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الاخر كالفراش فانه اذا ثار لا يتجه الى جهة واحدة
بل يختلف جهاتها وقيل الفراش غوغاء الجراد فان الجراد اذا صارت له اجنحة وكادت
تطير ولم تطر بعد فانه يسمى غوغاء وقد شبه الناس به عند البعث من حيث انهم يموج
بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول قوله وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه
القارعة اي يوم تقرع في يوم يكون ويحتمل ان يكون مفعولا لاذكر مضمر وقيل القارعة
مرفوعة على انه فاعل فعل ويوم منصوب به تقديره ستاتي القارعة يوم يكون قوله
كالصوف ذي الالوان فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان على ما قال الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود اذا تفرقت اجزاؤها وازيلت التاليف والتركيب
عنها تصير شبيها بالعهن وهو الصوف الملون بالوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدد
الاجزاء قال الخليل النفش مدك الصوف حتى ينتشر ووجه الشبه هو التلون والتفرق
جميعا بان ترجحت مقادير انواع حسناته اشارة الى ان الموازين جمع موزون وهو العمل
الذي له وزن وخطر عند الله تع وتعدد جهاته واضافة المقادير الى الانواع من باب
مقابلة الجمع بالجمع فتفيد انقسام الاحاد اي اذا ترجح مقدار كل نوع من انواع اعماله
الصالحة على مقدار ما يقابل ذلك النوع من سيئاته يطيب عيشه وقال المتكلمون
ان نفس الحسنات والسيات لا يصح وزنها بل المراد الصحف المكتوب فيها الحسنات و
السيات بوزنه او يجعل النور علامة الحسنة والظلمة علامة السيات فيوزنه

النور بالظلمة فاما ان ترجح عليها او يخف منها وقبل الموازين جمع ميزان وذكر
بلفظ الجمع تعظيما له عن ابن عباس رض ان الميزان له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين
فيؤتى بحسنات المطيع في احسن صورة فترجح فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح
صورة فتخف وزنه فيدخل النار وكيف لا يثقل ميزان حسنات المطيع وانها في الدنيا
اثقل شيء على النفس وحق لميزان لا يدخل فيه الا الحسنات ان يثقل وكذا المعاصي اتباع
الباطل كانت اخف شيء على النفس في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه الا المعاصي و
السيئات حق له ان يخف قال بعضهم انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف

قوله ذات حمى على انه صيغة الفاعل للنسبة لا للحدوث مثل تامر ولابن والحمى اشتداد
الحرارة يقال حمي التنور بكسر الميم حميا اى اشتد حره والمعنى ان ساير النيران بالنسبة
اليها كانها ليست حامية وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها نعوذ بالله
من انواع عذابه وعقابه ومما يؤدي اليها قولا وفعلا وخلقا سورة التكاثر مكية
والتفاعل يستعمل على احد ثلثة اوجه الاول لمفاعلة الاثنين فصاعدا والثاني التكلف
في اظهار ما ليس فيه تعاميت عن امر كذا اذا تكلفت العمى عنه ونحو التغافل والتمارض
والثالث ان يستعمل بمعنى الثلاثي نحو تباعدت بمعنى بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه الآية
يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل ان يراد مكاثرة الاثنين مالا او عددا بان يقول كل واحد منهما
لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل ان يكون تكلف الكثرة فان الحريص على الدنيا
يتكلف جميع عمره بتكثير ماله وكذا الحريص على الجاه وساير طرق الهوى وتعريف التكاثر
ليس للاستغراق لان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم شرعا اذا
كان على طريق الاعتراف بنعم الله تعالى وقصدا لشكرها وتشويقا للغير للاقتداء به
كما في قوله واما بنعمة ربك فحدث ومن ذلك ما روى من تفاخر العباس رض بان السقاية

ان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى ان قال علي رض وانا قطعت
خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم فشق ذلك عليهم فنزل عليهم اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله اى في الثواب فتعين ان تعريف التكاثر للعهد والمعهود هو التكاثر
في الامور الدنياوية والسعادة الفانية فان اجناس السعادة ثلثة الاول السعادات
النفسانية كالعلم والاخلاق الحسنة والثاني السعادة البدنية كالصحة والقوة و
الجمال والثالث السعادات التي تطيف بالبدن من خارج وهي قسمان احدهما ضروري
وهو المال والجاه والآخر غير ضروري وهو الاقرباء والاعوان وهذا النوع عرفناه
في المرتبة الثالثة انما يراد كلها لاجل البدن بدليل انه اذا تألم عضو من اعضائه فانه
يجعل المال والجاه فداء له فالسعادة البدنية تكون اصلا بالنسبة اليها وهي انما تقصد لاجلها
والسعادات البدنية ايضا انما يقصدها العقلاء للسعادات النفسانية فان الشخص ما لم يكن
صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب السعادات النفسانية التي هي اصل السعادات اذا عرفت هذا
فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم والتفاخر بالمال والجاه والاعوان
والاقرباء تفاخر باخس المراتب من اسباب السعادة والاشتغال به والسعي في تكثيره يمنع
الانسان من تحصيل السعادات النفسانية كالعلم والعمل فيكون ذلك ترجيحا لاخس المراتب
السعادات على اشرفها وذلك عكس الواجب وضد الحق فلهذا السبب ذمهم الله تعالى
بقوله الهاكم التكاثر اى شغلكم التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها
عن السعادات النفسانية المؤدية الى السعادات الابدية فان اصل الالهاء الصرف الى
اللهو واللعب والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم ان
الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير الهاكم عن كذا بشغلكم تفسير له

يلزم اصير معناه الآن انه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة قوله اذا استو عدد الاحياء
تعالى قوله زرتم المقابر كناية عن معنى حتى انتقلتم من ذكر الاحياء عند تفاخركم بالعدد
الى ذكر الاموات والنكتة في هذه الكناية التهكم بهم لان زيارة القبور شرعت لتذكير
الموت وترك الدنيا وكثرتها فعلى هذا يكون المراد بالتكاثر في الآية التكاثر في العدد
والكثرة وايده ما روي في سبب نزول هذه السورة من ان بني عبد مناف وبني سهم
تفاخروا وادعى كل واحد منهما انهم اكثر عددا نابيدا لكن المراد التكاثر في العدد و
فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبوهم بالكثرة على ما ذكره علة ورود باب المبالغة انهم اذا ارادوا
الاخبار بالغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب ويذكرون
بعد فاعل مسند الى الغالب فيه نحو كارمني زيد فكرمته اي غالبني في الكرم فغلبته فيه
ومثله كاثرناهم فكثرناهم وقول بني سهم ان البغي اهلكنا اي بغي الاعداء والقتال معهم
اهلكنا فعدوا بمجموع احيائنا واموتنا مع مجموع احيائكم واموتكم ففعلوا ذلك فزاد بنو
سهم فنزلت الاية فمعناها الهيكم التكاثر باحيائكم فلم يرضوا حتى انتقلتم الى ذكر الاموات
فتكثرتم بهم كانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب الكم اكثر منهم عددا فماذا
ينفع ذلك بل الذي يهمكم تحصيل الكمالات النفسانية وقيل المراد بالتكاثر بالمال
واستدل عليه بما روي انه عم سمع انه يقراء هذه الاية الهيكم التكاثر ويقول بعدها
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت او لبست فابليت او
تصدقت فامضيت فعلى هذا يكون قوله حتى زرتم المقابر بمعنى حتى متم فانه كثيرا ما
يعبر عن الموت بزيارة القبور فقال لمن مات زار قبره فمعنى الاية الهيكم
حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قوله
وانما حذف الملهى عنه ضمير عند راجع الى الالف واللام والملهي والمعنى وانما حذف

ويسيل هذا وعيد والمعنى لو زرتم القبور
قبورا ما يزال يلجم عذاب الله في القبر
قال زر بن حبيش كنت اشك في
عذاب القبر حتى سمعت عليا رضي
يقول الهيكم التكاثر نزلت في
عذاب القبر وحكي ان هرون
الرشيد رحمه الله خرج حاجا فلقي
بهلولا المجنون فسلم عليه ورد
فقال هرون نحن اليك بالاشتياق
قال لكني لم اشتق اليك فقال عظني
قال الكم تشتغلون بما القصور الى
القبور ولا ترون امرا ينتقل
من القصر الى القبر فاي موعظة
ابلغ من هذا الا من نعش القصور

عن انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى
معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله الخ

وانما حذف الذي الهى عنه وعلق الحكم بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم
من امر الدين فان عظمة الشيء يكون باعثة على عدم ذكره كما اذا بني الفعل للمفعول عند
عظمة الفاعل نحو قتل الحاجي اذا قتله الامير والثانية المبالغة التعميم لكل ما حقه ان
يشغله فاذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الفهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله
المقام مثل الهيكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات وعن المندوبات مما يتعلق بالقلب
كالعلم والتفكر والاعتبار والجوارح كانواع الطاعات حتى عن التدبير في امر العاقبة
والاستعداد لها قبل الموت ان نظرنا الى ما قبل هذه الاية او عن التدبير في امر القبر و
اهواله ان نظرنا الى بعد الاية فالمعنى الهيكم التكاثر عما يسعدكم في القبر وينجيكم من شدائد
فيتم امر حتى زرتموه قوله اذا عاينتم ما وراءكم قال الحسن لا يغرنك كثرة
من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك قال الله تعالى
ويأتينا فردا ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وهذا
يمنعكم عن التكاثر فلذلك رد الله تعالى على الذين الهاهم بالعدد والاموال والاولاد
وتوعدهم بقوله تعالى كلا اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته
بكثرة اعوانه وقبائله وامواله واولاده فكلمة كلا ردع عن الاشتغال بما لا يعنيه
وفي الردع تنبيه على الخطاء الذي يرد عليه ما بعد كلا قوله تكرير للتاكيد اي
لتاكيد الردع والانذار فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني اشد
من الاول وابلغ جيء بينها بكلمة ثم قوله والاول عند الموت في وقت ما يبشر
المحتضر من جنة او نار او في القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك ومن
نبيك والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان لا سعادة بعدها وحين يقال

وامتازوا اليوم ايها المجرمون فمع هذا يكون التكرير للتاكيد لحصول التغاير فيما بين
العلمين ومتعلقهما فانه يلوح في كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب واعادة
كلمة الزجر والردع من حيث انها عقبت في كل واحد موضع بغير ما عقبت به في
الموضع الآخر كانه قال لا تفعلوا كذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا لا تفعلوا كذا فانكم
تستوجبون به ضربا آخر من العذاب وفي الزجر المعلل يتعدد باعتبار تعدد علته
ويكون كلمة ثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبر
والنشور وفي قوله سوف تعلمون خطاء رايكم وقوله اي لو تعلمون ما بين ايديكم
من رؤية الجحيم وغيرها من الاهوال الشاقة الى ان تعلمونه في المواضع الثلث يعني
لو فيه ان حيث قدر له مفعولا واحدا ولو لم يقدر له مفعول بان يجعل الفعل
المقصود كحقيقة نفس العلم لا بيان متعلقه لم يكن بعيدا قوله علم الامر اليقين الى
اشارة الى ان اليقين صفة موصوف محذوف فكم اليقين يعني المتيقن به وان انتصاب
علم بنزع الخافض واتفق المفسرون على ان جواب لو محذوف واختلفوا في تقديره
فقيل تقديره لو تعلمون علم اليقين لتركتم التفاخر والتكاثر وقيل لو علمتم ماذا
يجب عليكم لتمسكتم به وقيل لو علمتم لاي شيء خلقتم لاشتغلتم به قوله يحذف الجواب
للتفخيم اي لتفخيم التهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب فيكون التهويل
اعظم بناء على ان واحدا من تلك المذاهب المحتملة مما يجب ان يحترز المكلف منه ويتقيه
من الاهتمام اليه وان يحصل مع انه لم يلتفت الى شيء من ذلك ولم يحصل فقط
بحكم احتمال كونه جواب لو وصحته وما يكون جوابا يجب كونه غير حاصل لعدم حصول
الاول ولا شك ان من ترك واجبا لكثرة عظمت جنايته فيعظم خوفه هذا على تقدير



هذا على تقدير ان يكون الجواب غير متعين عند المخاطب بل يذهب ذهنه بسبب الحذف
الى مذاهب محتملة واما ان كان متعينا عنده وان كان محذوفا فالحذف حينئذ للتفخيم لكون
المحذوف من حيث ان عدم ذكره يفيد له ابهاما مكملا ويصير حذفه بمنزلة ذكره منكرا للتفخيم
منه التفخيم فكذا اذا كان مفهوما من الكلام على وجه الابهام قوله ولا يجوز ان يكون
قوله لترون الجحيم جواب لو لانه محقق الوقوع فان رؤية الجحيم سيحصل لهم البتة
ولو كان قوله لترون الجحيم جواب لو لوجب ان لا يحصل لهم تلك الرؤية لان ما كان جواب لو
اذا كان مثبتا يدل الكلام على انتفائه وان كان منفيا يدل على وقوعه بناء
على ما اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثاني لامتناع الاول وقوله لترون الجحيم مثبت
فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح فان قيل
المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا وهذه الرؤية لا تحصل لهم في الدنيا
فصح ان يكون جواب لو على معنى لو تعلمون اليوم في الدنيا ما بين ايديكم كعلم الامر
المتيقن به لترون الجحيم بعيون قلوبكم ثم لترونها عين اليقين عند معاينتها
بعين الراس قلنا فعل الرؤية اذا تعلق بالاعيان المرئية يكون الظاهر ان
يراد به رؤية العين لا رؤية القلب وترك الظاهر خلاف الاصل ومما يدل
على ان قوله لترون الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف
عليه وهو اخبار عن امر كائن لا محالة ولا يجوز ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يتحقق
ولا يوجد قبيح في النظم قوله بل هو جواب قسم محذوف فاللام في لترون لام جواب القسم
والقسم لتاكيد الوعيد وافادة ان ما وعد به في قوله سوف تعلمون مما لا ريب فيه
وابهم ما وعد به في ذلك الوقت القول تفخيما للوعيد بكونه مبهما متناولا لامور
متعددة ثم اوضح ذلك بقوله لترون الجحيم وذكر في ما بعد التكرير بانه اوجه

الا وان لتاكيد الوعيد وتفخيمه التاكيد كفر بتلك الرؤية اضطرارية يعني انكم لو
علمتم ورائكم لما رايتموها ولانكم تحملون على رؤيتها شئتم او ابيتم ولكن
ان الرؤية الاولى الرؤية البعيدة فانها تبرز للغاوين فيرونها وهم في
الموقف كما قال الله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والرؤية الثانية اذا
صاروا الى شفير النار فعاينوا نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية
وكيفية السقوط فيها والتي كانت من البعيد رؤيتها ببعض ضوائها واحوالها
منفردة بلهبها ودخانها ولا شك ان الرؤية الثانية اجلى واكشف
فلذلك خصت بانها نفس اليقين حيث قيل ثم لترونها عين اليقين والثالث
ان المراد بالرؤية الاولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية رؤية العين
وهي المعرفة لا تحصل لمن ادعى كفره بناء على الالهاء التكاثر اياه عن
عن النظر في امور دينه واحوال معاده الا عند الموت وفي القبر وعند البعث
الى ان يعاينوها وكونها بمعنى الوجه فوقوع في تلك الاوقات يمنع من ان يكون
لترونها الجحيم بمعنى لتعرفنها فيها جواب قوله لو تعلمون كما مر واما اذا
كان معناه لتعرفنها في الدنيا فلا يمكن ان يقال من المعرفة بمعنى الوقوع
فلا يجوز ان يكون لترون الجحيم بهذا المعنى جواب لو وانما قلنا انه لا يمكن ان يقال
ذلك لان الكلام في حق الهاهم التكاثر عن النظر في امر الدين فلا يكون معرفة البعث
والمجازاة بالجنة والجحيم حاصلة لهم فلا يمكن ان يقال معرفة الجحيم
في الدنيا بمعنى الوقوع بالنسبة اليهم حتى يتفرع عليه عدم جواز كونه جواب لو
فظهر بهذا ان تعليل المحشي عدم جواز ذلك بكون رؤية الجحيم بمعنى الوقوع
مبني على ان يكون الرؤية بمعنى الابصار لا بمعنى المعرفة قوله اي الرؤية التي هي

التي هي نفس اليقين اشار الى ان انتصاب عين على انه صفة مصدر لترونها اي
لترونها رؤية هي عين اليقين ولعله جعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس
اليقين مبالغة وقيل انتصاب عين اليقين على انه مصدر من غير لفظ الفعل حملا
على المعنى لان راى بمعنى عاين قوله والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه
مثل كفار مكة الذين نزلت هذه السورة في حقهم ومن شاركهم في هذا الوصف
ملحق بهم سواء كان من فسقة المؤمنين او الكفار فيسأل هؤلاء يوم القيمة عن شكر ما
كانوا فيه من الخير والنعمة ولم يشكروا رب النعم حيث اتبعوا شهوات انفسهم
واتخذوا امورها الههم ثم يعذبون على ترك الشكر فيظهر ان الذي ظنوه سببا
لسعادتهم هو الذي كان من اعظم اسباب الشقاء لهم في الاخرة ويلزمه ان يكون
النعيم مخصوصا بما يشغل عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره والذي يدل على التخصيص
امران الاول القرينة فان ما سبق من الخطاب كله لمن الهاه دنياه فكذا هذا
والثاني النصوص ومنها ما روي ان ابا بكر رض لما نزلت هذه الاية قال يا رسول
الله عم ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم الانصاري من خبز شعير ولحم
عناق وبسر قد ذنب وماء عذب ان يكون من النعيم الذي يسأل عنه فقال
النبي عم انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازي الا الكفور كذا رواه الامام
وهي تدل على ان السورة مدنية والاكثرون انها مكية ورواه الامام الواحدي
وحكوا ان ابا بكر رض سأل رسول الله عم عن اكلة اكلها معه عم في بيت ابي
الهيثم فقال يا رسول الله انخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي يسأل عنه
فقال النبي عم انما ذلك للكفار ثم قال ثلث لا يسأل الله تعالى العبد عنها يوم القيمة ما
يواري به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من الحر والقر ثم هو مسئول بعد ذلك
اي يستر

من كل نعمة ولد وقيل بحاله اى الخطاب عام للكافر والمؤمن من الصالح والفاسق والنعيم عام لكل نعمة فيسأل كل احد عن انه هل يشكر على ما انعم عليه ام كفر لما روى انه اول ما يسأل عنه العبد يوم القيمة من النعيم ان يقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروى ايضا انه لا يزول قدما عبد حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن شبابه فيما ابلاه وماذا عمل بما علم وقيل اعظم النعم انه يسوغ للانسان ما ياكله ويشربه و يسهل عليه اذا خرج وقيل النعيم صحة الابدان والانتفاع بمنافع الحواس فيسأل الله العبد فيما استعملها وهو اعلم بذلك منهم وذلك قوله ان السمع و البصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فان النفس الانسانية كانت في اول الخلقة خالية عن العلوم والمعارف فالله تعالى اعطاها منح الحواس لتستفيد بها العلوم النافعة اعطاها السمع لتسمع مواعظ الله تعالى والبصر لتجد دلايل الله تعالى والفؤاد لتعقل عظمة الله فيسأل في اى امر استعملها فظهر ان الحق ان الخطاب عام للكل لكن الكافر يسأل توبيخا لانه ترك الشكر ويسأل المؤمن لانه شكر و اطاع وفي التيسير ان كلمة ثم في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السؤال بانك اشكرت في تلك النعم ام كفرت يكون في موقف الحساب قبل دخول النار وقيل بعد دخول النار يسأل الكافر فهذا سؤال التوبيخ كقوله تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير وقوله تعالى ما سلككم في سقر فيسأل الكافر فيها ليضطر الى الاعتراف في التقصير في شكرها وبغفلته على استيفاء اللذات كاكل المطاعم الشهية ولبس الملابس البهية وركوب المراكب السنية وسكنى المساكن العالية مشتغلا بانواع اللهو والطرب ومجانبا عن

نشر بنيامح



عن تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية وقائلا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فيقال قد استوفيتم ما اردتم من الحظوظ وتنعم لقاء يومكم فنسيكم الله تعالى في بقيتم في عذاب الهون سورة العصر مكية اقسم بصلوة العصر لفضلها فانه يطلق العصر كثيرا ويراد صلوته قال مقاتل تعالى اذن للعصر اى لصلوة العصر صليت العصر اى صلوته ودليل فضلها قوله عم الصلوة الوسطى صلوة العصر فثبت انها افضل الصلوات لان تخصيص الصلوة الوسطى بعد قوله حافظوا على الصلوات تنصيص على فضلها وقوله عم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله وماله فلم يدرك بدمهم قتيله وضاع ماله قال الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه و روى ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلونى على النبي عم فرآها رسول الله عم فسألها ماذا احدثت قالت يا رسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عم اما الزنا فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرا لكني ظننت انك تركت صلوة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلوة ولان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لانه ارتفاع الحرارة بسبب انبساط الحيطان على الارض فكان ذلك وقت تجارتهم وكسبهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم فكان اداء صلوة العصر اشق والكلفة في ادائها اكثر وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وقوله عم من حلف بعد العصر كاذبا

كوله تنزل الملائكة والروح اليه

اعز من الكبريت الاحمر المحصول بعد التعب

لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة ولا يزكيه قوله او بعصر النبوة وهو زمان
بعثته عم الى انقراض امته في الزمان واحتج من ذهب الى هذا القول بقوله عم
انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر
الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى
وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله لهم وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا
لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على
ان العصر هو الزمان المختص به وبامته فلاجرم اقسم الله به ايذانا بشرفه فان الزمان
الزمان الذي هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بين الثابت من الشرف
فقس عليه نفس المظروف وفي رواية البخاري عن سالم بن عبد عن ابيه انه سمع
رسول الله عم انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس
اوتي اهل التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي
اهل الانجيل فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن
فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت
هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا اكثر عملا قال الله تعالى
هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء قوله او بالدهر واستعمال
لفظ العصر في مطلق الزمان وهو الدهر كثير شايع وكون ان يقسم به لما فيه من انواع
العجايب بحسب فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به
مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات وفيه ما هو اعجب من كل عجيب وهو ان العصر

وهو ان العصر لا يقوى ان يحكم عليه لا بالوجود ولا بالعدم اما انه لا يقدر على ان
يحكم بعدمه فلانه يطرأ عليه القسمة الى سنين والشهور والايام والساعات
ويحكم بالزيادة والنقصان والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما
واما انه لا يقدر على ان يحكم عليه بانه موجود فلان منه الامور لا يطرأ على الزمان
الحاضر لانه غير قابل للقسمة والماضي والمستقبل معدوما فكيف ما تركب منهما معدوما
ايضا فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود ولانه بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف
سنة ثم تبت في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الآباد فظهر كان
اشرف الاشياء حيويتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم فلذا
اقسم الله به بها نقلست كه پيش شقيق بلخى پيرى آمد وكفت كه بسيار معصيتها
كرده ام اكنون آمده ام كه توبه كنم شقيق كفت كه دير آمدى پير كفت زود
آمده ام شقيق كفت چگونه پير كفت هر كه پيش از مرگ آيد زود آمده
باشد شقيق كفت زود آمدى ونيك كفتى ومنه الرواية يؤيد ما ذكر
من ان اللمحة الباقية اشرف الاشياء لمن تاب فيها قوله والتعريض بنفي ما ينسبونه
اليه بمثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التعريض انه تعالى لما اقسم به علم انه كساير
مخلوقاته التي اقسم بها في السورة المتقدمة مما يتعلق بخلقه حكمة عظيمة ومصلحة مهمة
وانه بمعزل عن ان ينسب اليه شيء من الحوادث كما ظنه الدهرية والآلهان شريكا له و
هو مبغوضا عنه فلا يقسم به والخسر والخسران بمعنى مثل الكفر والكفران ومعناه
النقصان وذهاب راس المال في حق جنس الانسان سوى نفسه وعمره فهو في جميع سعيه
وصرف عمره في المطالب لمهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل فانه ما هلك عمره
وماله لانه اكتسب بهما سعادة الابد فربحوا في تجارتهم حيث ظفروا بالشريف الباقي

في مقابلة الخسيس لفاني قوله والسوء للجنس شهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة
الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق قوله والتنكير للتعظيم اي لخسر عظيم
اي لا يعلم كنهه الا الله تعالى والذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه في مقابلة
النعم العظيمة وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب
في غاية العظم قوله ومن عطف الخاص على العام اي ذكر التواصي بالامرين بعد ذكر
العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما
يتعلق بتكميل غيره كالتواصي المذكور للمبالغة في فضله وشرفه بايراده اياه مغايرا للمعطوف عليه  بايراده
خارج عن مدلوله من غاية شرفه مثل عطف جبرائيل عم على الملائكة ولذلك وان العمل خص بما يتعلق بتكميل
نفسه فقط اي من غير ان يقصد به تكميل غيره لا يكون عطف وتواصوا من قبيل عطف الخاص على
العام بل يكون على ظاهره وهو عطف احد المتغايرين على الآخر وهو ظاهر قوله ولعله تعالى انما
ذكر سبب الربح وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر
فانه تعالى لما استثنى من اتصف بهذه الاربعة عن الكون في خسر اشعر ذلك بكون الاوصاف
الاربعة علة للاستثناء المذكور وسببا لربح من استثنى وفي جانب الخسران اقتصر
على ذكر الحكم وهو الخسر ولم يذكر سببه فلما اتجه طلب الفرق بينهما تصدى في بيان الفرق
بان المقصود الاهم الفوز بالسعادات الابدية وهو موقوف اسبابه بخلاف الخسر وهو موقوف
اسبابه فانه لا يتعلق به قصد قاصد فاكتفى ببيان المقصود فصرح ببيان اسباب الفوز
ولم يتعرض بغير المقصود ان التصريح المذكور يتضمن الاشعار بان اسباب الخسران
ما هي من حيث انه لما علق الفوز بهذه الاوصاف الاربعة اشعر ذلك بانه عند انتفائها
من حيث ماه
ينتفي الفوز بالمطلوب وهو الخسران كما روي عنه عم انه قال الناس رجلان عالم ومتعلم
وساير الناس همج لا خير فيهم صرح عم بان من لا علم له ولا يعمل بمقتضى علمه ثم لم يكن

ثم لم يكن متعلما بتوصية غيره فهو همج ساقط عن درجة الانسانية وهذا صريح
بما اشعر به سابق كلامه وايضا تعداد مساليب اهل العيب والتصريح بها في مقتضى الكلام
ملذلك لم يفصل اسباب الخسران ومن الاية فيها وعيد شديد من حيث دلالتها على ان
الانسان لا ينجو من الخسران بتكميل خاصة نفسه بل لا بد معه من الاهتمام بشان
غيره بنصيحته وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر وكرر التواصي ليتضمن الاول الدعاء
الى الحق والثاني الثبات عليه والاول بالمعروف والثاني النهي عن المنكر **سورة الهمزة**
**مكية** في الصحاح اللمز العيب واصله الاشارة بالعين ونحوها يقال لمزه يلمزه وقرى
بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزة اي عياب ثم قال والهمز
مثل اللمز والهامز والهماز العياب والهمزة مثله ثم قال وهمزه بالرمح طعنه في صدره
وهمز الفصيح حرف امه اذا ضربه برأسه عند الرضاع وقال الهزم التكسر يقال
تهزم السقاء اذا يبس فتكسر وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا انتهى كلامه
وللمفسرين الفاظ في تفسيرها قال ابن عباس رض الهمزة المغتاب واللمزة العياب
وقيل الهمز باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل
الهمز ما يكون جهرا واللمز سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس من الهمزة واللمزة الذين
بعدهم الله تعالى بالويل فقال هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الناعون للناس
بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب
فما ذكره المص خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة
في الوصف كالتي في علامة ورواية ولذلك يقال رجل همزة وامرأة همزة وقد
اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل اي للمكثر المتعود لا خذ
الاستنشاق وان اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة اذا كان يلعنه

وحكي ان عيسى عم والحواريين مروا على جيفة
كلب فقال الحواريون ما انتن ريحه هذا
وقال عيسى عم ما اشد بياض اسنانه
اعراضا عن النميمة وتعريضا لهم
بذلك وحكي ان لقمان دخل على داود عم
وهو يسرد الدرع ولم يكن راى قبل ذلك
فتعجب منه فاراد ان يسأله عنه فمنعه
الحكمة فامسك نفسه ولم يسأله فلما
فرغ قام داود عم ولبسها فقال نعم الدرع
للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله فصول

الناس وضحكة اذا كانوا يضحكون منه بان يكون سخرة لهم فالاول الذي يفعل بغيره والثاني
هو الذي يفعل به غيره ولما بولغ في وصفهم بان عبر عنه بصيغة فعلة بولغ في جزائه ايضا
وهو النبذ في الحطمة فان الحطمة الكسر فلما عبر عن النار بصيغة فعلة دل على ان ذلك
شانها وعادتها كما ان ذلك الوصف دابهم وعادتهم فجوزوا جزاء وفاقا للاعمال وزاد
عليها بان فوائد كبير الاضلاع بكسرهم للاعراض وبان يعبر عن الجزاء بلفظ النبذ المنبئ
عن الاستحقار والاستقلال في مقابلة ظنهم بانفسهم انهم اهل الكرامة والكثرة ونظيره
قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم شبههم استحقارا لهم واستقلالا بعددهم
بحصيات اخذهن اخذ في كفه فطرحهن في اليم قوله ونزولها في الاخنس بن شريق و
كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل نزلت في وليد بن المغيرة
كان يغتاب النبي عليه السلام من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال المحققون الوعيد الذي في هذه
السورة عام لكل من يفعل هذا الفعل كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في
عموم اللفظ وقال قوم انه مختص باناس معينين كالاخنس والوليد وامية
بن خلف وعموم اللفظ لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما لو قال احد لا اوذيك
ابدا فيقول له غيره كل من لم يوذني اوذيه يريد به من تخاطبه فقط لا كل احد
وقد تقرر في اصول الفقه انه يجوز تخصيص العام بقرينة العرف وغيره ولا يخفى انه لا حاجة
الى هذا التكلف قوله بدل من كل كانه قيل ويل للذي جمع او منصوب باضمار اعني
او مرفوع بتقدير هو وعلى التقادير فهو وصف معنوي له وانما وصفه الله تعالى بهذا الوصف
لانه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه بما جمع من المال وظن ان كثرة
المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا كاشفا للكل لانه نكرة
والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات قوله وجعله عدة على

على ان يكون قوله وعدده ماخوذا من العدة وهي الذخيرة المعدة لحوادث الدهر من المال و
السلاح يقال اعددت الشيء لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة قوله او عده مرة
بعد اخرى على ان يكون ماخوذا من العد وهو الاحصاء ونقل الى بناء فعل لتكثير الفعل
كما في جمع على قراءة التشديد فان جمع المخفف لا يدل على مجرد صدور الجمع منه ولا يدل على تعدد
وقوعه وتكرره واما جمع المشدد فانه يدل على كثير الجمع وتعدده بان جمع من ههنا في
ازمنة متعددة متطاولة ويؤيد انه قرئ وعدده على ان يكون العدد اسما مضافا
الى ضمير المال بمعنى مقدار المعدود وانتصابه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا
وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن
كثرته وقيل وعدده بفك الادغام فعل انتصب به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون
معطوفا على جمع وعلى هذين التقديرين يؤيد قراءة التخفيف ان عدده بالتشديد ماخوذ
من العد بمعنى الاحصاء قوله تركه خالدا في الدنيا وجه تولع يحسب ان ماله اخلده
بثلثة اوجه والمراد بالخلود في جميع تلك الوجوه الخلود في الدنيا والحسبان حقيقة في الوجه
الاول واستعارة تمثيلية في الوجهين الاخيرين والظاهر ان قوله يحسب ان ماله اخلده استيناف
على الوجه الاول وجملة حالية من المنوي في جمع على الوجهين الاخيرين ويجوز ان يكون جملة حالية على
جميع التقادير وتقرير الوجه الاول على تقدير ان يكون الجملة استينافا انه لما قيل جمع مالا و
عدده فكانه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك بسببه الاستعداد لما بعد الموت
فقيل انه لو رايته ان الحيوة والسلامة عن الامراض والآفات تدور على مراعاة الاسباب
الظاهرة يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده في الدنيا وتقرير المعنى على تقرير كون الجملة حالية
قريب من هذا التقرير ووجه الاستعارة في الوجه الثاني انه ليس ممن يحسب الخلود حقيقة لكن
يشبه حاله في حب المال واستغراق همته في جمعه وتكثيره ونسيانه الموت وما بعده من قوارع الآخرة

بسببه مخارمن يحسب ان ماله يخلده فاطلق في حقه هذا التركيب مجازاً والوجه الثالث قريب من الثاني الا ان طريق التشبيه فيه ان يشبه حاله في ان حب الدنيا طول امله ومناه الاماني البعيدة وحمله ان يعمل عمل من لا يظن الموت بل يحسب الخلود

آماله

بحال من يحسب ان ماله اخلده في الدنيا فاطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة و لكالة المشبهة في الوجهين من الغفلة عن الموت و ما بعده الا ان الغفلة في الثاني ناشئة عن حب المال والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث ناشئة عن حب الدنيا واستغراق همه واوقاته على استيفاء اللذات الفانية قوله وفيه تعريض اي في تهديد من يحسب ان ماله اخلده بالوعيد والهلاك اشارة على ان ثمة مخلداً ينبغي للعاقل ان يكب عليه انه غير المال وهو العمل الصالح والسعي للآخرة فانه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت فكانه حكم قد فرغ منه و لذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن ما رأيت يقيناً لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال قوله وما اوقد الله لا يقدر ان يطفئه غيره فيه اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها ليست كساير النيران و توصيفها بالموقدة يدل على ان ايقادها مسند الى الله تعالى وانها قرار وقدت بامره وعزته فلا تخمد ابداً وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة عن علي بن ابي طالب رض عجباً لمن يعصي الله على وجه الارض والنار تسعّر من تحته قوله يعلوا اوساط القلوب يقال طلع الجبل واطلع عليه اذا علاه والفؤاد وسط القلوب يعني ان تلك النار تحطم العظام و تاكل اللحم فتوقد في ابدانهم محل الشهوات وتصل الى صدورهم وتعلو على افئدتهم وتستولي

وتستولي عليها الا انها لا تحرقها اذ لو احرقت لماتت اصحابها وقال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى روي عنه عم ان النار تاكل اهلها حتى اذا طلعت على افئدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى قوله من اصدت الباب قد مر في سورة البلد ان اصدت الباب واوصدته لغتان بمعنى اطبقته واغلقته وان الاول افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثاني افعل منه ايضا الا انه من معتل الفاء مثل اوصل يوصل وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب قوله اي موثقين في اعمدة اشارة الى قوله في عمد في موضع نصب على الحال من الضمير المجرور ويحتمل ان يكون اعمدة جمع عمود للكثرة كاديم جمع اديم والاعمدة جمع للقلة والعمد بضمتين جمع عمود ايضا كرسول ورسل او جمع عماد ككتاب وكتب والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوسين قوله تقطر فيها اللصوص اي يلقون على احد قطريهم يقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على احد قطريه وهما جانباه فتقطر اي سقط سورة الفيل مكية اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي عم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد عم بعد يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على انه في العام الذي ولد فيه رسول الله عم فكان قبل مبعثه باربعين سنة وان لم يشهد تلك الواقعة جواب عما قيل ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل في الرؤية ان يكون بجارحة وان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد رأيت وشاهدت وهو عم لم يشاهد وحاصل جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم و عبّر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا علم ضروري لان طريق حصوله الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لا سيما قد تايدت الاخبار المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روي عن ابن عباس رض رأى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بخطوط حمر الحجارة التي اهلكوا بها قوم ابرهة اثرهم عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بخطوط حمر

دستور

قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتفسير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا اي بان يزال عنه اثر الاحراق ليعودوا احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته الآية ١٢ وادامها الانعام في النساء

تعالى لها بالعارسية كنده وبالتركي ظرف فيه

كالجزع الظفاري وعن عائشة رض رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين
يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبي عم وابو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عساكر
ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لقد جاء القوم بحيث لا يسمع
لهم ركز فانحطا من الجبل فدخلا العساكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر
كل واحد منهما ملء حفرة وملآها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك
الواقعة قد شاهدها رسول الله عم فحصل له علم ضروري بها يوازي العيان فكانه قال الله تع
الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة المتأيدة بذلك من الآثار علما يوازي العيان في الايقان
قوله لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة يعني ان الاشياء لها ذوات ولها كيفيات
باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلاهما تدل على الاول وكيف على الثاني والمقصود في هذا المقام
ليس تذكير نفس تلك الواقعة التي هي هلاك تلك الطائفة المذكورة لان هلاكهم لا يدل باعتبار نفسه
على كمال علمه تع وقدرته وانما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك
اختير ما يدل على الكيفية على ما يدل على نفس الذات قوله فانها من الارهاصات تعسر لكون ايقاع
الواقعة للدلالة على عزة بيته وشرف نبيه والارهاص هي الامور الخارقة للعادة التي جرت
على يد نبي قبل بعثته وقيل التحدي ماخوذ من الرهص بالكسر وهو الصف الاول من
الحائط فانه لما كان في مذهبنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوة
ومقدمة لها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا عم قبل دعوى النبوة ومن هذا القبيل
الاهلاك من قصد اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من رجس الاوثان ويدعو
الناس الى عبادة الرحمن ويعظم شعائر الله تع وباخلاص الطاعة ولو كره المشركون وهذا البيت
مولده ومسكنه الى ان هاجر عنه بامر الله تع ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيمة
فحفظه عن ارجل الاعداء وايديهم يدل على عزته وشرفه فالدلالة على عزته وشرفه وقد ذكر

تلك الواقعة قبل بعثته على وجه التأسيس والارهاص والشرم الشق يقال شرمه اي شقه
وابرهة سمي الاشرم لانه مشقوق الانف واصحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة
قد بعث ارياط بعسكر من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا
ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح في امر الحبشة فتفرقت الحبشة
فرقتين فكانت فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى قتل ابرهة
ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم رأى
ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعاء
لم يبن مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بلغ
بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها فقضى حاجته ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ
ذلك ابرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع
بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن ومرض ابرهة فتساقطت انامله وما مات
حتى انصدع صدره فخرج قلبه منه ولم يفلت منهم الا وزيره ابو يكسوم فسار
وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل النجاشي فاخبره بما نالهم فلما اتم كلامه رماه الطير
فسقط فمات فارى الله تع النجاشي كيف كان هلاك اصحابه قوله وقرئ الم تر اي
بسكون الراء قيل هذا السكون بابه الشعر لا النثر لما فيه من اسقاط الالف والفتحة قبلها
من ترى وان الجازم انما هو سقوط الالف وحدها وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله
تر لان كيف فيه معنى الاستفهام فلا يعمل فيها ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على الخفية
والمراد به ههنا تعطيل الكعبة وتخريبها فان قيل انما سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه
كان يصرح انه انما يريد هدم البيت وتخريبه والجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده
هدم الكعبة واظهر انتقاما ممن فعل في كنيسته الا ان الذي كان يضمر في قلبه هو

الا وزيره ابو يكسوم فسار
طائر يطير فوقه ولم يشعر به

الحبشة للعرب فكان اصل مقصوده من هدم البيت ان يعرف الشرف الذي حصل لهم بسبب الكعبة
منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته فكان هدمه كيدا في حق العرب قوله في تضليل
وابطال يقال ضل البيض في المال اذا ذهب وغاب فلما ارادوا ان يكيدوا قريشا بالسبي
والقتل والبيت بالتخريب والهدم ابطل الله تعالى كيدهم بان اهلكهم جميعا قوله وارسل عطف
على قوله الم يجعل لان الاستفهام للتقرير فكان المعنى قد جعل كيدهم وارسل وابابيل صفة لطيرا
اي طيرا جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج وترميهم صفة اخرى لطيرا
او حال منها لانها قد خصصت بالصفة قوله والطير اسم جمع فيجوز تذكيره وتأنيثه اما تذكيره
فلان الجمع مذكر واما تأنيثه فلحمله على المعنى لانه بمعنى الجماعة قوله معرب سنك كل ذكر في بيان
ماخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة
وهما سنگ وگل فالسنگ الحجر والگل الطين اي ترميهم بحجارة من مزيج الطين والحجر الثاني
انه من السجل وهو الدلو الكبير اذا كان فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا
فانسجل اي صببته بالدلو فانصب فقوله من سجيل يعني ان تلك الحجارة مما كانت
مما صبه الله تعالى عليهم من خزائنه فهي والثالث انه من الاسجال بمعنى الارسال يقال اسجلت
البهيمة مع امها اذا ارسلتها وهذا مستجد اي مرسل مطلق والمعنى انها مما ارسله الله تعالى
والعذاب يوصف بالارسال كقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله تعالى فارسلنا عليهم
الطوفان والرابع انه ماخوذ من السجل الذي هو الكتاب فكان الحجر السجيل
اخذ منه وجعل علما للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان السجين علم لديوان
اعمالهم فكانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون فقوله من سجيل بمعنى مما
مما كتب الله تعالى في ذلك الكتاب قوله كورق زرع فسر العصف اولا بورق الزرع
الذي شانه ان يقطع فتعصفه الرياح اي تذهب به الى هنا وفسر المأكول بانه الذي

بانه الذي اكل نفسه باده ووقع فيه الاكال شبههم به في فنائهم وذهابهم بالكلية او من
حيث انه احدث فيهم بسبب رميهم بتلك الحجارة منافذ وثقوب كالزرع الذي اكله الدود
او بانه الذي اكل حبه وبقي تبنه وهذا التفسير لكون المعنى كعصف ماكول الحبة كما تقول
زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على انفهام المعنى
المراد شبههم بزرع اكل حبه في ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم ثم فسر العصف
بالتبن لانه تعصفه الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب وفسر المأكول هنا الكثير
الدواب ثم القته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق
اجزاء الروث وفيه مبالغة حسنة ومن انه لم يكتف بجعلهم اسوة في الزرع وهو
التبن الذي لا يجدي طائلا فجعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق
الكناية مراعاة لحسن الادب واستهجانا بذكر الروث كما كنى بالاكل في قوله تعالى كانا ياكلان
الطعام عن نفس الاكل وما يلزمه من التبول والتغوط لذلك روي انه تعالى
لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة بعد الكيفية عظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله
قاتل عنهم وكفاهم مؤنة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى عليهم

سورة قريش مكية

اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة واختلفوا
في سبب تسميتهم قريشا فقيل سموا بتصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر
تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار روي ان معاوية سال ابن عباس لم سميت
القريش قريشا فقال باسم دابة في البحر يأكل ولا يؤكل وتعلو ولا تعلى انشبهالهم
بها من حيث ان اتصافهم بهذه الصفات والتصغير للتعظيم وقيل سموا
قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل ذرع
ولا ضرع فهو ماخوذ من القرش وهو الكسب يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو

قريش كسب ايلك وجمع ايلك وبر الوجانور دكر ده منجب

وهو الكسب يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش فقريش تصغير قارش والقياس
ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث في حارث وقيل انهم كانوا متفرقين
في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لذلك
اي لتقرشهم اي لتجمعهم يقال تقرش القوم اي اجتمعوا وقرشتهم اي جمعتهم
ولذلك سمي قصي مجمعا قال شاعرهم ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل
من فهر قال علماء اهل اللغة الفت الشيء الفا والفته ايلافا والافا بمعنى واحد
لزمته ودمت عليه وما تركته يقول العرب الفت كذا اي لزمته فعلى هذا يكون
معنى الاية لايلف قريش هاتين الرحلتين وجمعهم بينهما ولزومهم اياهما وثباتهم عليهما متصلا
ومنقطعا بحيث اذا فرغوا من ذه اخذوا في ذه وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان يكون
اللام في قوله لايلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فجعلهم كعصف مأكول لالف قريش اي اهلك الله تع
اصحاب الفيل لبقي قريش وما قد الفوا من الرحلتين وذكر عطاء عن ابن عباس رض ان السبب
في الفهم بالرحلتين هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا
على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه
فقام خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون وتذلون وانتم اهل حرم الله تع
واشراف ولد آدم عم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك خلاف منا فجمع
كل بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية
وحارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني قسم بينه
وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب
اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال الشاعر فيهم الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم
كالكافي فان قيل كيف كان ما فعل الله باصحاب الفيل سببا لدوام قريش على ما الفوا به من

من الرحلتين اجيب عنه بان انتظام احوال مكة لما كان منوطا بهاتين الرحلتين وانهم
انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون اهل مكة ويقولون
هولاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى انهم كانوا يسمون اهل
مكة اهل الله تع فكانوا آمنين بذلك في اسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض بهم في نفوسهم
ولا في اموالهم فلو تم ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز والشرف
وانقطع تعظيم الملوك واكرامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي
يتخطفون من كل جانب ويتعرض بهم في نفوسهم واموالهم فلما اهلك الله تع اصحاب
الفيل وجعل كيدهم في تضليل ازداد وقع اهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك
الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال الله تع الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل لايلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف ويجوز ان يكون الايلاف تعدية
الالف على ان يكون الفت الشيء والفته غيري بمعنى لزمته والزمته اياه اي فعلنا
باصحاب الفيل ذلك ليولف قريشا رحلتيها ويلزمهم اياهما والالزام ضربان الزام بالتكليف
والامر والزام بالمودة والموانسة فاذا احب المرء شيئا لزمه ومنه والزمهم كلمة التقوى
كما ان الالجاء ضربان احدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع والثاني لطلب النفع العظيم كمن يجد
مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه يكون كالملجا الى الاخذ
وكذا الدواعي التي تكون دون الالجاء تارة يكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع
وهو المراد في قوله لايلاف قريش ايلافهم فان قيل كيف يجوز ان يتعلق مثل اللام
كما في السورة المتقدمة ولكن حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا تتعلق في احدى
السورتين بما في الاخرى قلنا من ذهب الى كون اللام متعلقة بما قبلها طائفتان احدهما قالوا
بانهما ليستا بسورتين بل هما سورة واحدة واحتجوا عليه بان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه

التخطف الاستلاب والاخذ والمرا والاغارة
منه

سورة واحدة بما روي أن عمر رض قرأ في صلاة المغرب في الأولى والتين وفي الثانية ألم تر
ولإيلاف قريش معا من غير أن يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وما ذكر من استبعاد تعلق اللام
بما قبلها لا يرد على هذه الطائفة وهو ظاهر والطائفة الثانية وهم الأكثرون قالوا كل واحد منهما
سورة منفصلة عن صاحبتها وتعلق أول هذه السورة بما قبلها لا ينافي ذلك لأن القرآن كله
كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض و
قولهم إن أبيا رض لم يفصل بينهما معارض بإطباق الكل على الفصل بينهما وعلى هذا التقرير
وهو أن يكون الإيلاف تعدية ألف يجوز أن يتعلق اللام بما بعده وهو قوله فليعبدوا
كما أشار إليه المص فيكون الإيلاف مصدرا من المبني للمفعول مضافا إلى مفعوله الأول و
أطلق عن مفعوله الثاني ليتناول كل ما يتعلق به ثم جعل المقيد به بدلا عن ذلك المطلق تفخيما
لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة قيل والأقرب أن يكون قوله
لإيلاف قريش عاما بجميع كل مواد نعم وموافقة في السفر والحضر وفي جميع أحوالهم و
قوله إيلافهم رحلة الشتاء والصيف من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما له
كعطف جبريل عم على الملائكة عم ووجه التعظيم كون تلك الرحلتين قوام معاشهم
ومدار انتظام أحوالهم لأنهم كانوا يسكنون بواد غير ذي زرع وفائدة ذكر واو العطف
التنبيه على أنه كل النعم والأول الظاهر قوله والفاء لما في الكلام لما ورد أنه يقال إذا كانت
اللام متعلقة بقوله فليعبدوا لزم توسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له
أجاب عنه بأن قوله فليعبدوا جزاء شرط محذوف قدم عليه معموله والمعنى ما ذكره و
قدم قوله لإيلاف قريش على عامله وعلى الفاء ليكون عوضا عن الشرط المحذوف والرحلة
بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل إليها وأصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية
ثم استعمل للسير والارتحال والإيلاف والإيناس واحد وضدهما الإيحاش قوله فيمتارون

فيمتارون أي يطلبون الميرة وهو الطعام قوله هو أو بمحذوف أي الإيلاف غير
متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها قال محيي السنة في تفسيره حاكيا عن الكسائي والأخفش اللام
في لإيلاف هي لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف و
تركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته بقوله فليعبدوا كما تقول لزيد وإكرامنا
إياه على وجه التعجب أي اعجبوا لذلك والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب
من غير إظهار فعل التعجب انتهى ووجه التعجب أنهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا وانغماسا
في عبادة الأوثان والله تع يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم أسباب معايشهم
ولا شك أنه غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه والظاهر على هذا الوجه أن يكون قوله
فليعبدوا معطوفا على مقدر أي لينبهوا على هذا الكفران فليعبدوا والفاء للتعقيب قوله
كالتضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالبيت الذي قبله تعلقا لا يصح المعنى إلا به
وهذا أكثر لأن المولى يتوقف تمام معناه على عامله وعلى تعلق به قوله أي بالرحلتين
إشارة إلى أن المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حلت بهم لما شتموا على الرحلتين بسببها
لا المجاعة التي أصابتهم بدعوة رسول الله صلعم حين كذبوه وهو قوله اللهم اجعلها
سنين كسني يوسف عم فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف و
العظام المحرقة فقالوا يا محمد ادع الله فإنا مؤمنون فدعا رسول الله صلعم فأخصبت
البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط وهذا الطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة
رسول الله صلعم ومن على بابه أي أطعمهم من أجل جوع عظيم كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل
من بمعنى بعد أي أطعمهم بعد الجوع الذي أصابهم قال صاحب الكتاب الفرق بين عن ومن أن
عن يقتضي حصول جوع قد زال بالطعام ومن يقتضي المنع من لحاق الجوع والمعنى
على هذا أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية

والمعنى اطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق سورة
ماعون مختلف فيها استفهام معناه التعجب يعني ان هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام
لكن الغرض منه المبالغة في التعجب كقولك أرأيت فلانًا فاذا اريك ولماذا اعرض نفسه ثم
قيل انه خطاب للرسول عم وقيل بل خطاب لكل عاقل ورأيت ههنا يجوز ان يكون
من رؤية البصر او بمعنى المعرفة فيتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول كانه قال ابصرت
المكذب او عرفته وان يكون بمعنى العلم فيكون بمعنى اخبرني فيتعدى الى اثنين الاول الموصول
والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى
ارأيت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله وظهور بيانه ايفعل ذلك لا لغرض
فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الابدية الى نفسه من غير غرض او لاجل الدنيا او كيف يليق بالعاقل
ان يبيع الكثير بالقليل قوله سهل امرها اي امر حذف القراءة او امر حذف الهمزة اي حذفها يعني
ان وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام جعل امر حذف الهمزة سهلًا يسيرًا مع ان حذفها
مختص بالمضارع نحو يرى وأرى واما نحو رأيت فلم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان
الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لانه في الطلب بمعنى الاستقبال فاخذ حكم
المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة في اوله ثقل ووقوع همزة اخرى بعدها فسهل حذفها لذلك
ايضا وحذفها في الاية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو صاح هل ريت
او سمعت براع * رد في الضرع ما قرى في العلاب * لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام
لكن تلك الحرف ليست بهمزة فلو لم يحذف فيه همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين
بخلاف الاية قوله صاح اصله يا صاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله
ما قرى اي ما جمع يقال قريت الماء في الحوض اي جمعت والعلبة ما يحلب فيه من جلد او خشب
وجمعه علب وعلاب قوله والذي يحمل الخبيث فيكون علمًا للحاضر كان مكذبًا بالدين قوله ان ابا جهل

ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانًا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس
الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد عم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم
ذلك فجاء الى النبي عم والتمس منه ذلك وهو عم ما كان يرد محتاجًا فذهب معه الى ابي
جهل فقام ابو جهل ورحب وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا
والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه
يطعنها في فكان ابو سفيان ينحر جزورين في كل اسبوع ففي يوم من الايام دعى
يتيم سأله لحمًا والدع الدفع وجفوه قال الله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعًا قوله
ولا يحض اهله وعبيده اشارة الى ان مفعول يحض محذوف اي لا يحض نفسه ولا يأمر
غيره ولا بد مع تقدير المفعول من تقدير المضاف اي لا يحث غيره على اطعام طعام
المسكين من اجل بخله به واضافة الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وانه
انما منع المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع ولو
كان مصدقًا بالحساب والجزاء لما اقدم على ايذاء الضعيف ومنع المعروف فان دفع
اليتيم الضعيف عن ماله وعن حق نفسه ظلم وحرام لا يقدم المرء عليه الا مع الغفلة
عن الحساب والجزاء واما دعه فهو بترك المواساة معه واعانته بقضاء حوائجه الضرورية
وكذا عدم حثه غيره على مواساة المحتاجين واطعام المسكين فانه وان لم يكن في نفسه
اثمًا وحرامًا لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب
في نحو ذلك كله هو التكذيب بالجزاء وانتفاء منع الجزاء كلما كان متوقعًا ومتسببًا
بتكذيب الجزاء رتب قوله فذلك الذي الخ على قوله يكذب بالفاء السببية للايذان
بان دع اليتيم وعدم حثه على معاونة المحتاجين بسبب التكذيب بالجزاء وجعل
الزمخشري قوله فذلك جواب شرط محذوف وجعل تقدير الكلام ان طلبت علمه فذلك الذي

بدع التيمم ٤    يراؤن الناس اعمالهم بان يخفوا المفاعلة في الجهر فانه يراؤن مفاعلة
من الاراءة والمرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به فان
ما الفرق بين عن صلوتهم وبين في صلوتهم فالجواب ان معنى في ان يكون الانسان شارعا
في الصلوة طلبا لمرضاته وتقربا بالله وتذللا بين يديه ولكن يعتريه السهو في اثنائها
بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه احد ومعنى السهو عن
الصلوة عدم المبالات بها والاعتناء بشانها فيخرجها عن وقتها لذلك وان شرع فيها
في وقتها لا يريد بها مرضات الله والتقرب اليه والامتثال لامره فينخفض ويرتفع ولا يدري
ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلوة لانه استهزاء بالدين فثبت
ان السهو في الصلوة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق
والسهو عن الصلوة من افعال الكافر فانه وان باشر صورة الصلوة بفعله لكنه ساه غافل
عن حقيقته لانعدام قصده ونيته    او للسببية على معنى فويل لهم وجه السببية اما ذكر    عن حقيقته ٤
المكذب بالجزاء باوصافه الذميمة التي ادى اليها تكذيبه بالدين تسبب عن ذلك على هذا الوجه
الدعاء عليهم بالويل والهلاك والفاء انما تدل على سببية ما قبلها من الاوصاف //
لاستحقاقهم بالويل ووضع الظاهر موضع الضمير يدل على سببية ما بعدها من
الاوصاف ايضا للاستحقاق المذكور بناء على ان تعليق الحكم على الموصوف يشعر
بعلية الوصف له فان قيل كيف جعل المصلين وهو جمع قائما مقام ضمير الذي ولفظ
الذي ليس بجمع قلنا معناه جمع لان المراد به الجنس والفرق بين المرائي والمنافق
المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح
ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة
ولا يكون المرء مرائيا باظهار فرايض الله تعالى من نحو الصلوة والزكوة لان حقها الاعلان

الاعلان من اجل انها من اعلام الدين وشعائر الاسلام فيستحق تاركها الذم واللعن
فيجب اظهارها نفيا للتهمة عن نفسه ويمنعون الماعون في العادة اي يتداوله الناس بالعادية
ويعين بعضهم بعضا باعارتها واستعارتها وقيل انه اسم لما يمنع في العادة ويسأله
الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو و
المقدحة والغربال والقدوم ونحوها ويدخل فيه الملح والماء والنار فانه روي ثلثة لا يحل
منعها الماء والنار والملح ومن ذكره من جملته ان يلتمس جارك ان يخبز في تنورك او يضع
متاعه عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا القول قالوا الماعون فاعول من المعن
وهو الشيء القليل وسميت الزكوة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير
والمقصود من الاية على هذا الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها نهاية
الدناءة والمنافقون كانوا كذلك لقوله ان الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقال
مناع للخير معتد اثيم ومن فسر الماعون بالزكوة كابي بكر رض وعلي رض وابن عباس
وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين
استدلوا بذكره عقيب الصلوة فانه يدل على ان المراد به الزكوة ويادي عنه في اخر السورة
وهو قوله عم من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا فانه يوهم ان الماعون
هو الزكوة وقيل اصله معونة والالف عوض من الهاء    سورة الكوثر مكية
اصل انا اننا فحذف احدى النونات كراهة اجتماع الامثال والانطاء بالاعطاء لغة
اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمي كل شيء كثير
العدد وكثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء مفيد للمبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل
لاعرابية رجعت ابنها من السفر آب ابنك قالت آب بكوثر اي بالعدد الكثير من
الخير وهذا موضع الكوثر في اللغة وذهب اكثر المفسرين الى ان الكوثر نهر في الجنة //

وانتظام السورتين انها في ذم من عادة رسول الله قال الامام الرازي في هذه السورة ان الله تعالى تكلم مع حبيبه بلا واسطة و هذا يتقدم مقام ولهذا هو مع تكلما فصار

استدلالاً بما روي عنه ولعله إنما سمي ذلك النهر كوثراً لكثرة ما فيها من المنافع
على ما قال عليه السلام إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وقيل من جملة خيراته أنه ينفجر
منه أنهار الجنة لما روي أنه ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهر جار وقيل
إنه حوض في الجنة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الأول أنه يقال لعل ذلك النهر
ينصب في هذا الحوض أو لعل الأنهار إنما يسيل من ذلك الحوض فيكون الحوض كالمنبع
وقيل الكوثر أولاده ودليله أن هذه السورة نزلت رداً على ما عاب عليه السلام
بعدم الأولاد فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل
البيت ثم العالم ممتلئ منهم وقيل الكوثر أتباعه وأشياعه إلى يوم القيمة ولا شك
أن له عليه السلام من الأتباع ما لا يحصيهم إلا الله تعالى وروي أنه عليه السلام قال بينا أكون مع الأنبياء
إذ يظهر لنا أمة من الناس فنبتدرهم بأبصارنا ما منا من نبي إلا وهو يرجو
أن تكون أمته فإذا هم غر محجلون من آثار الوضوء فأقول أمتي ورب الكعبة
فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهر لنا مثلاً أولاً فنبتدرهم بأبصارنا ما من
نبي إلا ويرجو أن يكون أمته فإذا هم الغر المحجلون من أثر الوضوء فأقول أمتي
ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يرفع لنا مثلا أمثال ما قد رفع
فنبتدرهم فذكر كما ذكر في المرة الأولى والثانية ثم قال لم يبق طلق منه فرح من
أمتي قبل أن يرطها أحد من الناس ولقد قال عليه السلام تناكحوا تكثروا فإني أباهي
بكم الأمم يوم القيمة وبالسقط فإذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف
بهذا الجم الغفير فلا جرم حسن منه تعالى أن يذكر هذه النعمة الجسيمة فقال
إنا أعطيناك الكوثر وقيل الكوثر علماء أمته وهو لعمري الخير الكثير لأنهم
كأنبياء بني إسرائيل من حيث أن هؤلاء الأنبياء يتبعون النصوص المأخوذة
من الوحي في واقعات الأحكام ونوازل الحوادث فكذلك علماء أمته عليه السلام يتبعون

يتبعون النص الإلهي يستنبطون منه الأحكام باجتهادهم ثم تفضيلهم على
سائر الأنبياء من جهتهم ما روي أنه يجاء يوم القيمة بالرسل والأنبياء و
يتبعهم أممهم فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء أمته عليه السلام
ومعه الألف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول عليه السلام فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد
متبعي ألف من الأنبياء عليهم السلام وقيل الكوثر هو القرآن وفضائله لا تحصى و
لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله
قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مدداً وقيل الكوثر هو الإسلام وقيل هو الفضائل الكثيرة التي فيه وقيل العلم وقيل
المقام المحمود الذي هو الشفاعة وقيل الكوثر النبوة ولا شك أنها الخير الكثير لأنها المنزلة
التي هي نائبة الربوبية ولهذا قال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الكوثر جميع
المراد منه
نعم الله على محمد عليه السلام وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه لأن لفظ الكوثر يتناول جميع النعم وليس حمله
على البعض أولى من حمله على الباقي فوجب حمله على الكل فيتناول له خيرات الدنيا و
الآخرة وخيرات الدنيا ما كانت واصلة إليه حين كان في مكة والخلف في كلام الله تعالى محال
فوجب في حكمة الله تعالى بقاؤه في دار الدنيا إلى حيث يصل إليه تلك الخيرات فكانت الآية
كالبشارة له والوعد لهم لا يقدرون على أن يقتلوه بغتة وبهذا يوصلوا إليه كيدهم و
مكرهم بل يصير أمره في كل يوم في القوة والازدياد وعبر عما سيكون بصيغة أعطينا
لتحقق وقوعه ويجوز أن يكون صيغة الماضي على حقيقتها بناء على أن الإسعاد والإشقاء
والإغناء والإفقار ليس أمراً يحدث الآن بل كان حاصلاً في الأزل بمحض الاختيار
والمشيئة من غير أن يكون شيء منها معللاً بعلة أصلاً فكأنه تعالى قال يقول ما
اخترناك وما فضلناك لأجل طاعتك وجدك واجتهادك فيها وإلا كان يجب

ان لا نعطيك الا بعد اقدامك على الطاعة بل انما اخترناك واعطيناك لمجرد التفضل
والاحسان منا اليك من غير موجب يقتضيه ولا باعث يؤدي اليه ويدل عليه قوله
عليه السلام قُبِلَ مَن قُبِلَ لا لعلة ورُدَّ مَن رُدَّ لا لعلة وكيف لا يكون الامر كذلك
وفعل الله صفته وما يكون منا من الطاعة والبذل الوسع في تحصيل مرضاته صفتنا
وصفة الخلق لا يكون مؤثرة في صفة الخالق بل المؤثر في صفتنا انما هو صفة الخالق
ولهذا قال من قال لا اعبده تعالى يوجبه طاعة ويسخطه معصية يؤيد ان رضاه
وسخطه قديمان وطاعة ومعصية محدثتان والمحدث لا يؤثر في القديم بل رضاه
عن العبد في الازل هو الذي حمله على طاعته فيما يستقبل وكذا سخطه بالعبد حمله على مخالفته
وعصيانه ولا حول ولا قوة الا به قوله شكرا لانعامه علة لقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام
توجب مزيد اهتمام المنعم عليه على شكر المنعم فلما بين الله تعالى كثرة انعامه بقوله انا اعطيناك
فرع عليه قوله فصل فانه بمنزلة ان يقال فاشكر لكون الصلاة جامعة لاقسام الشكر
وهي ثلثة الشكر بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من غيره والثاني الشكر باللسان وهو
ان يمدح المنعم ويثني عليه والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلاة
جامعة لهذه الاقسام قوله فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة متفرع على ما ذكر
من الامور الاربعة وهي قوله خلافا للساهي عنها المرائي فيها وقوله خلافا لمن يدعهم
ويمنع عنهم الماعون وبيان وجه المقابلة ان الله تعالى وصف المنافقين في السورة المتقدمة
باربعة امور اولها البخل وهو المراد من يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين والثاني
ترك الصلاة وهو المراد من قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون والثالث الرياء في الصلاة
وهو المراد من قوله الذين هم يراءون والرابع منع الزكاة وهو المراد من ويمنعون الماعون
فذكر في هذه السورة الكريمة في مقابلة تلك الصفات الاربع صفات اربعة تقابل تلك

الصفات المتقدمة فذكر في مقابلة الذين هم في صلاتهم ساهون قوله فصل اي دم على الصلاة
وذكر في مقابلة قوله الذين هم يراءون قوله لربك اي ايت بالصلاة خالصا لوجه الله عن
مراءات الناس فيه وذكر في الذين يدع اليتيم ويمنعون الماعون وانحر اي اذبح البدن
التي هي خيار الاموال وتصدق بلحومها على المحاويج فان بذل خيار الاموال يقابل البخل
وصرفها الى المحاويج يقابل منع الماعون وقول المص دم على الصلاة من غير تقييد الصلاة
بالاضافة الى العيد ونحوه اشارة الى ان المراد بها جنس الصلاة وانما خصه بالذكر لكونها
عمادا للافعال الدينية وقيل المراد بها صلاة العيد وبالنحر التضحية والمقصود الامر بتاخير
التضحية عن صلاة العيد لانهم كانوا يقدمون التضحية على الصلاة فنزلت هذه الآية قال
المحققون هذا القول ضعيف لان عطف الشيء على غيره بالواو لا يوجب الترتيب واقترانه
ذكر النحر بالصلاة لا يستدعي ان يحمل الصلاة على ما يقع في يوم النحر فالاقرب هو القول الاول
قوله ان من ابغضك البغض ضد الحب فالمبغض ضد المحب فقوله من ابغضك اي من لا يحبك
بل يعاديك لمخالفته لهم هو الابتر لبغضه لك علة لكونه هو الابتر ومعنى التعليل
مستفاد من تعليق الحكم المشتق الذي هو الشانئ وهو المبغض فانه يفيد علية الماخذ شنأه ح
وشناء وشناء ومشناء وشنآنا وشنانا بالسكون اي ابغضه والبتر في اللغة استيصال
القطع وبترت الشيء بترا اي قطعته وبتر بالكسر بترا اي صار ابتر وهو مقطوع
الذنب ويقال للذي لا عقب له ويقال ايضا لمن انقطع عنه الخير قال السدي كانت قريش
يقولون لمن مات الذكور من اولاده ابتر فلما مات ابنه عم القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم
بالمدينة قالوا بتر وليس له من يقوم مقامه وروي ان العاص بن وائل كان
يقول ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحت منه
فاخبر الله تعالى ان شانئك ومن عاداك هو المبتور وقد توفي بحمد الله سبحانه بنفيه ابن غيره واسقطه

جوابهم وسمى نبيه عليه السلام على ما هو سنة الأحباء فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى جوابه فقال
الله تعالى إن شانئك هو الأبتر أي المنقطع عن خير الدنيا والآخرة المنسي ذكره فيهما
وإن ذكر ذكر باللعن وأما أنت فكل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك و
أعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى المنارة على لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر
فيبتدئ بذكر الله تعالى ويثني بذكرك قال أهل العلم هذه السورة مع كونها أقصر سورة في القرآن قد احتوت
على معان بليغة وأساليب بديعة منها استهلال السورة على عظمة الهبة العظيمة
من حيث أنها عطية رب السموات والأرض الذي لا ينتقص شيء بما في خزائن قدرته
بكثرة نواله وإفضاله والكوثر وإن كان خيرا كثيرا فإن إعطاءه كثير من كثير و
منها إيراده بصيغة الماضي مع أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم يحصل بعد
تحقيقا لوقوعه مع أن الإعطاء لا يستدعي تمكن الموهوب له من تصرف الموهوب وقت
الهبة فإن من أقر لولده الصغير بضيعة لم يصح أن يقال إذ أعطاه تلك الضيعة
مع أن الصبي في تلك الحال لا يكون أهلا للتصرف ومنها تأكيد الجملة بأن الجاري مجرى القسم و
كلام الصادق مصون عن الكذب والخلف فكيف إذا بولغ في التأكيد فإن تقديم المبتدأ وبناء
الفعل عليه يفيد التأكيد أيضا لاشتمال الكلام به على تكرر الإسناد ومنها الإتيان بصيغة
تدل على المبالغة في الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لأن في حذفه من فرط
الشياع والإبهام ما ليس في إثباته ومنها تعريفه بلام الاستغراق ومنها فاء التعقيب
الدالة على التسبب فإن الإنعام سبب للشكر والعبادة ومنها ما في قوله لربك من
التعريض لمن كانت صلاته ونحره لغيره ومنها تخصيص الصلاة بالذكر للإشارة إلى
أنها عماد الأعمال البدنية وأفضلها ثم أشار إلى العبادة المالية بذكر ما هو أسنى
منها وهو النحر ومنها حذف متعلق لحسن الاكتفاء بذكره في الصلاة إذ التقدير فصل

فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فإنها من الصنائع البديعة إلى غير ذلك
مما لا يحصى ولا يعد **سورة الكافرون مكية** **قوله** كفرة مخصوصين وهم الذين قالوا
له عليه السلام نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة يريد أن الألف واللام في قوله تعالى الكافرون
وإن كان للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لأي إلا أن المقصود العهد
فإن تخصيص العام بحسب القرائن شائع كثير كما تقول يا أيها الرجال ادخلوا الدار فإنك
لا تأمر به جميع الرجال بل تأمر الذين تشير إليهم بإقبالك إليهم وقرينة التخصيص
في الآية أنه لا يجوز أن يكون قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون خطابا مع كل الكفرة لأن فيهم من
يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز أن يقال لهم لا أعبد ما تعبدون ولا يجوز أن
يكون قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد خطابا مع الكل لأن في الكفار من آمن وصار
بحيث يعبد الله تعالى فبهذه القرينة علمنا أن الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق في
علم الله تعالى موتهم على الكفر **قوله** فإن لا لا تدخل إلا على المضارع بمعنى الاستقبال يعني إذا
دخل لا على المضارع يكون ذلك المضارع بمعنى الاستقبال لأنها لا تدخل أبدا إلا
على المضارع الموصوف فإنها قد تدخل على الماضي بشرط التكرير نحو فلا صدق ولا صلى
وكذا لا تدخل على الاسم نحو لا رجل في الدار وكذا ما فإنها تدخل على غير المضارع كثيرا
كقوله تعالى ما كان محمد وما هذا بشرا واختلفوا في أن التكرير هنا للتأكيد أم لا فإذا
لم يكن للتأكيد فبأي طريق حصلت المغايرة حتى يكون كل جملة لتأسيس معنى على حدة فذهب
جماعة إلى أن القرينة الثالثة وهي قوله تعالى ~~ولا أنتم عابدون ما أعبد تأكيد الثانية~~ ولا أنا عابد
ما عبدتم تأكيد للقرينة الأولى وهي قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وأن القرينة الرابعة
وهي قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد تأكيد للثانية وهي قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد و
مثله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل للمكذبين ونحوهما وفائدة التأكيد هنا قطع أطماع

الكفار وبعض الاخبار بانهم يموتون على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا فان هؤلاء الكفار
دعوا الرسول عليه السلام مرارا وقالوا له نريد ان يقع الصلح بيننا وبينك بان نعبد الهك
مدة ونعبد الهنا مدة فسكت عليه السلام في كل مرة ولم يجبهم احتياطا من انه لو نفاهم
بالرد والتيئيس لتاذوا وحصلت النفرة عن الاسلام في قلوبهم فوقع في قلوبهم انه
قد مال الى دينهم بعض الميل فلاجرم دعت الحاجة الى التاكيد ابطالا لزعمهم الباطل
فنزلت هذه السورة ونزل قوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون فتارة
وصفهم بالجهل لانه اصل الخبائث وتارة بالكفر لانه كالثمرة للكفر بالجهل فلما نزلت هذه
السورة وقرأها على رؤسهم شتموه وآيسوا منه هذا خلاصة المعنى على تقدير ان
يحمل الكلام على التاكيد وذهب الآخرون على ان لكل جملة لافادة معنى على حدة وافتتاح
المص حيث قدمه بالذكر على احتمال كونه للتاكيد وبين طريق المغايرة ببيان ان لكل قرينة
مفيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا
الداخلة على المضارع وحمل القرينة الثانية على الحال والماضي فكان المعنى لا افعل في المستقبل
ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولست في الحال والماضي بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل
القرينة الثالثة وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال بقرينة مقابلتها للقرينة
الاولى المحمولة على الاستقبال وحمل القرينة الرابعة وهي هذا التركيب بعينه على استغراق
النفي وشموله لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخلت عليها
حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ اي يجوز ان يكون
القرينة الثالثة تاكيدا للقرينة الاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال
والقرينة الثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما مر آنفا فتفيد ما افادته الاولى
مع زيادة فكانت تاكيدا لها على طريق ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تاكيدا

تاكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة
محمولة على عموم النفي فيكون ابلغ منها ويرد على تجويز ان يكون قوله ولا انا عابد
ما عبدتم فكيف يصح ان يكون بمعنى الماضي والحال انه انما يعمل اذا كان بمعنى الحال
والاستقبال الا ان يقال اعماله حال كونه بمعنى الماضي مبني على حمله على حكاية
الحال الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله والله مخرج ما كنتم
تكتمون وكونها قوله وهو عليه السلام لم يكن موسوما قبل البعثة بعبادة الله تعالى وهذا الوقت
منتفي ان يعبر عن عبادتهم بلفظ الماضي وعن عبادته عليه السلام بما يدل على الحال حينئذ لم يكن فيما
مضى مشهورا بكونه عابدا لله تعالى وفي الزمن المذكور نظر لانه عليه السلام لم يزل موحدا لله تعالى
منزها له عن كل ما لا يليق بجلال ذاته متجنبا عن اصنامهم يقف على مشاعر ابراهيم عليه السلام
ومناسكه ويحج البيت ومن جملة عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله تعالى
ونبذ الاصنام وقد سمى الله تعالى معرفته عبادة حيث قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقال المفسرون معناه الا ليعرفون فعبر عن معرفة الله بالعبادة
وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة انه كان يتحنث قبل البعثة في غار حراء وجوابه
انه صح ذلك مسلم الا ان المراد بالعبادة التي نفيت عنه عليه السلام قبل البعثة هي اعمال
الجوارح الواقعة على سبيل الامتثال لامر الشارع فان العبادة قد يطلق على هذا
المعنى والايمان والنية والاخلاص شروط بصحة العبادة بهذا المعنى و
وايا ما اراد من قال فان فقيها واحدا متورعا اشد على الشيطان من
الف عابد وقد اختلف في انه عليه السلام هل كان متعبدا بالعبادة بهذا قبل نبوته
اولا فقال الامام الرازي وجماعة من اصحاب الشافعي وابو الحسين البصري واتباعه

اما انه عم لم يكن متعبدا بهذا المعنى واجابوا عن الطواف والتحنث وغيرهما من المكارم
بانها ليست بعبادة بهذا المعنى لانها يجب ان تكون مسبوقة بامر الشارع ومأمورا بها
من قبله ولا امر قبل البعثة فاذا لم تكن تلك الافعال عبادة بهذا المعنى لم يكن عم
متعبدا قبل البعثة فكان ما وقع منه عم قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة
القديمة من المكارم الحسنة المقبولة من غير ان ينظر فيه الى كونه طاعة لله اديت
على طريق الامتثال لامر الشارع قال الامام في تفسير سورة البينة العبادة
في الاصل من التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان ما وقع من المشركين
من عبادة الاصنام عبادة وليست بطاعة لانهم ما اطاعوهم لان الطاعة عبارة — الملائكة والمسيح و
عن امتثال الامر وهم ما امروا المشركين بذلك ولكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة
لله تع اديت على وجه التذلل والنهاية في التعظيم فظهر بهذا انه لا بد في كون الفعل
عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قلنا ان صلوة الصبي الغير العاقل
ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله تع فلا يكون فعله غاية التعظيم والثاني
ان يكون الفعل مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم
لانه غير مأمور به انتهى ملخص كلامه قوله وانما قال ما دون من اي في القرينة
الثالثة والرابعة وهما في قوله تع ولا انتم عابدون ما اعبد والمراد بما اعبد في الموضعين
هو الله تع وان احدهما ان لا يطلق على اولي العلم واما كلمة ما في قوله لا اعبد ما
تعبدون وفي قوله ولا انا عابد ما عبدتم فانها واقعة موقعها لان المراد بها فيهما الاصنام
واجاب عنه بجوابين الاول ان الله تع عبر عنه بلفظ ما ... لا يراد به
نفس ذاته تع بل يراد به الوصف وهو الحق ولما حمل ما في ما اعبد على الحق

مطلب الفرق بين العبادة والطاعة

على الحق حمل في قوله ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحسينا للتقابل والثاني انه لما عبر
عن المعبودات الباطلة على الاصل عبر عن المعبود بالحق ايضا به للمطابقة والمشاكلة فان
المقابلة يحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل انها مصدرية
محصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كانت موصولة وليست
كذلك بل هي مصدرية في المواضع اي لا اعبد عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص
لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله وكذا الكلام في اخواتها قوله وقيل الاول بيان
بمعنى الذي فالمعنى لا اعبد الاصنام ولا تعبدون الله والاخريان مصدريتان والمعنى ولا
انا عابد عبادة مثل عبادتكم المبنية على الشك ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية على — المبنية ع
اليقين والظاهر ان مقصود القائل حمل هذه القراين الاربع على التاسيس ببيان
التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب اذ لا نوهن فيه لوجه التعبير عنه تع بكلمة
ما في القرينة الثانية وانما اخر الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذا الموضع ايضا قوله
فليس له اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد وان كان ظاهر العبارة يشعر كلا منهما فان قوله
لكم دينكم بانه يشعر الاذن في الكفر وهو غير صحيح لانه عم بعث ليمنع عن الكفر فكيف
يأذن فيه فلما قيل معنى قوله لكم دينكم انكم لا تتركونه ابدا لان الله تع قد علم انكم تموتون
عليه كان هذا الكلام في ذلك لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد حيث كان بيانا لمحصل
معناه فهو بهذا المعنى لا يكون مشعرا بالاذن في الكفر فلو كان المراد به الاذن في الكفر
لكان ذلك منعا له عم عن الجهاد لان كونه مأمورا بان ياذن لهم في الثبات على الكفر يستلزم
منعه عم عنه فلما لم يكن المراد به الاذن لم يكن فيه دلالة على المنع من الجهاد ايضا وان
فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل

صاحبه اثر البينة والدين قد يستعمل بمعنى الدعاء كما في قوله ادعوا الله مخلصين له الدين
ومعنى الاية على هذا لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال وان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ويستجيب الذين آمنوا ادعوني استجب لكم وفي الصحاح الدين بالكسر العادة
والشأن وقال الامام وقيل الدين العادة والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم ومن
الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن الوحي ثم يبقى كل واحد منا على دينه
حتى تتولاكم الشياطين والنار وتتولاني الملائكة والجنة ولم اجد تفسير الدين بالعبادة
ولعل ما في النسخ من تحريف الناسخين **سورة النصر مدنية** قوله اظهاره اياك على اعدائك
النصر في الاصل الاعانة يقال نصرت فلانا اذا اعنته على تحصيل مطلوبه الذي كان متعلقا به
وقصد بنصر الله تعالى اياه عليه السلام كناية عن اظهاره اياه عليه السلام على اعدائه اي جعله غالبا على اعدائه
يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه لانه اذا نصره تعالى عليهم على اعدائه فبالضرورة
يكون غالبا عليهم ولم يبق النصر على ظاهره ليظهر الفرق بينه وبين الفتح في نظمه عليه
مع انه لو ابقي على ظاهره لصح العطف ايضا لان النصر كالسبب للفتح ولا بعد في عطف المسبب
على السبب فان قيل لا شك ان فتح مكة وسائر البلاد وقع بيد الصحابة من المهاجرين
والانصار فما السبب في اضافة الفعل الصادر عنهم الى الله تعالى حيث قيل نصر الله والجواب
ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي والصوارف وتلك الدواعي والصوارف
امور حادثة فلا بد لها من محدث وليس هو العبد والا لزم التسلسل فلا بد وان يكون
محدثها هو الله تعالى فيكون المبدأ الاول والمؤثر الابعد هو الله تعالى ويكون المبدأ الاقرب
هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة بعينها مضافة الى الله تعالى
ومنه الاضافة لتعظيم المضاف اي نصرا لا يليق الا بالله تعالى ولا يليق ان يفعله الا الله تعالى
والمجيء

والمجيء حقيقة في الاعيان التي تتحرك بآلة المشي ومجاز في المعنى والظاهر ان فعلا اذا وقع نصر
الله تعالى او حصل الا انه عبر عن الوقوع والحصول بالمجيء للاشعار المذكور وتوضيحه
ان الحوادث التي قدرت في الازل وجودها فالله تعالى قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة
واوقاتا مقدرة لا يحدث شيء منها الا اذا تحقق اسبابها وحضر اوقاتها فيشبه كونها مربوطة
معلقة بتلك الاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئا فشيئا وتشبه وقوعها
عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه
لفظ جاء فصار استعارة تبعية ومثل هذا الكلام يقصد به تنبيه المخاطب على
قرب مجيء ما استشرف المجيء اليه وتوطينه بما يتعلق بمجيئه فقولك اذا جاء
غائبك فاصنع به كذا وكذا انما يقال للتنبيه والتوطين المذكورين فلذلك قال المص
وقد قرب الوقت المنصوص وقته وظهر من هذا التقرير ان هذه السورة نزلت قبل فتح مكة
عدة لرسول الله ان ينصره على اهل مكة وان يفتحها عليه وهو ان كلمة اذا ظرف
لما يستقبل فلا يقال فيما قد وقع وجاء اذا وقع واذا جاء وقيل انها نزلت بعد فتح
مكة في سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه عليه السلام عاش بعد نزول هذه
السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع وروي انه عليه السلام عاش بعد نزولها
سبعة ايام متلبسا بالتسبيح والاستغفار عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان بعد نزول
هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وعن ابن مسعود رضي
لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب
الغفور وقال مقاتل انه عليه السلام عاش بعد نزولها حولا ونزل اليوم اكملت لكم فعاش
بعده ثمانين يوما ثم نزل آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول

لان فيها توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء منه

من انفكم فعاش بعدها خمسة وثلثين يومًا ثم نزل واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد عشر يومًا وفي رواية اخرى عاش بعدها سبعة ايام والله اعلم بحقايق الاحوال قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله فكانه يقول جعلت الوقت ظرفًا لما تريد وهو النصر والفتح وكثرة الاتباع والامم وملأت ذلك الظرف من هذه الاشياء وبعثته اليك فلا ترده الي فارغًا بل املأه من العبودية بتحقق معنى تهادوا تحابوا وكانه ع م قال باي شيء املأ ظرف هديتكم وانا فقير فقال الرب في المعنى ان لم تجد شيئًا آخر فلا اقل من تحريك اللسان بالتسبيح والحمد والاستغفار فلما فعل ع م ذلك صار معنى تهادوا فلا جرم حصلت المحبة فكان ع م حبيب الله ت واعلم ان صفات الحق منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجاب والتسبيح اشارة الى التنزه للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية وهي صفات الاكرام ولما امره بالاشتغال بتوصيف واجب الوجود بصفاته السلبية والثبوتية ومعرفته بجميع صفات كماله امره بعده بالاستغفار لان الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وفيه رؤية وجود الحق وفيه طلب لما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرت وهاب العطايا وهذا الطريق اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السايرين فان لهم طريقين في سيرهم منهم من يقول ما رايت شيئًا الا ورايت الله بعده ومنهم يقول ما رايت شيئًا الا ورايت الله قبله ولا شك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل مرتبة من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على الفرع اقوى من الاستدلال بالفرع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف

جواب عما يقال من ان التوبة والاستغفار متقدمة على جميع الطاعات فلم اخرت

اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس بالخلق فذكر اولًا من الخالق امرين احدهما التسبيح والثاني التحميد ثم ذكر في المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق وهو وجه الترتيب ما ذكرنا انفًا قوله تعالى يدخلون في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بمعنى الابصار والعرفان وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولًا ثانيا له وافواجًا حال من الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روي عن الحسن انه قال لما فتح الله تعالى مكة اقبلت العرب بعضها ببعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لنا به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون في الاسلام افواجًا من غير قتال كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين واثنين قوله جماعات كثيفة الكثافة الغلظ وهو ضد الرقة والمراد بها ههنا الكثرة اي فوجًا بعد فوج قوله فتعجب اي قيل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه وهو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة تقال عند التعجب عادةً فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالتعجب لذلك ولا سيما المقام مقام التعجب ولكثرة الوجه في اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما روي في الاذكار ولكل اعجوبة سبحان الله وهو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد امثاله يستبعده ويعده وينفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليه واوجده ثم تدارك انه في هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيهًا لله تعالى عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعده ويعده ليتيقنه بانه تعالى على كل شيء قدير قوله او فصل تسمية الصلوة بالتسبيح من حيث انها لا تخلو عنه فكانه جزء منها فالتسبيح مجاز مرسل فيها وحمل اللفظ

على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة معينة ايد هذا التفسير بما روي من انه عم
صلى ثمان ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قال بعضهم انه عم عنى به صلوة الشكر
فصلاها يوم الفتح ثمان ركعات وقال الآخرون هو صلوة الضحى وقال آخرون صلى ثمان
ركعات اربعة للشكر واربعة للضحى وقد ورد لفظ التسبيح في القرآن بمعنى الصلوة
حيث قال سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
قوله او فنزهه قيل لرسول الله عم ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال
تنزيه الله من كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته عن الامكان وما يتفرع عليه
وفي صفاته كالجهل والعجز بل عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وصفاته
منزهة عن التغيرات وفي افعاله فان شيئا من افعاله لا يكون لجلب نفع او دفع ضرر
بل هو مستغن عن كل الموجودات ومستول عليها بالاعدام والايجاد قوله او فاثن
على الله بصفات الجلال الثناء اعم من التنزيه لتناوله التوصيف بالصفات الثبوتية
والسلبية الا انه خص الثناء بالتوصيف بصفات الجلال وهي صفات يقتضي كمال الذات
ولا يكون لها آثار في خلقه كالعزة والغنى والملك والقدوس والعلم ونحوها وصفات
الاكرام صفات لها آثار في خلقه مثل القدرة والارادة والتخليق والترزيق والاحياء
والاماتة وامثالها وجعل الحمد بمعنى الشكر الذي يكون مقابلة النعم المتعدية وصفات الاكرام
لئلا يخلو التقييد بالحال عن الفائدة ولا يكون تحصيل الحاصل فاثن مثنيا فان قوله بحمد ربك
حال من المنوي في فسبح اي سبح حامدا له اي مقترنا اذ يجمع بعد التسبيح كانه يقول
لا يتأتى لك الجمع بين لفظي التسبيح والتحميد في اللفظ فاجمعهما نية كما انه يوم
النحر تشرع في صلوة العيد مقدرا ان تنحر بعده فيجتمع لك ثوابهما فكذا الامر هنا
قوله

قوله هضما لنفسه اشارة الى الحكمة التي الداعية الى امر النبي عم المعصوم من الذنب بالاستغفار
وهضم النفس كسرها بان يعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة
ويقول ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كان مراتب السير الى الله تع
غير متناهية كان لكل مرتبة من مراتب العرفان فوقه مراتب اخرى وعلى حسب تفاوت
مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة والتذلل المتفرعة على معرفة عظمة المعبود
فاذا وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى
ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله عنه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير
ان يكون معنى قوله تع واستغفره واستغفر الله لنفسك واما اذا قدر معناه استغفر
الله لذنب امتك فالامر ظاهر لانه تع امره بالاستغفار لذنب امته في قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ومهما لما كثرت الامة كثرت ذنوبهم فصار الاستغفار لهم
اوجب واهم قوله كان توابا لمن استغفر من خلق المكلفين يعني ان كان هنا
للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها من خلق المكلفين ومن كان شانه هذا
فلا يبعد يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما
تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فكان يدل على ان ذلك الثبوت في الماضي ويكون
يدل على انه في الحال والمستقبل فالمفهوم انه تع تواب غفار في الماضي وكونه توابا
في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او في المستقبل ووجه سقوط هذا
الوهم على توجيه المص ظاهر ومعنى كونه تع توابا انه يكثر منه قبول التوبة و
يبالغ فيه وفيه ايماء الى انه يجب على العبد ان يكون مكثرا مبالغا في الاتيان بالتوبة
قوله وانه نفي للنفي كالرمي والنفي فعيل كالتقي معناهما جز للموت والنفي

ايضا النائي وهو الذي يأتي بخبر الموت يقال نعاه ينعاه نعيًا اي اتى اليه خبر الموت
ولعل ذلك لان ولعل الوجه كون نزول هذه السورة نعيًا له عم هو انها
تدل على حصول النصر من عند الله وجعله اياه عم غالبًا على اعدائه وعلى حصول الفتح
ودخول الناس في الدين افواجا وذلك يدل على تمام امر الدعوة وانقطاع الاحتياج
اليها بعد ذلك مشتغلا بالتسبيح والتحميد والاستغفار فارغا عن امر الامة فكانه
كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائز اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الوقت
والرحيل فتاهب للامر ففيه تنبيه على ان العامل يجب له ان يكثر التوبة دنا
اذا قرب اجله ولهذا سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا
ولا باس في ان نذكر قصة فتح مكة على وجه الاختصار روي انه لما كان صلح
الحديبية وانصرف رسول الله عم اغار من كان في عهد قريش على خزاعة
وكانوا في عهد النبي عم فجاء بعض نفر ذلك القوم واخبر رسول الله عم فعظم ذلك
عليه ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرني ان الظفر يجيء من الله تع ثم قال
لاصحابه انظروا فان ابا سفيان يجيء ويلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة
ان جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول عم ولا اكابر الصحابة فالتجاء
الى فاطمة فلم ينفعه ذلك ورجع الى مكة ايسا وتجهز رسول الله عم للسير
الى مكة ثم يروى ان سارة مولاة بعض بني هاشم اتت المدينة فقال عم لها
جئت مسلمة قالت لا لكن كنتم الموالي ولي حاجة فحث رسول الله عم
بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بعشرة دنانير
واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته اعلموا ان رسول الله عم يريدكم فخذوا

حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل بالخبر فبعث رسول الله عم عليا وعمارا
وجماعة وامرهم ان يأخذوا الكتاب والا فاضربوا عنقها فلما ادركوها جحدت وحلفت
فسل علي رض سيفه وقال والله ما كذبنا فاخرجته من عقيصة شعرها واستحضر النبي عم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم
لكن كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحملون اهاليهم
فخشيت على اهلي فاردت اتخذ عندهم يدا فقال عمر رض دعني اضرب عنق هذا
المنافق فقال عم وما يدريك يا عمر لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رض ثم خرج رسول الله عم وسار
الى ان نزل [illegible] بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من
المهاجرين والانصار احد فقال العباس بن عبد المطلب رض والله لئن دخل
رسول الله عم مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فركب بغلة رسول
الله عم اخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة
فيخبرهم بمكان رسول الله عم فياتونه ويستامنونه قبل ان يدخلها عليهم
عنوة قال العباس فخرجت واني لاطوف في الاراك التمس ما خرجت له اذ
سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون
الخبر فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل قلت نعم
فقال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا والله رسول الله عم قد جاء
بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن
عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله عم فاستامنه فخرجت اركض

بغلة رسول الله عم كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله عم على بغلة رسول الله عم حتى مررت بنار عمر بن خطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله عم وركضت البغلة وسبقته بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء فنزلت عن البغلة ودخلت على رسول الله عم ودخل عليه عمر رض فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته فجرى بين العباس وعمر رض بحث طويل فقال رسول الله عم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فأتني به فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله عم فلما رآه قال ويحك يا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال اظن انه واحد ولو كان ههنا غير الله لينصرنا واغنى عنا شيئا وقال عم يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله قال ان لي شكا في ذلك قال العباس رض قلت له ويحك اسلم واشهد لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم ثم التمس ابو سفيان الامان لاهل مكة فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن فقال ومن يسع داره فقال من دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال ومن القى سلاحه ودخل منزله مسكنه فهو آمن فخرج ابو سفيان من عنده عم مسرعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما يغني عنا

دارك قال ومن دخل المسجد الحرام فهو امن ومن دخل مسكنه واغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد الحرام حتى جاء رسول الله عم ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ومن ذلك كان علي رض يقول لمعوية أيستوي المولى والمعتوق يعني اعتقناكم حين مكننا الله تع من رقابكم ولم يقل اذهبوا فانتم معتقون بل قال الطلقاء لان المعتق لا يجوز ان يرد الى الرق والمطلقة يجوز ان ترد في النكاح واهل مكة كانوا بصدد على الحرب وكان يجوز ان يكونوا فيستباح رقهم مرة اخرى ولان الطلاق يختص النسوان وقد القوا السلاح واخذوا المساكن كالنسوان فلما شبهوا بهن وصفهم بما يوصف به النساء ثم اجتمع الناس للبيعة على الاسلام فجلس لهم رسول الله عم على الصفا وعمر بن الخطاب رض اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ عن بيعة الرجال بايع النساء وكان فتح مكة بعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله عم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن وثقيف فهذا قصة فتح مكة شرفها الله تع شرفا دائما الى يوم الحشر والقيام بحرمة النبي عليه الصلوة والسلام نسألك ربنا كرامتك في دار السلام ونرجوا مغفرتك مع التوفيق على الايمان والاسلام

سورة تبت قوله هلكت او خسرت فان التباب يستعمل في معنى الهلاك
كما في قولهم شابة تابة يعني امرأة هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب
اي في هلاك ويستعمل ايضا بمعنى الخسران ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب
اي غير تخسير بدليل انه قال في موضع آخر غير تخسير واصل معناه هو الخسران
المؤدي الى الهلاك وقيل المراد بيدي ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى بما قدمت ايديكم
يداك اي نفسك ومنه المثل المضروب لمن جنى على نفسه يداك اوكتا وفوك نفخ
قيل مورده ان رجلا اراد ان يعبر البحر على زق قد نفخ فيه وشد وكاءه
فلم يحسن احكامه حتى اذا توسط البحر خرجت منه الريح فكاد ان يغرق فاتفق ان
رجلا على زق قد مر بالقرب منه فاستغاث به فقال له الرجل يداك اوكتا وفوك
نفخ فكان مثلا يضرب للجاني على نفسه وهذا التعبير شائع في كلامهم يقولون اصابته يد الدهر
ويد الرزايا اي اصابه ذلك فعلى هذا يكون قوله تبت يدا ابي لهب دعاء عليه
بهلاك نفسه قوله انما خصتا اي يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين
والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما
رمي رسول الله عم حين انذرهم بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه كيف
قصد بهما ان يرمي بهما مثل النبي المكرم وهو يدعو لينجيه من شقاوة الابد الى
سعادة الدارين عن ابن عباس رض انه عم كان يكتم امره في اول المبعث
ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل وانذر عشيرتك الاقربين فصعد
الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد ثم نادى يا آل لوي
فخرجوا اليه ثم نادى يا آل مرة فاجتمعوا اليه ثم نادى يا آل كلاب ثم قال يا آل

يا آل قصي فقال ابو لهب هذه قصي عندك قبائل قريش بطنا بعد بطن فما عندك
فقال عم ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم
من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها
لكم عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فاخذ حجرا ليرميه به
فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تبت فنزلت السورة قوله
وقيل المراد بهما دنياه وآخرته فاليدان على هذا مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم
السبب على المسبب كما اذا اريد بهما النفس الا انه ح يكون من قبيل اطلاق اسم الجزء
على الكل قوله ولانه لما كانت من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل عليها من
اسمه وذلك لان ابا لهب باعتبار معناه الاضافي يصلح ان يكون كناية عن حاله وهي
كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما ان معنى ابو الخير واخو الحرب
بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه
انه جهنمي فثبت ان معنى الكنية باعتبار معناها الاصلي الاضافي يصلح كناية عن كونه
جهنميا انتقالا من الملزوم الى اللازم وانما اوفق وادل على حاله التي هي كونه جهنميا
فلذلك اختيرت الكنية على الاسم لان اسمه لا يدل على حاله والكنى وان كان المراد بها
المعاني العلمية وهي الذوات المسمى بها لكنهم يعتبرون في الكنى المعاني الاصلية ايضا
ولهذا كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل على كونه من اصحاب النار وهذا معنى قول اصحاب النار ه
صاحب التلخيص تعريف المسند اليه باي اداء علما قد يكون لكونه كناية عن معنى يصلح
له العلم فليرجع اليه قوله وقرئ ابو لهب بالواو مع ان الفصيح بالياء لكونه مضافا
اليه كما هو قراءة الجمهور ووجه القراءة بالواو ان الشخص لما كان مشهورا بمعنى الكنية

صارت بمنزلة اسم العلم فلم يتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام لا يتغير كما يقال علي
بن ابو طالب ومعاوية ابن ابو سفيان لذلك قوله وتب اخبار بعد دعاء يعني ان
الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان استحقاقه
لان يدعى بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان العاجز وسبحانه تعالى منزه عنه والجملة
الثانية اخبار عن تحقق دعائه ووقوع مطلوبه على سبيل التفاؤل في مثل قوله
وقد نعدو العاديات في البيت يروى بالواو من دعوى الكلب اذا صاح و
بالدال من عدا في شيء اي اسرع ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها
شبه الجنون تسرع بعضها الى بعضه ووجه دلالته قراءة وقد نبه على ان
يكون الجملة الثانية اخبارا بعد دعائه انه قوله لا تدخل على الدعاء فانه قيل اذا ذكر الوليد
على ان المراد بالجملة الثانية الاخبار بعد دعاء ينبغي ان يتعين ذلك وينقطع احتمال ان
ان يحمل كل واحد منها اخبارا ولكن يراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه
كما اشار اليه بعد هذا الوجه ويجوز ولم الاحتمال قلنا بالدليل دليل جوازه لا دليل
تعيينه بالمراد به بحيث لا يصح ارادة غيره يعني قوله ويدل عليه اي على جواز
ولم يحمل الجملة الثانية تكريرا للاولى للتأكيد لانه لو كان كذلك لما تخلل العاطف بينهما
قوله او الاول اخبار عما كسبت يداه اي اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما يترتب
عليه من المنافع والثاني اخبار بهلاك نفسه فانه هالك وضايع في الدنيا والآخرة وانما
عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما يحصل بمباشرة اليدين قوله نفي لاغناء
المال عنه اي يجوز ان يكون ما نافية عارية عن الاعراب المحل فعلى هذا يكون قوله
اغنى محذوفا اي لم يغن عنه ماله شيئا وهو استيناف جوابا عما كان يقول انه



ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي وبه تم من صورته
وفيه تحيرله وتهكم بما كان يتنعم به من المال والبنين ويجوز ان يكون للاستفهام
الانكاري فيكون في موضع النصب باغنى اي اي شيء اغنى عنه ماله حين نزل به التباب
والبلاء فانه لا احد اكثر مالا من قارون ولم يدفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم
ملكا من سليمان عم فهل دفع ذلك عنه الموت ولم يخرج في الاية ان المراد من الاغناء
الاغناء فماذا قال بعضهم عدو الرسول عم فانه كان يعتقد ان دينه هي العليا وانه
يخرج من مكة ويذلله ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم
بل المعنى انهما لم يغنيا عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصوير

الهلاك بحيث يظهر منه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى ما روي عنه عم
من قوله ان كان ما يقوله ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي قوله
وكسبه على ان ما في ما كسب مصدرية وقوله او مكسوبه على ان يكون موصولا او صفة
اي والذي كسبه او شيء كسبه والموصوف والموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسر ما به
والكسب ايضا بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان المراد بماله رأس المال من اي نوع كان ومكسوبه
ما اكتسبه باصل ماله من النتايج والارباح والاتباع ويحتمل ان يكون المراد بماله المال
الذي ورثه من ابيه وبما كسب الذي كسبه بنفسه ويحتمل ان المراد بماله ما في يده
من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال او من ولده قال ابن عباس رض ما كسب
ولده وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا في قوله عم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه
وان ولده من كسبه وفي قوله عم انت ومالك لابيك قوله وقد افترسه اسد
اي اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله عم دعا عليه لشدة عداوته ددى

مع عروة بن الزبير عتيبة بن ابي لهب وكان تحته بنت رسول الله عم اراد
ان يسافر الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد انى كافر
بالنجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله عم ورد عليه
ابنته وطلقها فقال عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا
عنده فوجم لها اى اشتد حزنه ثم امسك عن الكلام لاجل تلك الدعوة
وقال ما كان اغناك يا ابن اخى عن مثل هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى ان نزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة
فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا
بعتبة فسلط الله والقى السكينة على الابل وجاء الاسد يتخللهم ويشم على
وجوههم حتى وصل عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت من يرجع العام
الى اهله فما اكيل السبع بالراجع قد كان لكم فى هذا عبرة للسيد المتبوع والتابع
فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تبت يدا ابي لهب اخبارا عن هلاك
نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكونه من السورة متقدما
عن هلاكهما لا ينافيه لكون الاخبار الواقع فيها بلفظ الماضى لان ذلك مبنى على انه كان
فى معلومه تعالى انه يحصل ذلك ومات ابو لهب بالعدسة الجوهرية العدسة بثرة
تخرج بالانسان وربما قتلت قال الامام هذه الايات تضمنت الاخبار عن الغيب
من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب وقد كان كذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم
الانتفاع بماله وولده وقد كان كذلك وثالثها الاخبار عنه بانه من اهل النار

النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر روى ابو رافع مولى رسول الله عم قال كنت
غلاما للعباس رضى الله عنه ابن ~~ابي طالب~~ عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس
واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب
تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث
مكانه رجلا اخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت
رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها فى حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى ام الفضل
جالسة وسرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب
الحجرة وكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث
بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا القوم ومنحناهم
اكتافنا فقتلونا كيف ارادوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة
ثم قلت اولئك والله الملائكة فاخذنى وضربنى على الارض ثم برك على
ضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على راسه و
شجته وقالت تستضعفه ان غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كثير وقد صدق
فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما لم يدفناه حتى انتن فى بيته وكانت قريش
تتقى العدسة وعدواها كما يتقى الناس الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة
ثم دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب قوله ولبيان
ما يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على انه
لا شك ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عم من عند الله ومن جملة ما جاء به هو

قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب فهو مكلف بان يصدق هذا القول ومضمونه ولو كان
فيه ما يدل على انه لا يؤمن لكان مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ومؤمنا به والمعنى
تكليف بان لا يؤمن فيكون تكليفه بالايمان تكليفا له بان يجمع بين النقيضين
وليس كذلك لكونه ذلك في وسع العبد وطاقته فاذا كان ابو لهب مكلفا بالايمان و
استلزم ذلك تكليفه بالمحال ولم يثبت بذلك وقوع التكليف بما لا يطاق
مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر في قوله تعالى
انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا ما
لا طاقة لنا به المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل ايصال ما لا يطاق له من العوارض
اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم
اختلفوا في جوازه فمنعه الحنفية والغزالي من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعري
ومن تبعه ومن اراد زيادة التفصيل في هذه المسئلة فعليه مراجعة علم الكلام والمراد
بما لا يطاق اعم مما كان ممتنعا في نفسه كالجمع بين النقيضين او ممكنا في نفسه خارجا
عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد
خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصي فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا
المكلف بالنظر الى نفسه قوله عطف على المستكن في سيصلى هو وامراته وصح العطف
على الضمير المرفوع المتصل من غير تاكيد بالمنفصل للفصل بالمفعول وصفته وطول الكلام
بين المعطوفين وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت
في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله يعني الحطب لنار جهنم جواب
عما يقال انها كانت من بيت العز والسعة فكيف تعالى انها حمالة الحطب واجاب عنه

واجاب عنه بثلثة اجوبة الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به
ما حملته من الاثام والاوزار بسبب معاداتها لرسول الله عم وترغيبها زوجها
على ايذائه عم فالحطب مستعار لتلك الاثام تشبيها لها بالحطب الحقيقي في ان كل واحد
منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اما الاوزار فانها توقد نار جهنم كما ان الحطب
توقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الخصومة والحرب
كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والحرب يطلق عليه اسم النار قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله وعلى كلا التقديرين يكون قوله تعالى في جيدها حبل من مسد ترشيحا
للاستعارة والاستعارة المرشحة ما قرن بها ما يلائم المستعار منه وهو هنا
الحطب الحقيقي ويلائمه ان يلقى حاملة الحطب على جيده بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره
بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته على انها لا تحمله لمصلحة بينها
في حالها انها من بيت السعة فكيف تحطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها تحمل بنفسها
الشوك والحطب لاجل ان تلقيه بالليل في طريق رسول الله عم ليتاذى به عند خروجه
للصلوة وقرأ عاصم بالنصب على الشتم والذم اي اذم حمالة الحطب ومن قرأ برفعها
جعله نعتا للامرأة وجاز ذلك لان الاضافة معنوية اذ الحمالة للمضي او خبر مبتدا
محذوف اي هي حمالة الحطب قوله مما مسد قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال
مسد الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق
والمسد ما مسد اي فتل من الحبال من اي شيء كان اي سواء كان ذلك الحبل منسوجا
من جلود الابل او الليف او الخوص او الحديد قوله او تصويرا لها بصورة الحطابة والليف
الظاهر انه على تقدير ان يكون الحطب على حقيقته لان التصوير المذكور انما يظهر ح اي



-١

اي على تقدير ان يحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون مع كونها من بيت
العز والشرف والمقصود من تصويرها بصورة الحطابة تحقير شانها وتعييرها بذلك الفعل
ايذاء لها ولزوجها تعرضا عن مثله او بيان ان حالها في نار جهنم يكون على نحو
ما كانت عليها في الدنيا جزاء وفاقا لعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم
من شجر الزقوم او نحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها في الدنيا على تلك الصورة
قوله والظرف وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامراته وقد مر انها
معطوفة على المستكن في سيصلى وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال قوله او الخبر
اي او في موضع الخبر على ان يكون وامراته مبتداء وحبل فاعل الظرف ايضا لاعتماده
على المبتداء سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية قوله الضمير للشأن او سئل عنه
يعني ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد
ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتداء والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان
عبارة عن المبتداء متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسئول عنه
المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول السورة قال الضحاك ان المشركين عامر بن
الطفيل الى النبي عم وقالوا شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك
فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها
فقال النبي عم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله ادعوكم
من الاصنام الى عبادة الله تعالى فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين جنس معبودك
أمن ذهب او فضة فانزل الله هذه السورة فقالوا له ثلثمائة وستون صنما لا تقوم
بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد قوله

قوله واحد بدل او خبر ثان بيان لاعراب الآية على الوجه الثاني فانه على الوجه الاول لاشك انه مبتداء
وقوله الله خبره واما لفظ احد فيحتمل ان يكون بدلا من قوله الله وان يكون خبرا بعد خبر
والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلا من المعرفة لانه لا يكون ما هو
الانقص في الدلالة على الذات المرادة بالنسبة وما هو الاتم فيها توطئة لذكره و
احد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لمذهب القاضي الا ان
منع القاضي لما لم يكن متفقا عليه فان ابا علي جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة
من المعرفة مال المصنف الى مذهبه وبنى كلامه عليه حيث جوز ابدال احد من لفظ
الجلالة قوله يدل على مجامع صفات الجلال اي المجتمع معها على ان مجامع اسم فاعل
من جامعه اي اجتمع معه او جمعه فان فاعل قد يجيء فعل نحو سافرت وعاقبت
اللص وكون الاحدية جامعة لجميع صفات الجلال ومن الصفات السلبية عبارة
عن كونه واحدا في ذاته وصفاته وافعاله والوحدة في ذاته بان لا يكون منقسما الى
ابعاض واجزاء خارجية ولا عقلية والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا
في الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره
فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن في نفسه ومبداء الممكنات يمتنع ان
يكون ممكنا في نفسه ولو كان مركبا في العقل لكان مشاركا لغيره في ماهيته لكن
الغير يحتاج الى فصل عنه يميزه عن غيره وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل
ماهية لما سواه يقتضي الامكان فلو كان تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه
والوحدة في صفاته بان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته
والوحدة في صفاته وافعاله بان لا يكون له شريك في شيء منها بان يكون مبداء

الممكنات متعددًا او لكل ذلك يستدعى الامكان وينافى الوجوب فثبت ان الاحدية مستلزمة
لكونه ليس بمركب باحد انحاء التركيب اى لا تركيبا خارجيا ولا عقليا ولكونه ليس بمتعدد
باحد انحاء التعدد اى لا يطرء عليه التعدد لا بحسب صفاته ولا بحسب افعاله والاحدية
بهذا المعنى مستلزمة كونه ليس بجسم مركب بذاته من اجزاء وكونه ليس بمتحيز لان كل لان كل جسم
متحيز منقسم على يمينه من حيث ان يمينه مغاير ليساره وكونه بحيث لا يكون ماهيته
معروضة للتعين بان يكون غير مشاركًا له فى الحقيقة الواجبية وخواصها المقتضية
للالوهية ومتميزًا عنه بحسب التعين العارض لها لانه لو كان كذلك لكان كل واحد منها
مركبا تمام المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب ينافى الوجوب لذاته حيث ان بكونه كونه
احدًا استلزم كونه واحدًا لا تعدد فيه بوجه ما وانها جامعة لجميع الصفات السلبية
لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال فلان الاله هو الذى يستحق العبادة
لذاته وقد مر ان العبادة اسم لكل طاعة لله اديت على وجه التذلل ونهاية التعظيم
فلا يكون الا من يكون مستقلا فى الايجاد والتربية بما يليق باحوال المخلوق فى جسمانيته
وروحانيته وهذا الاستقلال لا يتصور الا ممن كان موصوفا بالقدرة التامة و
الارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وغير ذلك
من سائر صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع
وجازة لفظه اتم بيان او اكمل تعريف له بما هو فى وسع البشر اذ لا سبيل لهم الى
معرفة كنه ذاته وانما الذى فى وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته
السلبية وهذا الاخبار كاف لمعرفته بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو كافيا
شهيد قوله ولعل ذلك اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلث فى وقوع الاتفاق

الاتفاق على تصديرها من بقل وعلى عدم التصدير به فى الثانية وقرئ
بها فى الثالثة قوله فلا يناسب ان يكون منه اى كل واحد من المشاقة ومعاتبة
العم المشاقة المخالفة من الشقاق وهو الخلاف كان كل من المخالفين اخذ
فى شق وهو الناحية من الجبر والموادعة المباركة وتقدير كل من الفريقين
من الاخر على دينه ولفظ الموادعة فيما عندى من النسخ معطوف بالواو والظاهر
ان يعطف بكلمة او وبكلمة او يكون المعنى لا يناسب من اولها الى اخرها اما
مشاقة بان يكون قوله لكم دينكم ولى دين بحصول ما سبق عليه وتاكيدًا
واللام فى قوله لكم ولى متعلقة بالثبات والدوام المقدر وهو الوجه هو الذى
اضافه فى تفسير السورة لعدم استلزامه كون الاية منسوخة باية القتال بخلاف الوجه الثانى
فانه يستلزم ان يكون اخر السورة منسوخا بها من حيث كونه دالا على الاذن فى الكفر
واما موادعة بان يكون المقصود من السورة الموادعة المستفادة من قوله لكم دينكم
ولى دين ويكون ما قبله تمهيدًا لها واذا عطف بالواو يكون المعنى ان السورة مشاقة نظرًا
الى اخرها وهذا هو الوجه المرجوح عند المص من الوجهين الذين ذكرهما فى تفسير السورة
وبناء الكلام على الوجه المرجوح لا وجه له فالوجه ان يعطف بكلمة او واما المشاقة
والموادعة لا يناسب ان يقع كل واحد منهما من عند نفسه عليه السلام من غير ان يكون
مامورًا به من قبل الله تع فلانه ع م ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه واطاعته
فى جميع ما جاء به من عند الله تع فكيف يليق به ان يقول لهم من عند نفسه انتم منى فى
شق وناحية وانا كذلك فى شق منكم لا ابتداء انا دانا وان نوادعهم ونتركهم
وما يدينون ولانه كيف يليق بالحكمة ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك

بما ختم الله تعالى على قلبه فلا يؤمن ابدًا ولا يعبد الله تعالى وانما يتأتى ذلك اذا تبين الله تعالى
ان الامر كذلك واوحى اليه ان يخبر بذلك واما ان معاتبته عمه وشافهته بهذا التغليظ
الشديد لا يناسب ان يقع منه عليه السلام لا من عند نفسه ولا بان يؤمر بذلك من قبل الله تعالى فلان
للعم حرمة كحرمة الاب لانه اب او جد وعمه شقيقه ان لا صدر كما قال عليه السلام عم الرجل صنو
ابيه وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الخلق للحق يجب عليه ان يكون
معاملته مع عامة قومه باللطف واللينة كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام
فقولا له قولا لينا وقال لنبينا ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاذا وجبت مراعاة اللينة مع عامة القوم فكيف بالعم لا سيما عن مثله عليه السلام على خلق
عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا السبب نقل قبل ذلك لئلا يكون مشافها لعمه
بالشتم والتغليظ وانه شتمه بقوله تبا لك الهذا دعوتنا فكانه تعالى يقول
اسكت انت وتكلم بما انزلت عليك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا الشتم
واجيبه عنك فانزل قوله تبت يدا ابي لهب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يؤذيه واحد
فبقي ساكتا فجعل الرسول عليه السلام يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر رضي الله عنه في الجواب
سكت الرسول عليه السلام فقال ابو بكر ما السبب في ذلك قال لانك لما كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك
شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان فظهر ان الاية والحديث بينة من الله تعالى
ورسوله على ان من لا شأن له السفيه كان الله تعالى ذابا عنه وناصرا له ومعينا قوله
واما هذا فتوحيد بقوله تعالى تارة ويأمر بان يدعو اليه اخرى يعني ان المقصود من
هذه السورة لما كان توحيده تعالى لم يلزم تصديرها بقل بل جاز فيها الامران وذلك
لان غاية ما لزم من عدم تصديرها به ان يكون غير معتقد او يتكلم به من عند نفسه



عند نفسه ومحذور فيه فلذلك جاز فيها الامران الا ان تصديرها به اشهر واكثر
لان الرجوع الى التوحيد من المصالح المتعلقة بالنبوة بل هو اول المصالح التي امر
بالقيام عليها هذا التوجيه مراده من قوله ولعل ذلك الى اخره ويرد على ظاهر كلامه
ان قوله بقوله تعالى تارة هو اللازم من عدم تصدير السورة بقل ويفهم منه ان عدم
التصدير يدل على وقوع الكلام من قبله عليه السلام ويفهم من قوله وتبت معاتبة عمه فلا يناسب
ان يفهم منه ان عدم التصدير يدل على انه عليه السلام لا مدخل له في هذا الكلام وانما يتلوه
على انه كلام الله المنزل اليه وبينهما منافاة فليتأمل واختلف القراء في
احد الله الصمد فقراء الجمهور بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا احدُنِ اللهُ الصمد
وهو القياس لانه لما التقى الساكنان التنوين ولام التعريف في لفظة الله حرك اولهما
بالكسر وعن ابي عمرو احدُ الله بضم الدال وغير تنوين ووجه هذه القراءة
ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في انها من حروف الزيادة فلما
شابهتها اجريت مجراها في انها حذفت لالتقائها مع الساكنين فانه يقال رمى القوم
ويرمي القوم ويغزو القوم بحذف حرف اللين لالتقاء الساكنين فكذلك حذفت النون
في احد الله الصمد لذلك ولهذا ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم نحو
لم يك ينفعهم ايمانهم ولا تك في مرية وعن ابي عمرو احد الصمد باسكان وقطع همزة
الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته
في ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة والتنوين وقال ادركت القراء يقرؤونها كذلك وصلا
على السكون وقوله تعالى هو الله احد ثلثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات
السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء

وان تعليل وجوب تصدير احد السورتين بقل وعدم جواز التصدير به في الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكم المنافي بعلة واحدة لا يخفى ظاهرا

وحقائقها من حيث هي فلا جرم لم يروا موجودا سوى الله لان الحق هو الذي لذاته
يجب وجوده واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما
فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة و
مفتقرة في تعيين المراد بها الى سبق الذكر بالوجه او الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم
يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة عن
غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان
يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا
السبب كان لفظ هو كافيا في حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب
اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم يشاهدون الحق موجودا ويشاهدوا
الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن لفظ هو كافيا للاشارة
الى الحق بل لابد هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق فهؤلاء احتاجوا الى ان يقرن
لفظ الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر اليه
ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه فيتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام
الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهو الذي يجوزون ان يكون واجب
الوجود اكثر من واحد فقرن لفظ احد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم
فقيل قل هو الله احد قوله السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا التفسير نقله صاحب التيسير
عن ابن عباس رض الا انه ليس فيه لفظ السيد وهو المناسب لما نقل عن اهل اللغة
ان الصمد فعل بمعنى مفعول كنقض وقبض بمعنى منقوض ومقبوض لما صح من
صمد اذا قصد وهو باب نصر [illegible] وروي عن ابن عباس رض انه لما نزلت هذه

الاية قالوا وما الصمد فقال هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ولا شك ان من يقصد اليه
في جميع المهمات ويرفع اليه جميع الحاجات لا بد ان يكون مستغنيا عن كل ما عداه وكاملا في
جميع الجهات صفاته وافعاله فهو غاية السيادة وفي نهاية رفعة الشان وعلو القدر
فقوله السيد تفسير الصمد وما بعده صفة كاشفة له قال السدي الصمد المقصود في الرغائب
المستغاث به عند المصائب وقال ابو هريرة رض الصمد المستغني عن كل احد والمحتاج اليه
كل احد قوله وهو الموصوف به على الاطلاق قال حجة الاسلام الغزالي وهو من جعله الله
مقصد العباد في مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم
عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوائج وهو الله عز
وجل ذكره وقال صاحب التيسير وقوع هذا الاسم على من يعظم من البشر انما هو على
الاستعارة لانه ليس لاحد من المخلوقين وان عظم شانه وعلت رتبته الا وهو موصوف
بالنقص عاجز عن ابلاغ من يقصده غاية امله فالصمد في الحقيقة من هو ملجاء مستغيث
في نوازله ومن بيده ناصية كل من خليقته قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته فان العرب بل
اكثر الخلق يعرفون انه هو الذي يقصد اليه في الحوائج وان جميع ما سواه مفتقر اليه كما قال
الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد
معرفا بخلاف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان في الوجود ذاتا لا تركيب ولا انقسام
ولا تاليف فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا في صفاته بانه لا مكمل له ونظير ولا شبيه
وفي افعاله بانه لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات
وكل محسوس منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو واحد في ذاته لا انقسام له اصلا
فنكر لفظ احد لذلك قوله الاشعار الخ والاشعار ان قوله الله الصمد جملة اسمية

طرفاه معرفتان تدل على انه لا صمد في الوجود سوى الله فان مثل زيد الامير قصر الجنس
على زيد وقصر الصمدية على من اتصف بالالوهية ونفيها عمن سواه يشعر بان من انتفت
الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وهذا المعنى انما يحصل بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه
فانهم لما سئلوا رسول الله اي بيّن ان معبوده من اي جنس هو اجيبوا بانه الله الذي
يستقل بالخلق والايجاد ومن ضرورته ان يكون موصوفا بالصفات الاضافية كالعلم المحيط بجميع
المعلومات والقدرة التامة والارادة النافذة وغير ذلك من صفات الكمال ثم ابدل منه لفظ
احد ليفيد انه منزه عن جميع انحاء التركيب والتعدد يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز وكونه
حالا في التحيز او محلا له ونحو ذلك ثم بيّن لهم ان الله هو الصمد اي السيد المستغني عن جميع ما سواه
القاضي بجميع الحوائج لكن ذلك بمقتضى حكمته للاشارة الى انه ليس له شريك في ملكه ولا ضد ولا ند
فهو الواحد بنفسه في ذاته وصفاته وافعاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولو قيل هو الله
احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان كل واحد من قوله احد والصمد خبرا بعد الخبر على تقدير ان
يجعل ضمير هو راجعا الى المسئول عنه ويكون لفظ الله خبرا عنه واما ان جعل قوله الله
احد جملة مفسرة لضمير الشأن وخبرا عنه فيجعل الصمد خبرا بعد خبر للجلالة ويكون المعنى ان الشأن
انه تعالى متصف في الواقع بالاحدية والصمدية وعلى التقديرين يكون الكلام خاليا عن الاشعار
المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج اليه لابد وان يكون ذلك لنكتة والاشعار المذكور
يصلح ان يكون نكتة تحمل عليه قوله لانه كالنتيجة للاولى او الدليل عليها وجه الاول ان من
له الوحدة في ذاته وصفاته وافعاله بان كان مبدع الكل وحافظه ومدبره فلا جرم
لا يصمد في الحوائج الا اليه فكونه صمدية متفرعة على احديته ووجه الثاني ان من كان ملجأ
كل مستغيث لابد ان يكون على درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان فوجب



ان يكون احدا قوله لانه لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا اذ يجانسهما
والجان وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه فان القرح المتولد يكون وسيلة
الى توليد المماثل او المجانس ولا يكون وسيلة الى توليد المباين ونفي المجانسة
يستلزم نفي المماثلة على الخصوص نفي كونه والدا بطريقين الاول ان الولد لا بد
ان يكون من جنس الوالد بعضا جنسه مع من يجانسه فلا مجانسة فلا ولادة والثانية
ان الولادة مبنية على الاحتياج الى من يعينه في حياته ويخلف عنه بعد وفاته فلا احتياج
ولا فناء له فلا ولادة يتفرع عليها بكلمة او في قوله ويخلف عنه لتقسيم احوال الوالد
وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه مولودا مع ان المولودية سابقة على الوالدية
فالشخص يولد اولا ثم يكون والدا بناء على نفي كونه والدا اهم بالنسبة الى نفي كونه
مولودا فان صنفا من الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدع احد ان له والدا فان مشركي
العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد
تعليل لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره
قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضي وعدم التعرض بانه هل يلد في المستقبل ام لا
مبني على معنى المقصود من الاية تكذيبهم في قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله
وان فلانا وفلانا ابن الله وهو صح الجميع انه تعالى ولد في الزمان الماضي فلذلك رد عليهم
وكذبهم بان قال لم يلد في الماضي ولم يكن المقصود بيان انه تعالى هل يصح ان يلد في احد
الازمنة ام لا لم يصح الاقتصار على لفظ الماضي وليس كذلك قوله وذلك لانه لا ينتقض
الى شيء ولا يسبقه عدم نفي ان هوله ولم يولد تنزيه له تعالى عن النقصان اللازم من كونه معلولا

لغيره ومن كونه حادثا فان كل مولود حادث معلول لوالده قوله اى ولم يكن احد يكافيه اشارة
الى انه احد اسم يكن وكفوا خبره وله ظرف لغو متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل والظرف
يكفيه رايحة الفعل اى لم يكن احد يشبهه له ويجوز ان يتعلق بيكن لانه فعل والمعنى اختار
الاول حيث قال يكافيه قوله وكان اصله ان يؤخر الظرف اى الظرف المقدم منها
وهو له لانه صلة اى لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه والظرف المستقر هو
الذى يفتقر تمام الكلام اليه لانه خبر كان واللغو ما يكون الكلام تاما بدونه كما في قولك
ما كان احد خيرا منك فيها فان الظرف فيه فان الظرف فيه لغو لان الكلام تام بدونه فان
قولك ما كان احد خيرا منك كلام تام لاستيفاء كان اسمه وخبره وله في الاية ظرف لغو
لان الكلام يتم بدونه بلم كان وخبره والاصل في الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف
اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة اليه وتقديم المقصود اولى
وافصح فيكون تقديم اللغو عليهما مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل لكن يترك الفاعل
هذا الاصل اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله اهم بالنسبة الى الفاعل والمفعول
ويقدم عليهما لكونه اهم منهما نظرا الى ذلك العارض كما يقدم المفعول ونحوه
على الفاعل اذا عرض له ما يجعله اهم بالنسبة الى الفاعل فان المقصود في الاية
ليس نفى ان يكون احد كفوا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفى كونه كفوا بالنسبة اليه
ومنصب هذا المعنى ومركزه هذا الظرف فكان لذلك اهم بذلك واعتناؤه واحق
بالتقديم او اهراه قوله ويجوز ان يكون حالا معطوفا فان حيث المعنى على قوله و
كان اصله ان يؤخر الظرف فانه في معنى ولكن اصله الظرف لغو فكان اصله ان يؤخر و
تقدير الكلام على ان يكون الظرف حالا من المنوى في كفوا انه لم يكن احد كفوا كاينا



كاينا له فيكون له ظرفا مستقرا قايما مقام عامله ويجوز ان يكون له خبر يكن
وكفوا حالا من احد لان الاصل كان صفة لاحد فلما تقدم عليه انتصب حالا لامتناع
تقديم الصفة على الموصوف وفيه ضمير يعود الى ذى الحال قوله لان المراد منها نفى
اقسام الامثال فان المقصود من قوله لم يكن يلد ان ينفى عنه تع القسم المخصوص
من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه القسم الاخر
وهو الوالد ومن قوله لم يكن له كفوا احد ان ينفى عنه باقى الاقسام كالصاحبة
والشركاء فحصل بذلك تناسب تلك الجملة باعتبار المسند اليه فى كل واحد من تلك
الجمل في انها من اقسام المثل وتناسبها باعتبار المسند ظاهر لان المسند فيها هو
الانتفاء وبذلك يتحقق الجامع بين تلك الجمل الى حالها التوسط بين كمال
الاتصال وكمال الانقطاع وتقرر بحث العطف لحكم في مثله الجمل التى ربط
بعضها لبعض بالعطف وتوضيح المقام الجملتين اللتين لا محل لهما من الاعراب ولم
يكن للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية قد يكون بينهما كمال الاتصال بان
يكون الثانية موكدة للاولى او بدلا منها او بيانا لها وقد يكون بينهما كمال الانقطاع
وذلك يكون بامرين الاول باختلافهما خبرا او انشاء لفظا ومعنى او معنى فقط
والثاني بانعدام الجامع بينهما واذا انتفى الامران ينتفى كمال الانقطاع واذا لم
يكن بينهما كمال الاتصال ولا كمال الانقطاع بل كان حالها التوسط بين الكمالين
بان لم يكن الجملة الثانية مؤكدة للاولى ولا بدلا منها ولا بيانا لها واتفقتا خبرين
او انشائين وبينهما جامع بان يكون المسند اليه في احدى الجملتين هو المسند اليه في الاخرى
كقولك يشعر زيد ويكتب او مناسبا له بان يكونا اخوين او صديقين او عدوين كقولك زيد

شاعر وعمرو كاتب وبان يكون المسندان ايضا متناسبين كالشعر والكتابة وكمال
الاعطاء والمنع في قولك زيد يعطي ويمنع فانهما متناسبان بالتضاد فعلم الحكم بين
العطف وان يكون بين المسند اليهما تناسب نحو زيد صبيح وخاتم صبيح او
كانا متناسبين لكن لم يكن المسندان متناسبين لكن لم يكن المسند نحو زيد
شاعر وعمرو طويل لم يجز العطف قوله وقرأ حمزة ويعقوب اي قرأ العامة
كفوا بضم الكاف والفاء وحمزة اسكن الفاء وابدل الهمزة واوا وقفا
خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا والباقون بالهمز مطلقا وقد تقرر ان كل اسم
على ثلثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا قوله
وجعلوا له من عباده جزءا قوله فانها متضمنة محصورة في بيان العقايد
والاحكام والقصص وقيل ان مقاصد القرآن ثلثة علم المبدأ وعلم المعاد
وعلم ما بينهما اعني الصراط المستقيم ومعنى السورة الكريمة كافل بعلم المبدأ
الذي هو ثلث ما تكفل به جميع القرآن فكانت بهذا الاعتبار معادلة لثلث
القرآن كما روي من قوله عم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن قوله
ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك اي امهات علوم القرآن فان المقصود
بالذات منها علم المبدأ وصفاته وما عداه ذرايع اليه عن سهل بن سعد جاء رجل
الى النبي عم وشكا اليه الفقر وقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان
لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة ففعل الرجل كذلك فادرّ
الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه روي عن بعض اصحابه انه قال كنا في تبوك
فطلعت الشمس ولا لها ضياء ولا شعاع ما رايناها على تلك الحالة قبل ذلك فتعجب كلنا



كلنا من ذلك فنزل جبريل فقال له رسول الله عم ما لي ارى الشمس اليوم طلعت بضياء
وشعاع لم ارها طلعت فيما مضى مثلها فقال ذلك ان معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة
فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه فهل لك ان اقبض لك الارض فتصلي
عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع وروي انه قال فهل لك ان تصلي عليه ثم ضرب
بجناحه الارض فازال الجبال وصار عم كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال
بم بلغ ما بلغ فقال جبريل كان يحب سورة الاخلاص ويكثر قراءتها بالليل والنهار
وفي ممشاه وقيامه وقعوده وروي انه عم دخل المسجد فسمع رجلا يدعو
ويقول اسئلك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
عفوك عفوك ثلث مرات فقال عم غفر لك غفر لك ثلث مرات
فان قيل لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب
بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال اتخذه
ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم عم خليلا تشريفا فنفى الامرين في الايتين فقوله
لم يلد اشارة الى نفي الولد في الحقيقة وقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى القسم الثاني
سورة الفلق مكية وقيل مدنية وكذلك الاختلاف في سورة الناس الفلق
بسكون اللام الشق يقال فلقت الشيء فلقا ما انفلق وتفلق اي شققته فانشق و
تشقق والفرق بين التمييز والتبيين قال الله تعالى وفرقناه اي بيناه والفرق
بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل منهما فرقة متميزة عن الاخر و
المصنف حكم بان كل واحد من لفظي الفلق والفرق بتحريك العين فعل بمعنى
مفعول اي بمعنى المفلوق عنه وذلك انما يتحقق بان يكون الشيء مستورا و

ومحجوبا بآخر ثم ينشق الحجاب الساتر عن وجه المستور عنه ويزول فيظهر ذلك
المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب
المنكشف بزواله مفلوق عنه ثم الظاهر انه يبقى المفلوق عنه على عمومه فان
الممكنات باسرها اعيان ثابتة في علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات
العدم غير متناهية وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين
والايجاد فاظهر ما في علمه من المكونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كانه صار مسلوخا عنها
من الجلد وكالصبح صار مفلوقا عنه بازالته ما عليها من ظلمة الليل فظهر ان مفهوم المفلوق عنه
عام لجميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من امر
كالعيون من الارض والجبال قال الله تعالى وفجرنا الارض عيونا وان منها لما يتفجر منه الانهار
وكالامطار من السحاب وكالنبات من الحب والنوى والارض وكالاولاد من الارحام
فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى الخلق على وجه الابداع قوله وتخصيص عرفا بالصبح
هذا الوقت مبني على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة
الليل فتستره تارة فتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل تغشاها ضوء النهار
عند طلوع النير فتصير كزنجي لبس ثوبا شفافا ابراما وينسلخ عنها عند غروبه
ويؤيد هذا المعنى تقدم الظلمات في قوله وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل
ايضا ولا اجرا والاوجه قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال جواب عما يقال ان
مقام الاستعاذة والاعتصام والامتناع تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير
٣ تعميم الفلق بجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى

فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ اي امتنع واعتصم واحترز برب جميع الممكنات
ومكون جميع الكائنات ولا يخفى ان الصبح احد الامور الداخلة في هذا العموم فيكون
التعظيم فيه اتم مما وجه التخصيص وتحصيل الجواب ان التعميم وان كان له مناسبة
بهذا المقام الا ان التخصيص له وجه آخر يناسب مقام الاستعاذة ايضا فان
مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج من ضيق الخوف والخشية
الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور
وتخصيص الصبح ادل على هذا المخصوص لمقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها
باشراق نور الصبح وتبدل وحشة الليل وثقلته بروية الصباح وخفته
فان الليل ثقيلة يكون الانسان فيه كاللحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب
اللحم عليه فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا يجد كل مريض
ومهموم خفة في وقت السحر روي ان يوسف عم لما القي في الجب وجعت
ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبرائيل عم
باذن الله تعالى يسليه ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبرائيل ادع انت وأؤمن فدعا
جبرائيل عم وامن يوسف عم فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت
يوسف عم قال يا جبرائيل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت وسأل يوسف ربه ان
يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد
نوع خفة في آخر الليل وروي ان دعاءه في الجب كان هذا يا عدتي في شدتي
ويا مؤنسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي
ويا الهي ويا اله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف

وقوله جلية يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا بما كان
الاختلاف احوال الناس فانه يشبه يوم القيامة من حيث ان الخلق في الليل كالاموات والدور
كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا يجر
الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه فكذا
الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه حقوق
الله وحقوق عباده ما لا طاقة له بتحمله ومنهم من يجره الملك الجبار ومنهم من كان
مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يتقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت
وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس وتغيرها
في فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة للاشعار
بان قدر التغيرات المدلول عليها بالصبح يقدر ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه
ويحذر منه ولفظ الرب هنا اوقع اي اليق وانسب وقوعا جواب عما يقال
ما السبب في انه حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله
وقال في موضع آخر وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
وقال هنا اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب مع ان اسم الله هو اعرف
الاسماء فلم لم يقل اعوذ بالله بل قال اعوذ برب الفلق واجاب عنه بان الشر المستعاذ
منه في هذه السورة هو الشر المضاف الى اسم عالم الخلق وهو المحسوسات من الاجسام
والجسمانيات وانما سمي عالم الاجساد والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير
والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضادة بدنية والاستعاذة عن المضار
البدنية تربيته فناسب ذلك ان يعبر عن المعيذ عنها باسم الرب فكانه جعل

جعل تربية الله له فيما تقدم وسيلة الى تربيته له فيما يأتي من الزمان او كان العبد يقول
بحق التربية والاحسان دائما القديم فلا تهملني وما في قوله من شر ما خلق يجوز ان
تكون موصولة عائدها محذوف اي من شر كل ما خلقه مما يكون له شر وان يكون مصدرية
اي من شر خلقه اي مخلوقه تسمية المفعول بالمصدر وهكذا وقسم الشرور المضافة
الى عالم الخلق اي الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى ما لا يتعدى اثره
الى غير فاعله بل يلازمه كالكفر وسائر الآثام اللازمة والى ما يتعدى الى غيره كالظلم
سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها و
اكلها ولدغ الحيوانات والعقارب قوله ليل عظم ظلامه بغيبة الشفق
فيمتلئ الارض ظلمة قال الجوهري الغسق اول ظلمة الليل وقد غسق
الليل يغسق غسوقا اي اظلم والغاسق الليل اذا غاب الشفق وكل شيء
اسود فقد غسق وغسق الجرح غسقانا اي سال منه ماء اصفر والغاسق السائل
وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض وقال الزجاج الغاسق في اللغة هو
البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والوقوب الدخول في شيء آخر بحيث يغيب
عن العين يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل قوله وتخصيصه اي اندراجه
تحت عالم الخلق وقد استعيذ من شره آنفا والتخصيص للاشارة الى تفخيم شره لكثرته
وعسر دفعه فيه اما كثرته فلان السباع في الليل تخرج من آجامها والهوام من مساكنها
وكذا السراق واهل النهب وسائر مترصدي الفرصة ينتشر فيها وعن عكرمة
ان عفاريت الجن تنتشر في تلك الساعة واما عسر دفعه ما وقع منه من الشر فلان
ظلمة الليل تستر القاصد بالسوء فيأخذه قصده على غرة وغفلة منه فلا يتمكن

فان عالم الخلق قسيم عالم الامر ... الا له الخلق والامر

جواب عما يقال ولم من شر ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعد من الغاسق والنفاثات والحاسد

منه ومنه بنفسه ولا بالاستعانة عنه لان الغوث يقل فيه ولذلك لو شهر على انسان
بالليل سلاحًا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارًا يلزمه لانه يوجد فيه
الغوث قوله وقيل المراد به اي بالغاسق اذا وقب هو القمر ويسمى به لانه يكسف
فيغسق اي يذهب ضوءه ويسود ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد والكسوف
ودليله ما روي انه عم اخذ بيد عائشة رض فاشار الى القمر وقال استعيذي
بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندي فيه اي في تسمية
القمر غاسقا وجه آخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم
فهذا هو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق والمحاق يوجد في آخر
الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة
لانه لا يزال ينقص نوره فلا يزيد بسبب ذلك نحوسة ولذلك لا تشتغل السحرة
بالسحر الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا مناسب لنزول السورة
فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي عم لاجل التمريض واذا في قوله تع اذا وقب
منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا قوله والنفث النفخ مع
ريق وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق ومنه قوله عم ان روح القدس نفث
في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الجوهري النفث شبيه بالنفخ
وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ قوله وتخصيصه اي تخصيص النفث
من بين طرق السحر ومقدماته والسحر باي طريق كان يفتتن الناس به فينبغي
ان يستعاذ من شره مطلقا السواحر فما السبب في تخصيص السواحر باللاتي
يعقدن عقدا وينفثن عليها وتحصيل الجواب انه لما تبين السورتين نزلتا

[illegible]

نزلتا لان يشتفي بهما رسول الله عم من شر السحر الكائن بالنفث في العقد
فلذلك خص ذلك بالذكر روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي عم فاخذت
اليهود منه فلم يزالوا به حتى اخذ لهم مشاطة راس النبي عم وعدة اسنان من
مشطه واعطاها اليهود فسحروه بها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له
لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي عم
وانتثر شعر راسه ولبث فيه ستة اشهر وجعل يذوب ولا يدري ما
عراه فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه فقال
الذي عند رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال
ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة
قال اين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع
وقشره والراعوفة حجر في اسفل البئر يترك هنالك اذا احتفرت البئر ليجلس
عليه من ينقي البئر اذا اراد ان ينقيها زمانا فانتبه النبي عم مذعورا وقال
يا عائشة اما شعرت ان الله تع اخبرني بدائي ثم بعث رسول الله عم عليا رض
والزبير رض وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة الحناء
ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان
من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فانزل
الله تع هاتين السورتين فجعل عم كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض
خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام رسول الله عم كانما انشط من عقال
وجعل جبرائيل عم يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد

بعض نسخ

والظاهر ان مراده تخصيص النفث والذكر والاستعاذة من شره في ... [illegible]

وعيني والله يشفيك والمعتزلة انكروا هذه الرواية وتاثير السحر فيه عم وقالوا كيف يكون
القدح بصحتها والله تع يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان
تجويزها يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت
هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عم العيب ومعلوم ان ذلك
غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم
صدق الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون
ازيل عقله بسبب السحر فلذلك يجب ترك دين ابائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده
في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تع ما كان يسلط عليه لا شيطانا
ولا انسا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث
بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتاثير السحر فيه عم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان
في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه عم يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر
البشر من حيث الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتاثير السحر
فيه عم من حيث بشريته لا يقدح بنبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تاثير
في امر يرجع اليها كما لم يقدح كسر ثناياه يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله
والله يعصمك من الناس قوله وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال
بالحيل فمعنى هذا النفاثات من جنس النساء اللاتي شانهن ان يغلبن على الرجال النفاثات
[illegible] ويحولنهم عن ارائهم وعزايمهم التي تصمموا على امضائها لا مطلقا النفوس السواحر
ونشر من غلبتهن على الرجال الضابطين لامرهم المحترزين عما لا ينبغي في سيرتهم
الاخذين بالجد والاستبعاد في جميع احوالهم فيغلبن عليهم بانواع المكر والحيلة

فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عم للنساء يا معشر النساء تصدقن فاني رايتكن
اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت
ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احديكن والحازم الضابط
الامور المتبصر في سيرته شبهت عزايم الرجال وارائهم بعقد الحبال فاطلق عليها
اسم العقد وشبه ابطال تلك العزايم بالحيل بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها
ليسهل حلها فمعنى الاية ان النساء لاجل استعدادهن في قلوب الرجال يتصرفن
فيهم ويحولنهم من راي الى راي ومن عزيمة الى الاخرى فامر الله تع رسوله بالتعوذ
من شرهن فلذلك قال الامام الاجل محمد بن ادريس الشافعي رح قوله ان النساء كشياطين
خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين وقيل في جوابه ان النساء رياحين خلقن لكم قوله
وكلكم تشتهي شم الرياحين قوله وافرادها بالتعريف جواب لما يقال عرف النفاثات ونكر
غاسق وحاسد مع ان اشتراك الجميع في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة
فعرف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع احادها وليس كل غاسق
وحاسد بشرير فنكرا قوله لاغتمامه بسروره تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد
قبل عمله بمقتضى حسده اي لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بنعمته روي
عن علي بن ابي طالب رض الله در الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل
المحسود قوله وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بالحيوان وغيره ذكر المص
لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة
اليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لانها اما من قبيل الاجسام او الجسمانية وجها مستقلا
مناسبا له وتوضيح الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب

الحاملة للجبولة على افراد عنه فانه انما يقصد عنه غالبا فيما عنه واستكره لرؤيته عند
غيبة كان الحسد بذلك كان كالسبب لشر الجبولة وفرع فلذلك لم يكتف باندراجه تحت
عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره خصوصا قوله ويجوز ان يراد بالغاسق ما
يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى ففسر الغاسق اولا بالليل المظلم اذا دخل ظلامه بالحلول
في ضوء النهار وستر كل شيء وثانيا بالقمر اذا دخل في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر
وثانيا بجنس النساء اللاتي تبطلن عزايم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد
اذا عمل بمقتضى حسده واشار هنا الى التعبير كل واحد من هذه الاوصاف الثلثة بتفسير آخر
ففسر الغاسق بما يخلو من حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها
تشبه النور في كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوة الغاذية النباتية يزيد
بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس الظاهرة و
الباطنة والشهوة والغضب فكل واحد منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار من
الجبولة فنا بعث النور بذلك الجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيها
من القوى النفسانية فهي القوى المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب
طبايعها من المضار فقوله كالقوى تمثيل للقوى للمضاهي والمراد بما يخلو عن النور
وما يضاهيها هو الجمادات وفسر النفاثات على سبيل الاستعارة التحكية بالشبه
تزايدها في اقطارها الثلثة بحسب قوتها الغاذية النباتية بمن ينفث في العقد الثلث
فكان قيل النفاثات قوى فان القوة الغاذية النباتية هي التي تزيد في طول النبات
وعرضه وعمقه وشرها ايضا ما يترتب على طبايعها من المضار وفسر الحاسد بالحيوانات
بان جعله كناية عنه بناء على ان الحيوانات بينة لازمة للحاسد وبين هذه التعابير

النفاسير ان الانسان لا يتفرد عن الاجسام العنصرية وهي اما جماد او نبات
او حيولة فامر النبي بالاستعاذة عن كل واحد منها بكلام على حدة قوله فانما يقصد
عنه غالبا طمعا فيما عنه جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالجبولة فانه يفهم من
التعبير عن الجبولة بلفظ الحاسد في مقام الامر بالاستعاذة من شر الجبولة ان
منشأ شر الجبولة منحصر في وصف حسده فليس كذلك وتقرير الجواب ان باقي
الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وان جاز ان يكون منشأ شر الجبولة
وحاملا له على افراد عنه الا ان غالب ما يحمله على الافراد هو الحسد فكان الحسد
بذلك كانه كل الحامل ولا حامل سواه فللتنبيه على هذا المعنى اضيف
الشر اليه اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له واختلفوا في انه هل يجوز
الاستعانة بالرقى والتعويذات ام لا منهم من قال انه يجوز واحتج عليه
بما روى ان رسول الله عم اشتكى فرقاه جبرائيل عم فقال بسم الله ارقيك من
كل شيء يوذيك والله يشفيك وبما روى انه عم قال من دخل على مريض لم يحضر
اجله اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات شفي
وبما روى عن علي رض ان رسول الله عم كان اذا دخل على مريض قال اذهب
الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت وبما روى
ان عثمان بن ابي العاص الثقفي قال قدمت على رسول الله عم وبي وجع قد كاد
يبطلني فقال رسول الله عم اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما اجد سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني
الله وبما روى انه عم اذا سافر فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله

اعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك ومن شر ما يخرج منك ومن شر ما يدب عليك واعوذ
بالله من اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وبما
روي ان عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيئا من
جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي
ومنع الناس من منع الرقى بما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال نهى رسول الله عليه السلام عن الرقى
واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا تعرف حقائقها واما ما كان له
اصل موثوق به فلا نهي عنه كذا في التفسير الكبير سورة الناس مكية وقيل مدنية
وقرئ قل اعوذ نحو خذ ربعة من الطير بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها قوله لما كانت
الاستعاذة جواب عما يقال لو اضيف لفظ رب وملك واله الى الناس خاصة وهو رب
العالمين وملكهم والههم وليس رب الناس خاصة ولم يعمم الاضافة كما في السورة المتقدمة
وتقرير الجواب ان الشر المستعاذ منه في هذه السورة هو الوسوسة وهي لا تصلح الا بقلب
الانسان فلذلك خصه من بين المربوبين ممن يتضرر بالوسوسة وهو الانسان باضافة
كل واحد من لفظ الرب والملك والاله اليه بخلاف السورة المتقدمة فان الشر المستعاذ
منه فيها هو شر عالم الخلق فان الغاسق والنفاثات والحاسد من جملة عالم الخلق وشر عموم
عالم الخلق افراد بدنية لا يتعدى الى القلب فلا تختص بالانسان بل يعم جميع ما له
جسم وبدن فلذلك اضيف الرب فيها الى ما يعم الانسان وغيره وهو الفلق فهو عليه السلام
امر في السورة المتقدمة بان يستعيذ من المضار البدنية وفي هذه السورة من المضار
القلبية الا انه ادرج نفسه الكريمة فيما تقدم في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق حيث
لم يقل اعوذ بربي مع انه مناسب لاسناد العوذ الى ضمير المتكلم وصح وتوجه الامر

وتوجه الامر بالعوذ اليه بخصوصه وجه المناسب من حيث ان ما ينبغي للمربوب
الذي يخاف من ان يصيبه مكروه ان يستعيذ بربه بان يتضرع بربوبيته الى
نفسه ويتعوذ بها ربي اعوذ بك من كذا عدل عن هذا الطريق في السورتين
بان اضيف الرب في الاولى الى الفلق وفي الثانية الى الناس رعاية
لجانب الشر المستعاذ منه اشارة الى انه في الاولى يعم الانسان وغيره
وفي الثانية يخص الناس ولا يخفى ان هذا منهم بل يعمهم ولو اعتبر كل واحد من
صفة الربوبية والملكية والالهية من حيث كونها صفات البارئ تعالى لكان المناسب
تعميم الاضافة بان يقال رب العالمين وملكهم والههم ولو اعتبر حال الشر
المستعاذ منه وعمومه بالسورة الاولى لغير الانسان وخصوصه في الثانية
بالناس وعدم اختصاصه بنوع منهم جعل امر الاضافة على حسبه فكانه قيل
في السورة الاولى اعوذ من شر ما يضر بالابدان والاجسام بربها وفي الثانية
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم قوله فان الرب قد لا يكون ملكا يعني
ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل
اشتراكه ورب بالاضافة فيه ابهام وشيوع لانه قد يكون ملكهم وقد لا يكون
كما يقال رب الدار ورب المتاع وقال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فلا جرم بينه واوضحه بقوله ملك الناس وهو نهاية البيان
وغاية التوضيح لان الاله مفردا او مضافا لا يجوز اطلاقه على غيره تعالى قوله
وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة وجه الدلالة ظاهر لان من كان
رب الناس كان مولى بنعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب الذي يحمي

عليهم والقادر على التصرف فيهم لان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو
غنيا عن غيره والاله هو الذي يستحق العبادة لذاته لكونه في غاية التقدس ونهاية
العظمة والكبرياء كيف لا يكون حقيقا بالاعاذة قادرا عليها قوله فانه اى الناظر يعلم
اولا بما يرى عليه النعم في بما يرى سببية لا صلة يعلم بمجيء قوله ان له ربا بعد
ثم يتحقق انه غني عن الكل لانه اذا تيقن ان كل جود وكمال ينبع
اصل الجود انما هو فايض منه سائل من خزاين رحمته التي وسعت كل شئ يتحقق
عنده انه غني عن الكل وملكهم قوله ويتدرج على قوله يستدل تدرج الرجل
اى مشى لما كانت صفة الربوبية مبداء معارف الناظر وصفة الالوهية منتهاها
يتدرج في الاستعاذة بذات المستعاذ به الذي لا يدرك بكنه ذاته بدا انما
يدرك بحسب اوصافه على حسب ما حصل له من معرفته بحسب الاوصاف فاستعاذ
بمن علمه بصفة الربوبية ثم بصفة الملكية ثم بصفة الالوهية كما تدرج في
الاستعاذة المعتادة بمن هو الوسيلة البعيدة في حصول الامن ثم بالمتوسطة
ثم بالقريبة تنزيلا للصفات المتخالفة منزلة الذوات قوله اشعارا بعظم الآفة
علة ليتدرج بعد اعتبار كونه معللا بقوله تنزيلا فافهم قوله وتكرير الناس يعني ان لفظ
الناس المذكور ثانيا وثالثا موضوع موضع الضمير لفايدتين الاولى ان عطف البيان
انما يحتاج اليه ويؤتى به في موضع الاحتياج الى الايضاح والاظهار واظهار الاسم
ادخل في الاظهار والفايدة الثانية ان اظهار الاسم اشعار بشرف الانسان ووجه
الاشعار انه تعالى لم يكتف بان يرد صفة الربوبية والملكية والالهية الى ضمير الانسان
بل ردد باسم الانسان في كل واحدة منها فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه
بهذا الاسلوب قوله اى الوسوسة اشارة الى ان الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى

الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال ويسمى الشيطان باسم الوسوسة
للمبالغة في اتصافه بها من قبيل رجل عدل اى مبالغ في العدل حتى صار كانه عين
العدل وكذا الشيطان مبالغ في الوسوسة كانه صار عين الوسوسة ويجوز ان يحمل
الكلام على تقدير المضاف اى من شر ذي الوسواس والخناس صيغة مبالغة من
الخنوس وهو الرجوع والتأخر وقيل هو الاختفاء لقوله تعالى فلا اقسم بالخنس
يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها والخنس يجوز على انه صفة الوسواس والوسوسة
والتخنس صفتان للشيطان عليه ما يستحق على حسب حالتي الانسان كما ورد
في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر
الله خنس اى تاخر وولى وقيل الخناس له راس كراس الحية يضعه
على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير ان يسمع
صوته والوسوسة الدعوة الى الشر من خفية واصل الوسوسة الصوت
الخفي وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين
الجن تدعو الى المعصية ويزينها باخفاء ضررها اما بان يغر العبد بسعة
رحمة الله تعالى وعظم عفوه او بان يخيل اليه ان في العمر سعة فستتوب
بعد ما قضيت شهوتك او لانهم يدعون الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب
من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعو اليها باخفاء جهة كونها شرا
واراءة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار انه ناصح له في ذلك وفي الحقيقة
يريد المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة العفو والرحمة
او امكان التوبة بعد مباشرتها قوله وذلك كالقوة الوهمية شبه الشيطان بها من حيث

انه يوافق الانسان في المعاصي والشهوات واذا دعاه امره الى الطاعة اسرع خنس
واعرض عنه واخذ في المكر والخديعة يصرفه عنها قوله بيان للوسواس او للذي
فيكون قوله والناس على التقديرين عطفا على الجنة فيكون الشيطان الموصوف بانه
وسواس خناس فريقان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وكما ان
شياطين الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى وشياطين الانس يكون كذلك وذلك
لانه يلقي اليه الاباطيل ويوردها في صورة الناصح المشفق فان علم ضجر السامع
يخنس ويترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قوله او متعلق بيوسوس
فيكون من لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن بان يلقي اليهم
مثلا ان الجن يضرون وينفعون ومن جهة الناس بان يلقي اليهم مثلا ان المنجمين
والكهان يعلمون الغيب على ان المراد به ما يعم الثقلين فلذلك بين بالجن والانس
واستدل من عمم الناس بالثقلين بان الجن قد يسمى رجالا في موضع ونفرا
في موضع آخر وقوما في ثالث قال الله تعالى رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ويا قومنا اجيبوا داعي الله وهي من
الالفاظ المستعملة في الناس فتبين بذلك ان اسم الناس يعم الثقلين قوله وفيه
تعسف لان كونه اسما واقعا على القبيلتين بعيد من اللغة فان اهل اللغة متفقون
على ان الجن والانس اسمان يختص كل واحد منهما بحقيقة وعلى صحة مباينته للاخرى وان
احد الحقيقتين سميت جنا لاجتنانه اي لتستره عن اعين الناس والاخرى
ناسا لظهوره وافرادها للمحجر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال الله تعالى
آنس من جانب الطور نارا اي ابصر فكما لا يطلق اسم ~~الناس على~~ الجن على بني آدم

على بني آدم لاشتهار تسمية الجن جنا فيهم فكذلك ينبغي ان لا يطلق اسم الناس
على الجن بناء على ان وجه تسمية الناس ناسا منتف في الجن واما اذا اريد بالناس
في قوله في صدور الناس الناسي فح يمكن تقسيمه الى الجن والانس لان مفهوم
الناسي مشترك بينهما لان كل واحد منهما موصوف بنسيان حق الله تعالى قال الله تعالى
ملك الناس لم يقرأ في المشهور هنا بالالف كما قرئ به في الفاتحة لان معنى الملك
هو الرب فيلزم التكرار هنا لاتحاد المضاف اليه بخلاف سورة الفاتحة فان ما اضيف
لفظ الرب غير ما اضيف اليه المالك فلا تكرار فيها واعلم ان في هذه السورة
لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي
انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات
والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة اوصاف وهو الرب
والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب
لما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر
والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي
هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان في نظم السورتين
الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا
الا انها اعظم مراد واهم مطلوب وان سلامة البدن عن تلك الآفات وان
كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام والمطلوبية . اللهم
ثبت قلوبنا على دينك ونسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في البدن
والدنيا والآخرة بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين آمين يا خير المسؤولين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد سيد المرسلين وعلى
آله واصحابه مويدين الاسلام للمسلمين عدد ما كان وعدد ما يكون وعدد
ما هو كاين في علم الله رب العالمين تمت هذه القطعة الشريفة من حاشية
شيخ زاده رحمة الله عليه رحمة واسعة لتفسير القاضي عفي عنه وعنا المعاني
في يوم الثالث وقت الضحى من شهر صفر المظفر سنة ٩٧٨ على يد اضعف عباد الله
حسين بن سعد الله غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه ولساير المسلمين
والمسلمات والمومنين والمومنات الاحياء منهم والاموات برحمتك يا ارحم الراحمين

ع تصحيحه من الكاتب عن ذي
ع اعرابه لختم دوي